

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

شعبة الأدب العربي الحديث في ضوء الاستشراق

مذكرة تخرج لنيل درجة دكتوراه علوم في الأدب العربي

الموسومة :

منهج البحث الأدبي عند المستشرقين

قراءة في كتابات شارل بيلا

تحت إشراف الأستاذ:

أ.د: بورديم عبد الحفيظ

إعداد الطالب:

عداد بوجمعة

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	المركز الجامعي النعامة	أستاذ التعليم العالي	أ. د. أحمد موساوي
مشرفا	المركز الجامعي مغنية	أستاذ التعليم العالي	أ. د. عبد الحفيظ بورديم
عضوا	جامعة تلمسان/ الجزائر	أستاذ التعليم العالي	أ. د. خناتة بن هاشم
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر " أ "	أ. د. محمد طرشي
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر " أ "	د. وردة محصر
عضوا	المركز الجامعي عين تموشنت	أستاذ محاضر " أ "	د. جلال مصطفىاوي

السنة الجامعية: 2018 – 2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكركم وبتقديري

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين و بعد:

أولاً أشكر الله عزّ وجلّ أن منّ عليّ بإتمام هذا العمل بمشيئته وفضله.

ثمّ أتقدّم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور عبد الحفيظ بورديم على تكرّمه بقبول الإشراف على هذا البحث الذي طال أمده، وأملّي أن يبلغ مُرادَه. كما أقدم خالص الشكر إلى الشيخ محمد الخمليشي محافظ خزانة جامعة عبد الله القرويين بفاس في المغرب الشقيق الذي يسّر لي سُبُل الاطّلاع والاستفادة من المكتبة، ونسح ما تيسّر منها وما أفاءت به تلك الدّيار.

والشكر موصول كذلك إلى الشيخ عبد القادر عمّاري على ما أسدّى وعضد و إلى لجنة المناقشة الموقّرة على ما أبدت و أرشدت .

وإنّي في الأخير لأشكر كلّ من قدّم لي يد العون من قريبٍ أو بعيدٍ. والله الموقّق لما فيه صلاح البلاد والعباد.

عداد بوجمعة

إِهْلَاءُ

إلى اللذين قال تعالى في حقهما: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ

أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ سورة الإسراء الآية: 24

إلى روح أبي - رحمة الله عليه - الذي أول ما علمني حروف الهجاء.

إلى أمي - أطال الله عمرها - التي بدعائها هشمت صعاب البحث وأشرف على الإنهاء.

إلى زوجتي الفاضلة التي كانت بحق نعم المعين ونعم الفداء.

إلى أبنائي الغرّ: نُسبية ورُفيدة وعلاء.

إلى أُختي وإِخْوَتِي والأخلاء.

إلى محبِّي لغة الضَّاد الأوفياء.

أُقَدِّمُ هذا الجهد المتواضع.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيّدنا محمد خاتم النبيّين وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، الطيبين الطاهرين، ومن دعا بدعوتهم و استنّ أو ما بستنّهم إلى يوم الدين.

وبعد:

لا تزال ظاهرة الاستشراق تثير كثيرا من الجدل على الرغم من انقضاء زمن الرواد الأوائل سمي الاستشراق التقليدي، الذي انطلق من تراث الشرق العربي بمختلف فنونه، يصوغ بحوثه ويطرح تصورات، وفقا لرؤى محدّدة المعالم ارتبطت بالإسلام والأمة العربية، ثمّ امتدّت إلى بلدان غير عربية شملها الإسلام.

يرى بعض المتبعين أنّها ظاهرة توارت مع اليقظة العربية وانتشار العلوم وتطور الوسائل فاستشراق اليوم ليس كاستشراق الأمس. ولمعرفة حقيقة المستشرقين حرّي بنا الرجوع إلى كتاباتهم ودراسة إنتاجهم، والوقوف على مناهجهم بعيدا عن الأحكام الواهية والإسقاطات الجاهزة غير المؤسّسة. لأنّ الحكم على الاستشراق أو بالأحرى المستشرقين حتّى يحقّق الغاية لا يمكن أن يتمّ ظاهريا دون دراستهم دراسة دقيقة واعية، ومعرفتهم من الداخل، باعتبار أنّهم لم ينطلقوا من فراغ في دراستهم للنصوص العربية والآثار الإسلامية، فقد مارسوا سلطتهم في كثير من الأحيان، ولا يزالون يمارسونها بحكم نفوذهم وتخصّصهم وأسبقيتهم في التحكّم في الوسائل والمناهج التي استطاعت أن تحدث جدلا بين المنهج والعقل مند ديكرت إلى يومنا هذا.

لقد اتّسعت مجالات المستشرقين وميادين تخصّصاتهم، وتعدّدت طروحاتهم تبعا لتعدّد مشاربهم ومنازعاتهم، فكان لذلك انعكاسات على فكر المثقف العربي أدت إلى تضارب موقفه بين مؤيّد ومعارض، و وسطيّ يحاول التوفيق بين هذا وذاك، بل وجدنا بعضهم يؤلّف "دفاعا عن الاستشراق".

كان لزاما أن تختلف وجهات النظر لأنّ المستشرقين حاضوا في قضايا عربية، و أدلوا بدلائهم حتّى في مسائل دينية وعقدية وأمور غيبية، وحقّقوا نصوصا تراثية، طبقوا عليها مختلف

المناهج العلمية الحديثة التي طُبِّقوها على بحوثهم ومؤلفاتهم، ولا شك أنّ هناك جوانب يجب مراعاتها لسلامة تطبيق المنهج منها ما يتعلق بالمنهج ذاته، ومنها ما يتعلّق بالميادين وعيّنات الدراسة.

تأسيسا على ما سبق ذكره وتشكيلا لمعالم هذا البحث، سعيت للإجابة عن تساؤلات أبرزها:

- 1 - كيف تعامل المستشرقون مع التراث العربي؟ و ما المناهج التي اعتمدها في قراءتهم للأدب العربي وتحقيق نصوص؟
- 2 - ما حقيقة مدرسة الاستشراق الفرنسي، وما خصائصها ومركزاتها في دراسة الأدب العربي؟
- 3 - هل استند شارل بيلا في تطبيقه للمناهج الأدبية - باعتباره أحد رموز مدرسة الاستشراق الفرنسي وله دراسات في الأدب العربي قديمة وحديثه - على طروحات وآراء نقدية مؤسّسة وفق معايير علمية موضوعية في تعامله مع تراث غير تراثه، وأدب غير أدبه؟
- 4 - و هل يمكن لكتاباته أن تؤسس نسقاً معرفياً متكاملًا تتناغم فيه أقطابه الثلاثة: الذات العارفة والموضوع، والمنهج المتبع؟ وهل يمكن له كذلك - مع ما يمتلك من نصيب في اللغة وأساليبها - أن يتحرّر من أي خلفية سياسية أو إيديولوجية؟
- 5 - قراءة أدبنا العربي وفق مناهج وآليات غريبة بعيدة عن طبيعته وخصائصه، هل تضمن سلامة جيلنا، و تصون أفكاره من الشوائب؟
- 6 - في الأخير هل يحق لهذا الجيل أن يؤسس أفكاره على ما توصل إليه المستشرقون، و اعتبره مجهودات رائدة، ولبنة فتحت مجال الدراسات العربية لمستقبل أمتنا؟

تلكم التساؤلات وغيرها تمّت من خلال استقراء موضوعات ونصوص متنوّعة، حاولنا في ضوئها توضيح المنهج المطبق في اللغة والأدب العربي من قِبَل المستشرقين.

إنّ المتبّع للجهود العربية في الدراسات الاستشراقية يلاحظ أنّ معظمها صُرفت في الجانب الديني، باعتبار أنّ الاستشراق ركّز عليه كثيرا خصوصا في بدايته، و هو مجال حساس بالنسبة للأمة الإسلامية، وبالتالي كان لزاما أن يجد ردود فعل من قبل العرب والمسلمين

لدحض حججه وإبطال مزاعمه، بينما البحوث في الاستشراق الأدبي خصوصاً الحديث منه لم تستعد بعد المكانة المنوطة بها، إذا ما استثنينا التي تعالج الاستشراق عامّة، وبعض الدراسات المتخصصة التي قام بها بعض المستشرقين المحدثين شملت جوانب عديدة تحتاج الوقوف عليها وتمحيصها، وبيان محاسنها ومساوئها. وقد آن الأوان لإعادة صياغة كثير من المفاهيم التي دأب عليها بعض مؤرخي الأدب انطلاقاً من طروحات ورؤى استشراقية.

لذا سعيت في بحثي هذا المتواضع الموسوم "منهج البحث الأدبي عند المستشرقين قراءة في كتابات شارل بيلا" إلى تبيان المناهج الأدبية المعتمدة عند المستشرقين في الدراسات الأدبية، وركزت على ما رأيته مُهمّاً، وعلى مدرسة الاستشراق الفرنسي من خلال أحد أقطابها شارل بيلا وجهوده في دراسة الأدب العربي وتحقيق نصوصه، وحقيقة ممارسته للمناهج الأدبية.

في الشطر الأول من عنوان هذه الأطروحة شمول وسعة "المنهج الأدبي عند المستشرقين" لذا اقتصر البحث على بعض المناهج التي لها صلة بما توقّر لديّ من مطبوع أعمال شارل بيلا ومؤلفات ومقالات وكتب محقّقة. ولعلّ الدراسة هذه ركّزت على المنهج التاريخي باعتباره أكثر المناهج اعتماداً وتوظيفاً من طرف شارل بيلا و المدرسة الفرنسية عموماً .

الشطر الثاني من العنوان: "قراءة في كتابات المستشرق شارل بيلا" المتعدّد الدراسة وميادين البحث إذ نجده أديبا ولغويًا وناقداً، و مترجماً ومحقّقاً، مؤرّخاً وجغرافياً، ورحالة فهو متعدّد المواهب، طالت قدماه معظم البلاد العربية والاسلامية، وجال في مختلف ربوعها.

وفي هذا البحث اقتصرت على الوجهة الأدبية لهذه الشخصية، وما يتداخل معها من جوانب لغوية و دينية، إذ لا يمكن قطعاً فصل الأدب عن الدين، خصوصاً ما تعلّق بالتّصوص التراثية.

والبحث في هذا المجال ليس سهلاً ولا هيّناً كما يتصوّر البعض خصوصاً ونحن أمام تراكم معرفيٍّ استشراقيٍّ لم ينقطع؛ طاقّات سُخّرت، وجُهود بُذلت، ومفاهيم رُصدت، كتب ومقالات نشرت، ارتبطت باللغة والأدب العربي نثره وشعره، علماً أنّ الشعر العربي استعصى على بعض أهله لقوّة لفظه، و تعدّد دلالاته، وبلاغة مجازاته وغيرها من الحواجز، فأثّر لمستشرق

ليس ابن هذه البيئه فكّ شفراته، وتأويل رموزه؟، لذا يضطرّ هذا الأخير إلى أن يفسّر الظواهر حسب فهمه لها من معناها الظاهري أو قياسا على ظواهر أخرى، فيؤهم ويقع في الخطأ. لقدد قصدت بهذا العمل أن أوضّح الأهداف والغايات الحقيقية للاستشراق وأثر ذلك في الأدب العربي، وكذلك:

– أن أبيّن محاسن ومساوئ المستشرقين إذ لا يمكن – والحقّ يُقال – تصنيفهم في خانة واحدة.

– أتخصّص في دراسة المستشرقين، من خلال قراءة إنتاجهم وفق المناهج الحديثة لمعرفة أهدافها ومراميها.

– أدرس الأعمال أو الجهود الاستشراقية الفردية وتقويمها والحكم عليها تفاديا للتعميم أو الحكم المطلق.

– أستفيد – ولم لا – من الدّراسات الاستشراقية الجادّة إن وُجدت وتثمينها، خصوصا وأنّ بعض المستشرقين أجادوا العربية ولهم توجّهات سليمة، وبالتالي إقامة الصلة بين الدراسات العربية والدراسات الغربية ومدّ جسور الحوار بين الشرق والغرب في إطار احترام خصوصيات كلّ طرف.

في الحقيقة الدراسات التي تناولت الاستشراق عامّة أو تراجم رواده قيّمة استفاد فيها متناولوها، ومن الدراسات الرائدة التي اعتمدها: "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر" لأحمد سمايلوفيتش، و"موسوعة المستشرقين" عبد الرحمان بدوي، و"المستشرقون" لنجيب العقيقي، وما تضمّنه الأعلام للزركلي.

في حين ما تعلق بتحليل نصوصهم الأدبية أو قراءة كتاباتهم فهي قليلة إذا ما استثنينا كتاب "الاستشراق الفرنسي والأدب العربي" لأحمد درويش الذي عرض فيه دراسات تطبيقية قيّمة لكل من أعمال أندري ميكال وبلاشير، وبعض مقالات بيلا التي نشرها في بعض المجلات العربية؛ مجلة الحوليات التونسية، وبعض أعداد مجلة المشرق اللبنانية، ومجلة معهد

المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية، ولعل آخر إصدار كان كتاب بعنوان " لن تتكلم لغتي" للمغربي عبد الفتاح كليطو.

وقد حاولت بعلمي هذا أن أُمّ شتات تلك الدراسات المتناثرة هنا وهناك من جهة وأن أجتهد في دراسة ما لم يدرس من مؤلفات بيلا بعد ترجمتها إلى العربية لأنّ كثيرا منها لم يُترجم بعد إلى العربية، وبعضها غير متاح ويصعب الحصول عليه.

البحث في مجال الاستشراق الحديث ممتع ولكنه شاقّ، وصعوباته تكمن فيما يلي:

– حداثة الدراسة في هذا المجال وانعدام مراكز متخصصة عندنا في الجزائر إن لم نقل في العالم العربي عامة.

– قلة المراجع خصوصا في المجالات التطبيقية، ولا أتحدّث عن التعريفات والمفاهيم المتعلقة بظاهرة الاستشراق بشكل عامّ.

– معظم مؤلفات شارل بيلا المعاصرة غير متوقّرة تتطلّب البحث عنها في مظانّها، وأغلبها باللغة الفرنسية، ولأنّ مقياس الاستشراق حديث الانتشار في مختلف التخصصات، مع العلم أنّ المستشرقين ما أبصروا مجالا أو تخصصا إلّا وتناولوه، لهم دراسات في العلوم الدينية والانسانية والاجتماعية، في أدب الرحلات، في الرسم وفنّ العمارة وغيرها من الفنون.

وإيّي - وإن أحسست بمتاعب - لأزداد قوّة في تتبّع المسيرة الأدبية لهذه الشخصية وتعبّ مسارها الإبداعي دراسة وتمحيصا. والحديث عن شارل بيلا وجهوده في الأدب الحديث والمعاصر يتطلّب جهدا في البحث، ذلك لأنّ بيلا ركّز جلّ اهتماماته في الأدب العربي القديم وتحديدًا ما تعلّق بالجاحظ ترجمة وتأليفا، نشرا وتحقيقا.

لقد دأب الرجل على دراسة هذه الشخصية حتى أنّ معظم كتاباته تُقرن باسمه، حدث وأن سأل صحافي جزائري المستشرق " شارل بيلا" ماذا تقرأ: الأدب العربي القديم أم الحديث؟ فأجاب على الفور: "بل أقرأ الأدب العربي القديم وحده"، فسأله الصحفي فرعا: ولم لا تقرأ الأدب العربي الحديث؟ فجاب " شارل بيلا " لأنّه أدب أروبي مكتوب باللغة العربية". وهذا لا

يعني أنّه لم يكتب في الأدب الحديث بل له دراسات وأبحاث أدبية ولغوية في هذا المجال تطرقنا لها في هذه الدراسة.

أمّا المنهج الذي اتّبعت في هذه الدراسة فقوامه المنهج الوصفي التحليلي:

فهو وصفي في تعرّضه لظاهرة الاستشراق، والمدرسة الفرنسية وبعض أعلامها، وتحليلي في ملازمة بطون الكتب، واستقراء النصوص، والنظر فيما انطوت عليه عناصرها من قضايا وفحصها، والحكم عليها وتقويمها. كما استعنت بالمنهج التاريخي في تتبّع مسار المناهج الأدبية التي وضّفتها.

والمعني في هذه الأطروحة بالطبع هو شارل بيللا محور البحث وعليه عُقدت الدراسة من خلال كتاباته وآرائه النقدية. وقد استعنت في النقد والتفسير من حين لآخر ببعض آراء الأدباء والنقاد، ومحققي النصوص في منهجه وأسلوبه و بعض طروحاته.

حاولت جاهدا اعتماد الموضوعية في الطرح، والحياد العلمي وعدم تغليب العاطفة ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وإنّ كان الأمر صعبا في مثل هذه الدراسات الإنسانية عموما والاستشراقية خصوصا لأنّ منطق الاستشراق في حدّ ذاته كثيرا ما كان يصدر عن هوى متّبّع أو تعصّب أعمى.

لقد اشتمل البحث على خطّة وزّعت على النحو التالي: مقدّمة ومدخل و ثلاثة فصول وخاتمة.

تمحور المدخل حول الاستشراق والسّلف و تأصيل المنهج، وقفت من خلاله على التراث العربي، و المنهج عند العرب و المسلمين القدامى، والاستشراق وآليات فهم هذا التراث.

الفصل الأوّل: في المنهج الأدبي تناولت فيه: المناهج الأدبية وأهميتها و قسّمته إلى أربع مباحث وهي: المنهج التاريخي، والمنهج الاجتماعي، والمنهج النفسي، والمنهج اللغوي وهي المناهج التي ركّز عليها المستشرقون في دراستهم للأدب العربي، وبالخصوص التاريخي منها.

الفصل الثاني: في منهج تحقيق النص، وضمّنته أربعة مباحث: المبحث الأول النص والتحقيق في اللغة والاصطلاح، والمبحث الثاني تحقيق النسبة الفردية، والمبحث الثالث: تحقيق

النسبة الجماعية والمبحث الرابع: نقد التحقيق، وكنت في كل مبحث أوضّح علاقة الاستشراق بالمناهج الأدبية المذكورة ومنهج تحقيق النص.

وخصّصت الفصل الثالث لقراءة كتابات شارل بيلا، وربطت ذلك طبعاً بالمناهج المذكورة سلفاً، وقد قسمته إلى أربع مباحث على غرار سابقه: مدرسة الاستشراق الفرنسي وتوجّهاتها، شارل بيلا ترجمته وإسهاماته الأدبية، بيلا والمناهج الأدبية، بيلا وتحقيق النصوص. في الأخير أتمنى أن أكون قد وفّقت في بحثي هذا، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

عداد بوجمعة

النعامة، يوم: الجمعة 12 رمضان 1440هـ

الموافق ل: 17 ماي 2019 م.

المدخل

مدخل: التراث العربي بين منهج السلف و آليات الاستشراق:

- 1 - التراث العربي و أقسامه
- 2 - منهج البحث عند السلف وضوابطه.
- 3 - الاستشراق حقيقته وأبعاده.
- 4 - الاستشراق وسائل وآليات فهم التراث الأدبي.

1- التراث العربي و أقسامه :

أ - التراث العربي:

التراث سجلّ الشعوب ومعينها وذخيرتها التي تحيا بها و"حياة الأمم رهين بحياة تراثها فإنّ الأمة التي لا تراث لها لا تاريخ لها، والأمة التي لا تاريخ لها ليست إلا كتلا بشرية لا وزن لها في ميزان الأمم".¹

" و إذا نظرنا للتراث بمنظار المعاصرة فهو كلّ ما خلفه مؤلّف من إنتاج فكري بعد حياته - طالت أو قصرت - يعدّ تراثا فكريا،"² و إن لم يرتبط روحيا بالمجتمع لا قيمة له. وإذا كنّا نعتبر أنّ الإرث أو الميراث دليل على اختفاء المؤرث صاحب الميراث وتعاقب الورثة من بعده أو عنوانا على اختفاء الأب، وحلول الابن فإنّ التّراث أصبح بالنسبة للوعي العربي المعاصر عنوانا على حضور الأب في الابن، حضور السلف في الخلف، حضور الماضي في الحاضر،³ وما أحوجنا إليها الآن.

لقد أصبحت تركّات أساتذة أجلاء مضوا - شعراء كانوا أم ناثرين - تراثا أمثال: حافظ إبراهيم و أحمد شوقي و مصطفى صادق الرافعي، ومحبّه وصنوه في الدفاع عن العربية العلامة محمود محمد شاكر، و الشيخ عبد الحميد ابن باديس و رفيق دربه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وغيرهم، نراه حقّا "تراثا له حرمة التاريخية، وله مقداره الأثري".⁴ لأنهم سلكوا مسلكا إنسانيا حضاريا وفق مبادئ حقّة.

¹ - أحمد سميلوفتش " فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر" دار الفكر العربي القاهرة، 1418هـ/ 1993م ص159، نقلا عن عمر فروخ "العبقريّة العربيّة في العلم والفلسفة" مطبعة دار الكتاب بيروت/1969م ص22.
² - عبد السلام هارون " التراث العربي" مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت - الإصدار الثمانون ط1435/1هـ . 2014م، ص21.
³ - ينظر عائشة عبد الرحمن بنت (الشاطيء) "تراثنا بين ماضٍ وحاضرٍ" دار المعارف 1970، ص 70.
⁴ - المرجع نفسه، ص21.

إنّ المتتبع لتراث أمتنا العربية الإسلامية ما وُجد منه وحُقق وما لم يُحقق، دون الحديث عمّا ضاع منه وذكره أصحاب الفهارس، والسبيل التي سلكها القدامى في جمع مادّة مؤلفاتهم والمنهج المتبع عندهم، أدركنا أنّه ما من أمة هي أقدر بتراثها من أمتنا العربية في الاحتفاء به الحفاظ عليه غير أنّ الكثير منه تعرض للتلف و الضياع .

لقد ترك أسلافنا من المصنفات في مختلف الفنون ما يدعو إلى الإعجاب والتبصّر فعلا لم يقنعهم كلّ شيء توصلت إليه أُمم بحثت في العلوم والآداب والفنون قبلهم، فلم يقفوا عند منهج سابقهم وإنّما جاؤوا بمنهج جديد يمتاز بعمق أصالته وصدق تجربته في كلّ المجالات العقلية والشعرية.¹

ولا يعني هذا أنهم لم يستفيدوا من أثار الأمم التي سبقتهم في مجال العلوم، وأقصد بذلك الإغريق والرومان والهنود والصينيين بل "فتحوا النوافذ على عمالقة الفكر اليوناني وغيرهم للجميع إذ أحيوا أثارهم العلمية وروائعهم الفنية، وأبرزوا تجاربهم، ونشروا آراءهم في أنحاء المعمورة كلّها."² ولأدل على ذلك ما قام به ابن رشد حين فسّر آراء أرسطو ودلّل ما انغلق منها واستفاد علماء الغرب من آراء ابن رشد في نهضتهم الحديثة.

ب - أقسام التراث

إنّ تراث أي أمة فيه الخاص وفيه العام المشترك، و" تراثنا العربي في عراقته أغنى من يُحدّ بمرحلة حضارية واحدة"³، ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام⁴: "التراث الديني" و"التراث الفكري

1 - المرجع السابق، ص 411.

2 - المرجع نفسه، ص 411.

3 - محمود أحمد السيّد "دراسات في المعاصرة و التراث"، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، سلسلة الدراسات (4) ط 2004/ ص 108.

4 - ينظر جمال سلطان" الغارة على التراث الإسلامي " مكتبة السنّة، الدار السلفية لنشر العلم . القاهرة، ط 1410/1 هـ . 1990م، ص 20-21.

العام" و"التراث الوجداني": الأدبي والفني بشعبه المتعددة على الرغم من الترابط القائم بينها في بعض الجوانب إلا أنّ التميز يظلّ قائماً من ناحية المصدر، والقيمة، والمنهج والإدراك والإلزامية. والديني والأدبي لهما خصوصيات؛ فالأول منهجه خاص يتميز برتانية المصدر وحساسيته القيمة البالغة، وارتباطها بالشرع ومسائل الاجتهاد والتقليد وما يترتب عن كلّ منهما، والثاني الوجداني المتمثّل في الفني والأدبي الذي له ارتباط بالمزاج النفسي للأمة، وأنماط معيشتها، والذوق الجمالي، والحسّ الفني¹، ولا شك أنّ الذوق والحسّ الرفيعين مرتبطان بالفطرة السليمة الدينية والخلقية، وتوثيق الصلة بهذين الجانبين إحساس بالانتماء وشعور بالمسؤولية.

يمثّل "التراث الفكري العام" الفضاء المشترك بين الأمم في التأثير والتأثير، والاقتراب والتطويع والإضافة والاستلهام وعمامة مباحثه في الفلسفة والتاريخ، والعلوم التجريبية وغيرها.² أو بمعنى آخر "ما هو حاضر فينا من ماضي غيرنا"³

و تاريخ تراث أمتنا شاسع و عريق، و الفكري منه المتمثّل في أثارها المدوّنة الموروثة التي لا تحصى، ولا يزال عطاؤها مستمرّاً في الرخاء والشدة.

2- منهج البحث عند السلف و ضوابطه:

أ - منهج البحث عند السلف:

إنّ المستقرئ لتاريخ علمائنا المسلمين السابقين يجدهم أمّهم ابتكروا علوماً وفنوناً ومنهجاً لم يسبق وأن عرفتّها البشرية عبر التاريخ في مجال البحث وتوثيق الأخبار شملت فن الجرح والتعديل ومصطلح الحديث، وتراجم الرجال، وفن المناظرة والموازنة، وأوجدوا السماع والقياس والاستقراء. وزاد اللغويون التوليد والاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب وغيرها. ولم يلجؤوا

1 - ينظر المرجع السابق، ص 21.

2 - ينظر المرجع نفسه، ص 21.

3 - محمود أحمد السيّد "دراسات في المعاصرة و التراث" (مرجع سابق)، ص 99.

إلى التعريب إلا في الحالات النادرة خشية أن يضيع رونق النصّ العربي في غمرة المعرّب والدّخيل. كما كان للملاحظة والاستنباط والاستدلال دور في استخلاص القواعد اللّغوية.

لقد كان لعلماء الحديث فضل السّبق في ابتكار المنهج لدراسة الحديث وتقويمه وتأصيله وكذلك فعل علماء التاريخ والفلسفة والأدب والتراجم،¹ و عُرِف عنهم التزامهم بشروط الضبط والعدل في الرواية، والالتزام بأصول السماعات والقراءات، والتوقيعات وتدوين الأخبار وتوثيق النسخ وغيرها، كما اتسمت بحوثهم كذلك بالتحري الدقيق والتمحيص الجيد للأخبار اعتمادا على المتن والسند، وترتيبها حسب نسبة صحّتها درجات، أعلاه الصحيح وأدناه الضعيف وكلاهما كذلك مراتب.

استمر عمل العلماء هذا إلى غاية تثبيت معالم الدين والعقيدة والأمر كذلك في مجال تحقيق النصوص "إنما هو علم اعتنى به المحدثون فكان التوثيق والتّحقيق والتّخريج (مجالات حيوية)، وهي علوم ساهمت إلى حدّ كبير في وضع الأسس القويمة لعلم التحقيق الحديث."² غير أنّ البعد عن النّب الأصيل، واتساع نطاق الرواية بالمشافهة، وتباعد الأمكنة و الأزمنة وتغيّر الطبائع والأمزجة، كان لزاما أن تطرأ تغيّرات في الواقع الاجتماعي ينعكس بدوره على حال الرواية ومنه " انتشار الوجادة* وما حملته من اضطراب وأخطاء إلى إضعاف وسائل تحمّل العلم إلى اللّجوء إلى وضع قواعد مكتوبة تتضمّن تحرير النصوص ونقدها."³

1. ينظر يحي وهيب الجبوري " منهج البحث وتحقيق النصوص " دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ط1/1993، ص19.

2. نوري حمودي القيسي، سامي مكّي العاني "منهج تحقيق النصوص ونشرها"، مطبعة العارف بغداد ط/1975 ص:3.
* الوجادة: وتعني استخدام أحد الكتب والنقل عنه، دون رواية عن مؤلّفه أو عن راوية، وبغض النظر عن المعاصرة أو القدم، ويقول المتحمّل بهذا الطريق: وجدت في كتاب فلان، أو: قال، أو: حدّثت، ونحو ذلك، ينظر - رمضان عبد التواب " مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين "مكتبة الخانجي القاهرة، ط 1/1406 هـ / 1985م، ص23.

3- عباس هاني الجزّاخ " تحقيق المخطوطات مناهجه . قواعده . أعلامه " دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2014، ص7.

لا مرء في أن علم الجرح والتعديل الذي ذكرت سلفا كان بمثابة صمام أمان لسلامة المتن والسند والضابط للحديث الشريف - من كل ما قد يلحقه من زيادة أو نقصان، أو يعتربه من افتراء أو بهتان، بفعل عمد أونسيان - دأب عليه المحدثون في البحث عن "المتفق والمفترق والمؤتلف والمختلف وفي المتشابه من الأسماء والأنساب".¹ وعلى هذا المنوال سار علماء الأدب في رواية الشعر وأخبار الشعراء.

ولو تتبعنا منهجهم هذا لوجدناه غاية في الدقة، مبني على قاعدة "مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب" إذا كان التدبر في ملكوت الكون واجبا، فالسبل المؤدية إليه كذلك واجبة" ذلك لأن العلم لا يتولد إلا على علم مثله، وما كان للظن أن يصلح سبيلا إلى العلم بحال.² فسلامة المنهج وحسن اختيار الوسيلة يحققان ثمرة العلم وفائدته.

كذلك الشأن مع الحقيقة العلمية التي هي مبتغى ومسعى كل عالم وباحث، "إذا كان إدراك الحقيقة على ما هي في الواقع علما كما يقولون فإن المنهج المتخذ إلى ذلك الإدراك ينبغي - بلا ريب - أن يكون هو الآخر علما."³ ولذا يجب أن يتسم الإجراء بالصدق والموضوعية، بعيدا عن الظن الذي مبعثه هوى النفس، قال تعالى: ﴿إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾* وقال تعالى أيضا: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾*.

1 - عباس هاني الجراخ، (المرجع السابق، ص7)، نقلا عن "علوم الحديث وأثرها في وضع المبادئ الأساسية لتحقيق التراث العربي: تحقيق جورج كرايخ، مجلة آفاق عربية، العدد 3، السنة 11، آذار(أوت)، 1986، ص99.

2 - ينظر محمد سعيد رمضان البوطي "كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق" دار الفكر للطباعة والنشر دمشق سوريا. ط 1982/8م ص43.

3- المرجع نفسه، ص 31.

* سورة النجم الآية: 23 .

* سورة النجم: الآية: 28.

مضى الأوائل في إدراك الحقائق من مظانها اعتماداً ركيزتين: النقل و العقل، فمن الحقائق ما يعتمد في إثبات وجودها على الرواية نقلاً أو مشافهة، و منها ما يستعان على يقينيتها بالعقل الواعي انطلاقاً من التدبّر والتأمّل في موجودات الكون وما هو ساكن ومتحرك. و أوجدوا من قواعد المنهج ما أطلق عليه " نقد المرويات " لاستخلاص صحيح الحديث من سقيمته.

قاعدة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها تخص المنهج العلمي أوجدها الأولون تقول: "إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل."¹

وهذا مجال البحث في الخبر أو الادعاء والأسس التي يستند عليها لإثبات كلا منهما فأما الأول: فالطريق إلى إثبات صحته هو تحقيق النسبة بينه وبين مصدره.

وأما الثاني: فالسبيل إلى إدراكه هو البحث والتمحيص في الأدلة والبراهين المنسجمة معه والمبرهنة على يقينيته. والدعاوي أنواع ولكل أدلته العلمية الخاصة به منها العلمية التجريبية ومنها القانونية المسلمة، ومنها البيانات والحجج المتفق على ضرورة ارتباطها بها. والحقيقة العلمية للدعوى مرتبطة بالدليل، والانسجام في الطبيعة والنوع.²

وبالتالي يمكننا القول أنّ هناك مجالين مهمّين بحث فيهما السلف بحق وحاولوا إيجاد السبل المؤدّية إليهما وهما: تحقيق النسبة بين الخبر ومصدر، وقد شمل الفنون الثلاثة: مصطلح الحديث والجرح والتعديل، وتراجم الرجال. وصحّة البحث فيهما ارتبطت بالقرآن الكريم والسنة النبوية. وتحقيق القيمة العلمية في الدعاوى والتي مجالها المشاهدة والتجربة، وهو مجال فسيح لم يقيد فيه الباحث تقييداً كلياً بل ترك فيه المجال للتجربة وإعمال العقل.

1 - المرجع السابق، ص 34.

2 - ينظر المرجع نفسه، ص 34

كما تم استخدام هذه الآليات أيضا في نقد نصوص الأدب ووقائع التاريخ، وإن لم تتم بنفس الدرجة التي رعي فيها علوم الحديث، ولعلّ ما حفظته لنا بعض المؤلفات مثل " وفيات الأعيان وأنباء الزمان مما ثبت بالنقل أو السّماع أو العيان" لابن خلّكان ما يثبت ذلك إذ يعدّ هذا المؤلّف من كتب التراجم الموسوعية الفريدة في تأليفها، وضعه العالم البحاثة الذي لم يخلف لنا أثرا غير كتابه هذا وبعض نتاجه الشعري. و قد اشتهر هذا السيفر الموسوعي بالدقّة والضبط والأمانة ممّا أحلّه بين الكتاب مكانا عليا¹

ونحن إذ نورد أثر هذا العالم الشهير نريد أن نوّكد أنّه أخذ بأدقّ المناهج العلمية في جانب التراجم الأدبية في مؤلفه السالف الذكر - وإن خالها بعض التعثر - لأثّها" تقوم على العديد من العناصر المكونة لمبانيها في وكثير من المعالم المميزة لشخصياتها. وتتنوع عناصر التراجم وتعدّد معالمها، فتكون نسبا يفصح عن هوية الأدب وإنتاجا أدبيا يصور منزلته في فنّه واتجاه إبداعه الأدبي، وأخبارا تكشف عن صفاته الشخصية وأحواله مع معاصريه، وتواريخ تتحدّد بها الأعمال والأحداث وتتأسّس عليها القضايا المختلفة وبخاصة الوفاة والمولد،² ولعلّ هذا العمل يبطل مزاعم من يذهب إلى أنّ هؤلاء كانوا يجمعون المادّة فقط دون فحصها و تمحيصها و التدقيق فيها.

إنّنا نجد التدقيق في هذا الأثر حتّى في جوانب قد تبدو هيّنة عند البعض: سنتي المولد و الوفاة و النّسب، و قضايا أخرى وُجدت " عند ابن خلّكان في وفياته محقّقة تحقّقا علميا في صورة تبعث على الثقة والطمأنينة فيما تأسست عليه التراجم وفق منهج علمي وذلك على النحو التالي³:

"أولا: تحقّيق الوفاة والمولد.

1 - فخر الدين محمد يوسف عامر "منهج البحث الأدبي عند ابن خلّكان"، الدار العربية للكتاب، د، ط/1991.ص8.

2 - المرجع نفسه، ص 229.

3 - المرجع نفسه، ص 279.

ثانيا: تحقيق نسب الشخصية.

ثالثا: نقد الوقائع والاحبار.

رابعا: السرقات العلمية وتحقيق الآثار الأدبية.

والحقيقة أنّ هذا النموذج من الممارسة الصارمة، والمنهجية الدقيقة شملت كثيرا من كتب الأدباء واللغويين منها: "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمحي (ت231 أو 232هـ) و"الشعر والشعراء" لابن قتيبة (ت276هـ) و"نقد الشعر" لقدامة بن جعفر (ت337هـ) و"الموازنة بين أبي تمام والبحري" للآمدي (371هـ) و"الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني (ت392هـ)، و"دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني وغيرها.

إنّ الله سبحانه وتعالى لم يضيّق واسع العلم على عباده، بل أمر أولي الألباب والعقول بالبحث والتفكير في محسوسات الكون والاجتهاد في تحسين وسائل العيش بما يضمن لهم حياة كريمة "وهذا هو السرّ في أنّ القرآن لم يفصّل في القوانين العلمية المتعلقة بالمحسوسات والمشاهدات إذ أنّه لو فعل ذلك لألزم الناس الإيمان بمقتضاها، فيكون ذلك حملا للعقول على تبني حقائق علمية دون السلوك إليها في سبيل براهينها المنسجمة معها و هي التجربة والمشاهدة، وهذا ما لا يحمل القرآن أحدا من الناس عليه، تكريما للعقل وإطلاقا له ليسير في منهجه الطبيعي إلى كشف الحقائق المحسوسة."¹

واقتصار المنهج على علماء الغرب فقط - كما يظنه البعض - أمر غير صحيح، فمادة منهجية حوتها القواميس العربية القديمة، كما أنّ المنهج العلمي وجد عند علماء السلف كما ذكرنا.

1 - سعيد رمضان البوطي "كبرى اليقينيّات الكونية" المرجع السابق، ص38

ب - ضوابط منهج بحث السلف:

لتيسير المنهج وسلامة تحقيق النتائج "وضع الإسلام ضوابط لمنهج العلم وتلقيه كما وضع ضوابط لأدوات العلم والمعرفة، فالعقل والسمع والبصر (والفؤاد) أدوات زود الله بها الإنسان ليحصل عن طريقها على المعرفة فهي أدوات لا مصادر مستقلة للمعرفة. "1 يُستعان بها على بلوغ الحقائق العلمية، وعن طريقها نحصل على المعرفة، التي بها تطمئن القلوب، وتثلج الصدور وترتاح النفوس من عناء التفكير، لذا يُنصح بأن تُصرف هذه الأدوات المذكورة في السبل الصحيحة لتحقيق الغايات السامية.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾²

لقد دأب السلف في تحري الدقة، وحسن الاعتقاد القلبي، وبعده النظر وصواب العمل واستغلال حواسهم فيما يرضي الله تعالى مقدرين موقع الرجل قبل الخطو أو كما قال الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله. ولما كثرت الأمصار - كما أسلفت - وتوسعت البلاد، واختلط العرب بالعجم، وامتزجت الأدواق وانتشرت العلوم العقلية والتجريبية، لم يؤثر ذلك فيهم ولم يمنعهم ذلك من أن يتخذوا العدل مطياً.

أثر عن ابن الهيثم في كتابه المناظر قوله: "ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل، لا اتباع الهوى، ونتحرى في سائر ما نميزه، ونتقده طلب الحق، لا الميل مع الآراء، فلعلنا ننتهي بهذا الطريق إلى الحق الذي به يثلج الصدر ونصل بالتدرج والتلطّف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين، ونظفر - مع النقد والتحفظ - بالحقيقة التي يزول معها الخلاف وتنحسم بها مواد الشبهات، وما نحن من جميع ذلك براء مما هو طبيعة الانسان من كدر

1 - جمال عبد الهادي، وفاء محمد رفعت "أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ . منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا؟ وكيف؟" دار الخلدونية الجزائر، د ت ط، ص 228 .

2 - الإسراء الآية: 36 .

البشرية ولكننا نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الإنسانية، ومن الله نستمدّ المعونة في جميع الأمور.¹

وتأكيد ما هو علمي بالتجربة والمشاهدة في اكتشاف الحقائق العلمية "واعتبار الوحي الرباني هو المصدر الذي يرجع له لضبط المعرفة."²

لقد أدرك السلف الفرق بين المصادر و الوسائل المساعدة لها في الدراسة و البحث وفي مقدمتها القرآن الكريم الذي حضّ على العلم، "وما هو في أبسط معانيه إلا البحث

عن الحقيقة العلمية في كلّ ميدان في الأخلاق، في التشريع، في الاجتماع، في الطبّ في الطبيعة إلخ...³ وأقّرّ البحث في نواميس الكون، وعدم التخلف عن ركب الإنسانية باعتماد الاستقراء والملاحظة وديمومة النظر العقلي. والالتزام بأخلاقيات البحث.

والخلاصة: إنك لتملس لدى هؤلاء الرغبة الجارحة في سلوك المنهج العلمي الصحيح والالتزام به في اجتهادهم وتأليفهم، وجمع تراثهم وتدوينه، والتأريخ لسير رجالهم. فلم ينهم عن عزمهم حر الصيف، ولا قر الشتاء، يقطعون الفيافي والقفار لا لبلوغ غاية مادية- وإن كان ذلك مُعينا على بلوغ الغايات والمقاصد- لأمر أملاه عليهم دينهم وأقرته شريعتهم، بل وإرضاء لربهم ووفاء لأمتهم.

¹ - أحمد فؤاد باشا "الحسن بن الهيثم ومآثره العلمية" كتاب المجلة العربية 218، الرياض، العدد 457، صفر 1436هـ. ديسمبر 2014م، ص 122.

² - جمال عبد الهادي محمد مسعود و وفاء محمد رفعت جمعة "منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا؟ وكيف؟" المرجع السابق ص 228.

³ - مالك بن نبي "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث" دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط1/ 1377هـ/ 1969م، ص36.

وقد يكون منهج البحث مطلوباً عندنا اليوم أكثر من أي وقت مضى في مجال الدراسات الإنسانية التي بلغت شأواً عظيماً لاعتمادها آليات النجاح منها: المناهج والوسائل المتطورة التي تعين على الدقة واختصار المسافة وريح الزمن، لكن يبقى عامل الفرد مؤثراً للنجاح أو الخيبة في تعامله مع تلك المناهج والوسائل.

3- الاستشراق حقيقته وأبعاده:

لقد اختلف المختصون في نشأة الاستشراق وتضاربت الآراء حول سريانه في تراث الأمة بمختلف فروع وفنونه، ماضيه وحاضره، وبعض قضايا التبست بجهود مفكرى الأمة ومؤرخي الأدب. وإن كثيراً من المفاهيم التي حوتها كتب الأدب وتاريخه هي في الحقيقة من بنات أفكار الاستشراق امتزجت بأذواق الأدباء بطريقة أو بأخرى وعدّها البعض عندنا من المسلمات.

حقائق لا يكاد لا يعرفها تمام المعرفة إلا الباحث البصير، المتتبع لمسار الاستشراق القريب منه، وقد تنكّش أمامه الحجب، وتنجلي أمامه الشهب، والبعيد عنه بالطبع يجهل عنه الكثير.

لقد أفرزت هذه الظاهرة تجاذبات فكرية بين الشرق والغرب، وخلفت انطباعات متعدّدة واختلاف وجهات النظر في التعامل معها لاتزال تداعياتها إلى يومنا هذا، وهذا الأمر ليس غريباً باعتبار أنّ موجّهي هذه الظاهرة تعدّدت بيئاتهم ومشاربهم ومنازعتهم وغاياتهم. وبالتالي أوجدوا فضاء للصراع بين الشرق والغرب، بما انطوت عليه جوانحهم من إيديولوجيات دينية وسياسية واستعمارية من جهة، وما أفرزت - في الأوساط العربية والإسلامية - من مؤيد لها و معارض ومن يرى فيها المحاسن والمساوى من جهة أخرى، واختلاف وجهات النظر له ما يبرره باعتبار أن الاستشراق نفسه لم يثبت على حال.

اتخذ الاستشراق في بدايته طابعا دينيا لاهوتيا حيث انطلق من الكنيسة نشأ بين أحضانها فاتخذها ملاذاً له، واتخذت منه قسيسين و رهبانا وجهتهم ككتاب وسرايا الاستطلاع لبلاد الشرق لمعرفة الإسلام، وفهم لغات شعوبه، وإنّ المحصي لطلائع المستشرقين الأولى في "موسوعة المستشرقين" لعبد الرحمان بدوي، و"المستشرقون" لنجيب العقيقي ليجد أنّ معظم

هؤلاء كانوا قسيسين ورهبانا، وبالتالي عملوا على رسم صورة مدققة التفاصيل انطلاقا من تصورات أحكم إعدادها في مختبر الكنيسة. "ومما يذكره العلماء المختصون في هذا المجال أنّ الاستشراق اللاهوتي قد بدأ بشكل رسمي مؤسسي، عندما أصدر قرارا مجمع فيينا الكنسي عام 1312م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية، أما الاستشراق العلماني الذي يتوفر على البحث العلمي في حدّ ذاته بمعنى الاستشراق البعيد ولوظاهريا عن طبيعة الدوافع والغايات الدينية فقد بدأ في أوروبا مع نهاية القرن الثامن عشر في إنجلترا في عام 1779م وفي فرنسا عام 1799.¹

ويرى أندريه ميكال أنّها صفحة انطوت وأعقبتها دراسات جادة معمقة حيث يقول: "لقد مضى زمن الرواد الأوائل من المستشرقين الذين رأوا في دراسة العربية زينة للعمل الدبلوماسي أو البحث العلمي أو مجال الدفاع عن المسيحية وانفتحت طرق جديدة نحو الدراسات المتعمقة للغة والعلوم والعقيدة والتاريخ."²

يتّضح من سياق أندريه ميكال أنّنا أمام نوعين من الاستشراق: أحدهما لاهوت ديني سياسي انقضى أجله، وآخر أكاديمي علمي صرف بعيد عن أيّة خلفية دينية أو سياسية وهو الذي نعيشه حاليا، ولا تداخل بينهما. و لعلّ إدوارد سعيد نفسه رغم انتقاداته القاسية للاستشراق يرى وجود نوع من الجدّية لدى بعض من تمثّلوا الاستشراق المعاصر، وهو ما حمّله على تأليف كتابه " الاستشراق - المعرفة، السلطة، الإنشاء" إذ يقول: " ما كنت لأخذ على عاتقي كتابا من هذا النوع لولا أنّني أومن أيضا بأنّ ثمة تراثا بحثا لا يبلغ الدرجة نفسها من الفساد أو على الأقل من العمى عن الواقع الإنساني، الذي يصله الطراز الذي ما برحت

¹ - خالد محمد فرح الفحل " قضايا العالم الاسلامي من منظور المنهج الاستشراقي والبحثي الفرنسي"، مركز دراسات الإسلام والعالم المعاصر، السنة الأولى العدد 1، يونيو 2008م، سنة الإصدار ماي 2008، ص 9.

² - ينظر أحمد درويش " الاستشراق الفرنسي والأدب العربي" دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دت / ط 2004 ص 38.

بصورة رئيسية أصوره،¹ لكنّه يرى أنّ هذا التراث المستثنى يمتلك قيمة عميقة كعمل بحثي وفي مختلف التخصصات، غير أنّ المتاعب تبدأ مع طغيان التراث النقابي على العمل البحثي.² وبالتالي ليس من السهل التمييز بين الاستشراقين أو وضع حواجز فاصلة بينهما أو كما يظنّه ميكال أندريه.

والحقيقة التي لا مرء فيها أنّ كثيرا من المستشرقين وحتى المعاصرين منهم يتأثر بعضهم ببعض، وتتناسخ أفكارهم، وتتناقل آراءهم، ولذلك تتكرر لديهم الأحكام و النتائج.

وأيا كان طرح أندريه ميكال ورأي إدوارد سعيد ودرجة الاختلاف بينهما، فإنّ الاستشراق كما يبدو جليا في دراسته لآثار الشرق ومعتقداته وعلومه وفنونه ولغاته وآدابه انطلق من بواعث وأهداف لاهوتية ودينية بحثية، وأخرى تاريخية، وسياسية، واستعمارية، وحتى علمية، ومن الدوافع العلمية ما خصّ منه لدراسة أدب الأمة العربية باعتباره تصورا للعقلية العربية في أزمنة مختلفة ومرآة تعكس واقع شعوب هذه الأمة في مختلف مجالات الحياة.

وهذا الاهتمام المتنامي ليس من قبيل الصدفة"ومما لا شك فيه أن الأدب شعرا ونثرا يمثل محورا رئيسا في الحضارة العربية التي أثرت بدورها، لا في الثقافات الأوروبية فحسب بل في الثقافات الأخرى، مما يدل على أهمية هذا الأدب للفكر العالمي عامة والأوروبي خاصة."³

ولعل من أهم أسباب ارتباط الاستشراق بالأدب العربي هو علاقة هذا الأخير باللغة العربية لسان القرآن الكريم مصدر التلقي الأول، ومثري مفردتها ومعانيها، واللغة بدورها هي السبيل لفهم القرآن الكريم وتدبر معانيه.

1 - إدوارد سعيد " الاستشراق - المعرفة، السلطة، الإنشاء" نقله إلى العربية كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت لبنان، ط4/2001م، ص 322،323.

² - ينظر المرجع نفسه، ص 323.

³ - أحمد سمايلوفتش "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر" المرجع السابق، ص 497.

4 - الاستشراق والتراث، وسائل وآليات دراسته:

أ- الاستشراق والتراث العربي:

نظرا لأهمية تراثنا ومكانته العالمية اهتمّ الغرب بدراسته "ولعلّ من نافلة القول أن نسهب في بيان قيمته فقد سبقنا العلماء الأوروبيون إلى الاعتراف بهذا الفضل، واستولت الدهشة إزاء ظهورهم على ما صنع أسلافنا في مختلف زوايا العلم والمعرفة، فالتراث العربي غني في الكيفية وغني في الكمية، ولا تزال آثار هؤلاء الأسلاف في التشريع والعلوم الفلسفية والرياضيات والفنية وغيرها معدودة في قمة الانتاج العالمي"¹

واستغل الغرب هذا التراث في مسيرته الحضارية، في وقت كانت فيه الأمة مكبلة الأوصال بين محتلّ غاشم وحاكم مستبدّ. ومع تقاعس الخلف في اللحاق بركب السلف، وخفوت روج المجاهدة الفكرية في نفسه واقتفائه آثار غيره كان من الطبيعي أن يفسح المجال لسيادة الثقافات الغربية، فكتسحت مجاله، و استباححت حياضه، وضربت عليه بسور ظاهره رحمة وباطنه عذاب و انتقل بذلك هذا الجيل من موضع العطاء إلى موضع الأخذ، وآثر أن يستمدّ من ثقافة غيره أكثر ممّا يأخذ من ثقافته، ومن ثمّ بدأت المرحلة الأخطر وهي التعرف على ثقافته ومعارفه من خلال الآخرين ونشداها من أوعيتهم.

يقول أحمد سمايلوفتش: "وجاء علماء الاستشراق بعد هؤلاء العلماء العظام فأزالوا الغبار عن كتبهم حيث جمعوا مخطوطاتهم ونشروا نفايسها وأنشؤوا مكبتاتهم وأسسوا معاهدها، وأصدروا مجلاتها واستخدموا الأسلوب العلمي والمنهج المنطقي في الكشف عن المجهول، فكانوا في كثير من الأحوال قدوة للدارسين العرب المحدثين ومعلمي لغتهم، ومؤرخي أدبهم، وتحقيق النص، وتنظيم البحث، تم في تتبع الموضوع وتقصي الفروع، وتعداد البحوث."²

¹ - عبد السلام هارون " إحياء التراث وما تمّ فيه " المجلة مصر، العدد رقم 114، في 1 يونيو (يناير)، 1966. ص 17.

² - أحمد سمايلوفتش " فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، المرجع السابق، ص 245.

لكننا قد نتعذر بالظروف التي لحقت بالأمة، وما توالت عليها من أزمات، وما منيت به من نكبات أو نلوم صنيع المستشرقين، لكن نقول "ربّ عذر أقبح من ذنب." فلا مجال الآن للنزول بالأئمة على ما قدموه، بل علينا البحث عن أمكانيات استرداد تراثنا، و تحقيقه وتوثيقه. أقول حتى وإن كان النفع قد يترآى ضئيلاً "فربّ ضارة نافعة."

ب - وسائل الاستشراق في فهم التراث:

قبل أن نتطرق إلى الوسائل والآليات التي اعتمدها المستشرقون في فهم ودراسة هذا التراث الأدبي قديمه وحديثه نطرح السؤال التالي:

• لماذا كل هذا الاهتمام بالأدب العربي قديمه وحديثه؟

لقد شغفت الأمة العربية أيما شغف بتراثها الأدبي، وأولت له أهمية كبرى بلغت به الآفاق مما جعل الغرب عموماً والمستشرقين خصوصاً يهتمون ببحثه ودراسته على باقي الآداب الأخرى لأسباب أهمها¹:

أولاً: صلة الأدب العربي بالإسلام و القرآن الكريم.

ثانياً: أهمية لدراسة وفهم الشخصية العربية.

ثالثاً: أثره في الآداب العالمية مختلفة .

رابعاً: منزلته العالمية واستمرار تاريخه.

غير أنّ اهتمام الاستشراق بالأدب العربي كان في غالبيته منصباً على الأدب القديم أكثر من الأدب الحديث، ولعلّ ذلك مردّه لأسباب عديدة ذكرها أحمد سمائلوفتش، و يمكن حصرها فيما يلي:²

- البحوث في هذا الشأن حديثة، ولم تتبلور بعد فكراً أو منهجياً أو سياسياً.

¹ - ينظر المرجع السابق، ص 491. اقتصرنا على أربعة أسباب.

² - ينظر أحمد سمائلوفتش " فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر " (المرجع السابق) ، ص 509.

- أغلب هذه البحوث تشتغل على الجوانب السياسية والعقائدية والدينية.
- عدم وجود هيئة تختصّ بالاتجاهات الحديثة في العالم العربي الإسلامي.
- كما أنّ الأدب العربي الحديث لم يفرض نفسه بعد على هيئات العلمية العالمية.
- أضف إلى ذلك الاحتلال الثقافي، وما تفرضه مراكز الاستشراق العلمية على طلابها من بحوث في الأدب العربي القديم.

لكن الوضع فيما يبدو تغير نوعا ما في الدراسات المعاصرة، ولم يعد الأمر يتعلّق بالبحوث العربية القديمة بل التفت الاستشراق إلى بعض الدراسات الحديثة لكنّه اتّسم بنوع من الانتقائية في المواضيع والشخصيات، حيث اهتمّ خصوصا بالتي سلكت توجّهات غريبة. وكان لزاما في ظل التفوق الغربي، وظهور المذاهب الأدبية والمناهج النقدية الحديثة، وتنوع الوسائل أن ينطلق الاستشراق من التراث الأدبي عبر عصوره المختلفة باعتبار أنّ استشراق اليوم اكتسى خبرة ومراسا لم يسبق له مثيل.

• وسائل الاستشراق لدراسة التراث العربي

وفي سبيل ذلك انتهج المستشرقون طرقا ووسائل مختلفة في دراستهم للأدب العربي القديم والحديث وما جدّ فيه من دراسات منها:

- إنشاء المعاهد والجامعات وتخصيص كراسي لتدريس لغات وفنون الشرق.
- جمع المخطوطات العربية وتحقيقها ونشرها والتعليق عليها.
- فهرسة المخطوطات العربية، ووضعها في مكتبات قصد البحث والدراسة.
- ترجمة مصادر ومراجع الأدب العربي إلى اللغات الأجنبية.
- تأليف الموسوعات والمعاجم والكتب في مجال اللغة والأدب ومجالات أخرى منها دائرة المعارف الإسلامية التي تُرجمت إلى عدّة لغات.
- عقد المؤتمرات السنوية لتقويم نشاط المستشرقين، وإصدار مجلات وبحوث في مختلف الدراسات الاستشراقية. مثل مجلة العالم الإسلامي.

- إنشاء جمعيات في مختلف بلاد الغرب كجمعية المستشرقين الفرنسيين والإنجليز

والأمريكيين.

- المشاركة في تأطير الجامعات والمجامع العلمية العربية.

يقول أحمد شاکر: "فكان عمل هؤلاء المستشرقين مرشدا للباحثين منّا المحدثين وفي مقدّمة من قلّدهم وسار على نهجهم العلامة الحاج أحمد زكي باشا رحمه الله، تمّ سار من سار سيرته واحتذى حذوه. وعن ذلك كانت طبقات المستشرقين نفائس تُقْتنى وأغلافا تُذخّر وتعالى الناس وتغالينا في اقتنائها، على علوّ ثمنها، وتعسّر وجود كثير منها على راغبه." ¹ وإن كان أحمد شاکر في بعض كتاباته لا يعترف بالاستشراق إلا في حدود معيّنة.

ويذهب أحمد حسن زيات إلى أبعد من ذلك بقوله: "كانوا في ذلك قدوة لمعلمي اللغة ومؤرخي الأدب من العرب في تحضير المادة وتنظيم البحث، وتوخي الدقة، وتجري الصواب وتقصي الفروع." ²

بينما نجد الأستاذ مالك ابن نبي رحمه الله في حكم مبدئيّ على المستشرقين يصنّفهم من حيث الاتجاه العامّ إلى طبقتين: طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها. كما أنّه لا ينفي وجود الحقيقة العلمية لذي بعضهم من أمثال آسين بلاثيوس ودوزي وغوستاف لبون وغيرهم، و" لا شك أنّ هؤلاء العلماء كتبوا لنصرة الحقيقة العلمية وللتاريخ، وكلّ ذلك من أجل مجتمعهم الغربي." ³ لكنّه في آخر المطاف يرى أنّ إنتاجهم بشكله المزدوج كان وبالاً على المجتمع الإسلاميّ لأنّه كان يحمل في تركيبه معنى الإقصاء سواء

¹ - أحمد محمد شاکر " تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتب، وسبق المسلمين الإفرنج في ذلك" اعتنى وعلّق عليه وأضاف إليه عبد الفتاح أبوغدة، شركة البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط3/ 2007، ص12.

² - أحمد حسن الزيات "تاريخ الأدب العرب للمدارس الثانوية والعليا" دا رالثقافة بيروت لبنان، ط 28 /دت ط ص593.

³ - مالك بن نبي " إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث" المرجع السابق، ص 8.

بإبعادنا عن واقعنا وإغراقنا في نعيم الماضي عن طريق الإطراء والتبجيل، أو التكذيب والانتقاص من شأننا عندما حوّلنا حماة ظلمٍ عن جتمع منهار، مجتمعا مابعد الموحّدين¹.

وعلى أيّة حال فالتواجد الاستشراقي المكثف في مرحلة معيّنة أفرزته ظروف مختلفة وإن أريد به الاستفادة من الذخائر العربية، وللعرب كذلك فيه مآرب منها: التفاتهم إلى تراثهم، ومعرفة المناهج العلمية الحديثة التي استفاد منها الباحثون العرب في الدراسات الأدبية وتحقيق النصوص.

وإن كان الاختلاف من طبائع البشر لكن لا بدّ من توافق في المنهج لنصرة الحقيقة العلمية أينما وجدت " والبشرية إذا لم يكن لها منهج موحد ترجع إليه عند الاختلاف وتزن مفاهيمها ونتائج أبحاثها بميزانه فإنّها ستختلف ويشتدّ اختلافها."²

وعلى هذا الأساس كان لا بدّ لنا من دراسة الاستشراق دراسة جادة موضوعية بعيدة عن الأحكام المسبقة، والتعميمات المسقطّة، التي لا تفضي إلى شيء سوى وضع الاستشراق موضع المتهم، وبالتالي نسف كلّ ما قدمه لهذه الأمة، ونحن نعلم أنّ منهم من يسرّ لنا سبل البحث كما أشرت من خلال جمعهم للمخطوطات، وتصنيفها وفهرستها.

وقد نحاسب المستشرقين وفيينا من هو أشدّ إيلاما لهذا التراث، "لقد التقى على الاهتمام بهذا التراث العرب و المستعربون الشرقيون و المستشرقون، واجتمع عليه أعداؤه و أصدقاؤه."³ و من خلال الدراسة الفعلية للاستشراق نتبيّن إن كان هذا الأخير أكثر فهما للتراث العربي الإسلامي وأقدر على تأويل مشكله، وأتباع المنهج الملائم من أولئك الذين عاشوا لتراثهم لا لذواتهم.

¹ - ينظر المرجع نفسه، ص 25.

² - جمال عبد الهادي محمد مسعود، ووفاء محمد رفعت جمعة "منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا؟ وكيف؟ المرجع السابق ص228.

³ - شكري فيصل " التراث العربي خطة و منهج" مجلة التراث العربي، سوريا، العدد3 - - 15 أكتوبر 1980، ص 212.

ولذا فمعظم الجهود تتجه الآن إلى الدراسة المتخصصة لكل شخصية استشراقية و معرفتها معرفة دقيقة من خلال ما خلفته من آثار، و ما قدمته من أعمال تكشف عن جوانب الإيجاب والسلب، وهو الاتجاه الذي ارتضيناه - إن شاء الله - في هذا البحث و سنحاول اتباعه في قراءتنا لآثار الأديب الكاتب والمحقق المترجم الفرنسي المستشرق شارل بيلا.

الفصل الأول

في المنهج الأدبي

الفصل الأول: في المنهج الأدبي

- المبحث الأول: المنهج التاريخي.
- المبحث الثاني: المنهج الاجتماعي.
- المبحث الثالث: المنهج النفسي.
- المبحث الرابع: المنهج اللغوي.

المبحث الأول: المناهج الأدبية وأهميتها:

1. المناهج الأدبية.
2. أهمية المناهج.
3. مبادئ عامة لمنهج البحث الأدبي.
4. وظيفة ومواصفات الناقد في ضوء المناهج الأدبية:

المبحث الأول: المناهج الأدبية وأهميتها:

1. المناهج الأدبية:

تعدّ المناهج الأدبية عمدة الدراسات الأدبية الحديثة، والسبيل إلى إدراك حقائق النصوص وفهم رموزها، لما توفره من وضوح الرؤية، وقياسية تحقيق الغايات، وهذا إذا ما أحسن تطبيق مفاهيمها، ورُوِّعَت خطواتها.

والمنهج بالمفهوم المتعارف عليه في اللغة هو الطريق الواضح المستقيم البين المعالم ولاخلاف في ذلك عند أصحاب المعاجم قديما وحديثا من أنّه الوضوح والاستبانة.

و المنهج "Method" "في معناه العامّ هو الوسيلة التي توصلنا إلى هدف محدّد. وهو في معناه الخاصّ طريقة الباحث في تحصيل المعرفة، كما أنّه المعيار لها من حيث حقيقة مطابقتها للقوانين الموضوعية التي تحكم تطور الواقع عامّة.¹ و قد يراد به الطريق الذي يسلكه الباحث في سبيل الوصول إلى الحقائق بطرق علمية مدروسة، بعيدا عن العشوائية والارتجالية، غير أنّه في العصر الحديث تعدّدت تعريفاته الاصطلاحية تبعا لتنوّع ميادينه.

لم يكن المنهج نتاج العصر الحديث، بل وجد عند قدماء اليونان والعرب على حدّ سواء فقد عرفه الإغريق من قبل وظهرت معالمه عند كلّ من أرسطو وأفلاطون، لكنّه كان لصيقا بالفلسفة نشأ بين أحضانها وظلّ مجاله مبعث الجدل إلى أن انفصل عنها وأصبحت معالمه أكثر وضوحا في العصر الحديث، حيث ظهر فرنسيس بيكون وكتابه " المنطق الجديد " ثمّ نشر ديكارت في المنطق، وللفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (1724-1824) جهود رائدة في علم المنهج،" و نظرا للتقدّم السّريع للعلم في العصر الحديث اختصّ المنهج بفرع من العلوم

¹ - عبد السلام الشاذلي " الأسس النظرية في مناهج البحث الأدبي العربي الحديث ". دار الحداثة للطباعة و النشر والتوزيع . بيروت لبنان ط1 / 1989، ص9.

الإنسانية يعرف بعلم المناهج " Methodology " وذلك لتقنين الأسس النظرية للمعرفة العلمية.¹

غير أنّ علم المناهج كعلم قائم بذاته يحدّد المناهج و مبادئها التي نسلكها لبلوغ الحقائق العلمية لايزال يكتنفه كثير من الغموض - بلا شك - بسبب عدم وضوح الرؤية، وسوء الممارسة، مما قد يُعرّض الباحث لمخاطر جمّة، و يؤدّي به إلى الإخفاق في مسعاه بسبب سوء تطبيقها، وما يترتب عنها أحيانا من إسقاط لأحكام تعسفية في حقّ الأدب، كما أنّها مع تعددها وثرائها، وتطبيقها تطبيقا سليما مأمون العواقب يسهم بلا ريب في خدمة الأدب وازدهاره. و على الباحث أن يتزود بعلم المناهج وأدواته، والعلوم المساعدة له، والتي هي عمدته في تخطّي الحواجز اللغوية والأدبية، دون أن ننسى شرطي العمل الصالح أو الناجح: الإخلاص والصواب.

إنّ المناهج الأدبية جاءت لتضع معالم الطريق كما تصوّرها العلماء الأجلّاء خدمة للعلم وتيسيرا للفهم انطلاقا من محاور العملية الإبداعية (المبدع - النص - الملتقي)؛ فأما ماتعلق بالمبدع فينضوي تحته المنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي، والمنهج النفسي أو ما اصطلاح عليها بالمناهج السياقية.

فأما ما تعلق بالنص فنجد المناهج التالية: البنوي والأسلوبي والسيمولوجي والتفكيكي وعلم النص وهي مناهج حديثة، و أمّا ما تعلق بالقارئ فيُسمى نظرية التلقّ، وكل هذه المناهج تخدم مسار العملية الإبداعية عموماً.

سنكتفي في هذه الدراسة بالمناهج التقليدية التي ارتبطت بالعلوم والتي كانت سبابة في مجال الكشف عن خبايا النصوص وهي: المنهج التاريخي، والمنهج الاجتماعي، والمنهج النفسي والمنهج اللغوي.

¹ . المرجع السابق، ص 9.

و النصوص الأدبية من شعر ونثر فن وصناعة، وجوهر الدراسات الأدبية، والنظر والتأمل والبحث فيها ونقدها وتقويمها ليست من الأمر الهين، فهي ممارسة جلييلة إذا ما خلّصت التّوايا وحكّمت مبادئ المنهج و رُوّعت خطواته.

وتحليل النص أو تفسيره أو تأويله، وفق المنهج التاريخي أو اللغوي أو السيكولوجي أو السوسولوجي وغيرها من المناهج البحث تقتضي من الباحث الإلمام بالمنهج وبكلّ علم له ارتباط به في أيّ ميدان من الميادين.

2. أهمية المناهج:

المناهج طرائق وآليات واضحة المعالم، ومجموع مساع يعتمدها الباحث في الكشف عن تصوره للبحث أو لمنهجه وهو "قائم على اقتراحات تمّ التفكير فيها ومراجعتها جيدا والتي تسمح له بتنفيذ خطوات عمله بصفة صارمة وبمساعدة الأدوات والوسائل التي تضمن له النجاح."⁽¹⁾

فالمسعى أو الطريقة مهمة جدا لضمان بلوغ الغاية والوصول إلى الهدف " فإن لم يكن المسعى منهجيا فإن النجاح يكون سطحيا أو ظاهريا فقط، "⁽²⁾ ومعرفة الطريقة أو المنهجية المتبعة والوسائل المعتمدة كفيلا بتحقيق النجاح، وبهما مرهون أيّ تقدم في هذا المجال "ذلك لأن النتائج في حد ذاتها لا تعني شيئا، بل إن الأساس المتين لبحث ما وصحته هما اللذان سيتم الحكم عليهما أساساً، وانطلاقاً من مدى ملائمة المنهج ووسائل تطبيقه."⁽³⁾

ويمكن القول إنّ معرفة الباحث للمناهج الأدبية تمكّنه من الولوج إلى مغاور النصّ وفهم ما بين سطوره ودراسته بصورة مؤمنة، قياسية زمنيا في تحقيق الأهداف وبلوغ الغايات، كما أنّها

1 - موريس أنجوس، "منهجية البحث في العلوم الإنسانية تدريبات عملية" ترجمة، بوزيد صحراوي وكمال بوشرف وسعيد سبعون، الإشراف مصطفى ماضي، دار القصبية للنشرالجزائر، ط2، 2006م، ص 37 .

² - المرجع نفسه، ص 37 .

³ - المرجع نفسه، ص 37 .

توجه الباحثين المبتدئين وتبني دريهم، وتيسر لهم سبل البحث وتحقيق النجاح، وتمكن المبدعين من التواصل مع غيرهم بلغة العلم من خلال المناهج والنظريات الجديدة، كما تسهم في تطوير البحث العلمي وبذلك ينمو الأدب ويزدهر.

3. مبادئ عامة لمنهج البحث الأدبي:

للمناهج عامة مبادئ وشروط يجب على الباحث مراعاتها بغض النظر عن جنس الباحث أو موطنه أو ميدان بحثه، وهي بمثابة روح المنهج منها:

- التجرد من الأهواء وعدم الوقوع تحت سلطانها، شرط المنهج الأول وأساسه، فلا يميل الباحث كل الميل لإثبات ما يوافق هواه.

وعن خطر هذا التوجه يقول محمود محمد شاكر: "وأما الأهواء فهي الداء المبير والشّر المستطير، والفساد الأكبر، إن هو ألم بأي عمل إمامة خفية الدبيب بله الوطاء المتناقل، أحاله إلى عمل مستقذر منبوذ كرهه، حتى ولو جاءك هذا العمل في أحسن ثيابه وحليته وعطوره وأتمها زينة، من دقة استيعاب وتمحيص ومهارة وحذق وذكاء."¹

- الالتزام بالموضوعية والحياد، بمعنى أن يقف الباحث من الظاهرة التي يدرسها موقفا محايدا من الناحية الانفعالية والعاطفية، وتسجيل الوقائع والأحداث كما هي موجودة في الواقع دون تحيز أو تعصب²

- عدم القفز في الاستدلال من مقدمات بسيطة أو حالات جزئية فردية قليلة إلى التعميم المطلق (التعميم الجزائي).³

1- محمود محمد شاكر "المتني رسالة في الطريق إلى ثقافتنا" مطبعة مدني القاهرة مصر، 1407هـ. 1987م، ص 66-67.

2 - ينظر عبد الفتاح محمد العيسوي، د/ عبد الرحمان محمد العيسوي، "مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث" سلسلة دراسات في التراث العربي الإسلامي، دار الراجحي الجامعية ط/ 1996، 1997، ص 11-10.

3. المرجع نفسه، ص 11.

- عدم الخلط بين مفهوم الارتباط ومفهوم العلمية أو السببية*.
- الأمانة العلمية وإسناد الحقائق والمعلومات والنظريات إلى أهلها ومكتشفها.
- توفر الإرادة والعزيمة والصبر، فقد تطول الدراسة بالباحث وتتأخر النتائج، وقد يضيق الصدر بما رحب ويبقى الصبر مفتاح الفرج.
- الروح العلمية البناءة بمعنى: "على الباحث أن يتّصف بالروح العلمية، و ألاّ يجعل المناقشة مباراة و مغالبة، بل عليه أن يدعّم رأيه بحجج دامغة وأدلة واضحة." ¹
- ولا بد من ثقافة واسعة وإلمام بعلوم المناهج، والعلوم المساعدة لها، لتحقيق نتائج إيجابية في الأخير.

4. وظيفة ومواصفات الناقد في ضوء المناهج الأدبية:

- إنّ المناهج الأدبية على اختلافها وتعددتها و ثرائها فالقاسم المشترك بينها هو الأدب أو العمل الأدبي، وللقند وظيفة التمحيص والتّخل وإبراز محاسن النصوص ومساوئها وتصويبها فلا نقد بدون نصوص، ولا غنى للنصوص عن النقد، فهو الذي إمّا أن يرفع معنوياتها ويرتقي بها إلى مدارج الرقيّ والكمال، وإمّا أن يحيلها ركاما لا قيمة لها.
- "لقد اتسم النقد الأدبي في بعض أمثلته بالانطباعية كما اتسم في بعضها الآخر بالعلمية الدقيقة والصارمة، ودعونا لا نعجب لذلك فالأدب نفسه - وهو موضوع النقد - يتراوح بين

* الارتباط نوعان ارتباط إيجاب وارتباط سلب (كلما زاد مرض الطفل قلّ تحصيله الدراسي) لا يعني بالضرورة وجود علاقة علمية أو سببية.

1 - عز الدين شريفني "مناهج البحث العلمي ومناهج تحقيق النصوص، للطلبة الجامعيين والباحثين"، دار شريفني للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، د/ت ط، ص 15.

الغثّ والسمين،"¹ ولذا فقد يكون الخلل في النص ونطالب الناقد بمالا يطيق، و مهما يكن فلا بدّ أن يتسلح الناقد بمواصفات النقد "فالناقد الأدبي الحق هو الذي يتساءل حول العمل الأدبي الذي يتناوله، و يرحل ككشاف مغامر يقتفي آثاره متسلحا بمنهجية واضحة و أدوات استقصاء ملائمة، يدفعه إلى ذلك حب الأدب والرغبة في تذوقه، وفهم آلياته وتوصيله موضّحا إلى العامة والخاصة"² وليس هذا فحسب بل "هو الذي يتفادى الحكم على العمل الأدبي وفق مزاجه ودوافع لا علاقة لها بالأدب، وهو الذي لا يفرض معيارا خارجيا ضيقا يفسر النص على التواءم معه أو هو يدينه عند استحالت هذا التواءم معه."³ فالقراءة النقدية إبداع ثان يفترض أن تتسم بالحنكة والمهارة لأنها تحيي النصّ وتحميه من الجمود و الاندثار.

وظيفة الناقد تجاه العمل الأدبي كما رسمها سيد قطب (رحمة الله عليه) تتمثل فيما يلي:

- تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية.
- بيان قيمته الموضوعية و التعبيرية والشعورية.
- تعيين مكانه في خط سير الأدب.
- تحديد ما أضافه إلى التراث الأدبي في لغته، وفي العالم الأدبي كله.
- قياس مدى تأثيره بالمحيط وتأثيره فيه.
- تصوير سمات صاحبه وخصائصه الشعورية والتعبيرية.
- كشف العوامل النفسية التي اشتركت في تكوينه، والعوامل الخارجية.⁽⁴⁾

¹ - دانييل برجيز "مدخل إلى مناهج النقد الأدبي" مجموعة من الكتاب، ترجمة د/رضوان ظاظا، مراجعة د/ منصف الشنوبي "عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية - المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب- الكويت 221 ماي 1997، ص 5 (من مقدمة المترجم)

² - المرجع السابق، ص 5 .

³ - المرجع نفسه، ص 5.

⁴ - سيد قطب"، النقد الأدبي أصوله ومناهجه"، دار الشروق القاهرة، ط 8/1424هـ/2003م، ص 7. (من المقدمة).

والناقد الحقّ كما يتمثله أحمد أمين أو كما يجب أن يكون هو ذلك " الذي يكون ذهنه منتبها ومرنا حادّ النظرة، سريع الاستجابة لكلّ التأثيرات، قويّ الفهم للأساسيات، وفوق كلّ ذلك يجب أن يكون كما قال ماتيو أرنلد قادرا على أن يرى الشيء كما هو في الحقيقة و ألا يزيغ في ضباب من ميوله الخاصّة وأفكاره السابقة.¹ فالنقد لا يخلو من الذاتية والاحكام ذاتها ليست معيارية، أذواق تخضع للنسبية، ومع ذلك لا ينبغي أن تظلّ الذاتية هي المسيطرة.

وقد حاول سيد قطب أن يؤصّل للنقد العربي انطلاقا من مرجعيات عربية أصيلة مع إدراجه ما استحسنه من المناهج الحديثة الأجنبية، والاستعانة بها في حدود معينة إذ يقول: " آثرت أن أتحدّث عن المناهج في محيط النقد العربي القديم والحديث فإذا اضطرت إلى الاقتباس من مناهج النقد الأوربي كان هذا في الحدود التي تقبلها طبيعة النقد في الأدب العربي وتنتفع بها، وتنمو بها نموا طبيعيا بعيدا عن التكلف والافتعال.²"

وهو حين يتطرق إلى التجربة الشعورية يبين ما لها من مكانة في العمل الأدبي لكن لا تكفي وحدها إذ يقول: " فالتجربة الشعورية هي العنصر الذي يدفع إلى التعبير، ولكنها بذاتها ليست هي العمل الأدبي، لأنها مادامت مضمرةً في النفس، لم تظهر في صورة لفظية معينة فهي إحساس وانفعال لا يتحقق به وجود العمل الأدبي. "³ واللفظ يراد به هنا الإنشاء؟ لأنّ الأديب له تجارب في الحياة يعبر عنها، وقد يعبر عن تجارب غيره فعمله " إمّا تعبيرا عن نفسه أو تهديبا لغيره بالإفادة والتأثير"⁴

فكما أن التجربة الشعورية لا تكتمل بدون صورة لفظية في العمل الأدبي فكذلك الشأن بالنسبة للتعبير وهو " في اللغة يشمل كل صورة لفظية ذات دلالة، ولكنه لا يصبح عملا أدبيا

¹ - أحمد أمين "النقد الأدبي" في جزأين مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3/1963. ص 194.

² - سيد قطب " النقد الأدبي أصوله ومناهجه" المرجع السابق، ص 8.

³ - المرجع نفسه، ص 11

⁴ - أحمد الشايب "أصول النقد الأدبي" مكتبة النهضة المصرية ط10/1993، ص 170.

إلا حين يتناول "تجربة شعورية" معينة.¹

فالعمل الأدبي لا تتم له غاية إلا إذا عبّر عن تجربة شعورية أثرت في نفس صاحبها و عبّر عنها لفظاً في صورة موحية مؤثرة في المتلقي تجعله يفعل بها ويتجاوب معها.

ولتحقيق الغاية المرجوة من وظيفة الأدب يُحسن أن تتمّ بعمل تكامليّ حقيقيّ يجمع بين الاديب الجادّ والناقد الحقّ. وقوام ذلك كلّه روح أخلاقية تسري بين الطرفين تضع الموازين القسط لتحفظ الأدب من التردّي والزوال، لأنّ "مناهج البحث ليس قيادة للفكر فحسب بل هي أيضاً، قبل كلّ شيء قيادة أخلاقية لأنّ روح العلم روح أخلاقية، وكما يُخشى على الفرد الذي يزاول الحياة العملية من الانحراف عن مبادئ الشرف كذلك يُخشى من الخطر نفسه على من يزاولون أعمال الفكر بل ربّما كان الخطر أعظم هنا"².

ويبقى أن نحافظ على روح العلم وأخلاقياته لأنّها الروح التي تنفث الحياة في العلم أو الروح التي تكهرب المادّة - إن صحّ التعبير - فتصيرها حيّة خالدة مؤثرة في النفس، لا تزول بزوال أصحابها مع مرور الزمن.

¹ - سيد قطب"، النقد الأدبي أصوله ومناهجه"، المرجع السابق، ص 11.

² - لانسون وماييه "منهج البحث في اللغة والأدب" ترجمة أحمد مندور، دار العلم للملايين ط2/فبراير1982م، ص12.

المبحث الثاني: المنهج التاريخي.

1. المنهج التاريخي: مجالاته ومخاطره.
2. التأريخ بين المؤرخ والمادّة التاريخية والمنهج:
3. المنهج التاريخي والأدب العربي.
4. المستشرقون والمنهج التاريخي.

المبحث الثاني: المنهج التاريخي.

1. المنهج التاريخي، مجالاته، ومخاطره:

أ- المنهج التاريخي:

يعدّ المنهج التاريخي من أقدم المناهج الأدبية، وأوفاهها حظاً وعناية من طرف الأدباء والتّقاد بل والفلاسفة قديماً وحديثاً، يلجأ إليه الباحث لمعرفة الماضي الإنساني حقّ المعرفة والظروف والملابسات المحيطة بالظاهرة، و الوصول إلى حقائق تساعد على فهم الحاضر، كما يطلق عليه أيضاً المنهج الاستردادي.

و قد نلجأ إليه إذا أردنا " أن ندرس مدى تأثير العمل الأدبي أو صاحبه بالوسط ومدى تأثيره فيه، أو في دراسة الأطوار التي مرّ بها فن من فنون الأدب أو لون من ألوانه، أو معرفة مجموعة الآراء التي أبدت في عمل أدبي أو في صاحبه، أو لنوازن بين هذه الآراء، أو لنستدلّ منها على لون التفكير السائد في عصر من العصور"¹ وقد نعد إلى المنهج التاريخي للربط بين خصائص جيل أو أمة في آدابها بمجموع الظروف التي أحاطت بها، و في التأكيد من صحّة النصوص أو صحّة نسبتها إلى قائلها.² فلا سبيل للتجاوب مع هذه المواقف والسبل المعترضة وتحقيق هذا المبتغى إلاّ بسلوك المنهج التاريخي، وقد برز فيه رواد كُثُر نذكر منهم:

سانت بييف (1804-1869):

سانت بوف في أحاديثه المعروفة بـ"أحاديث الاثنين" دعا إلى دراسة علمية تقوم على بحوث تفصيلية لعلاقاتهم بأوطانهم وأممهم وعصورهم، وآبائهم وأسرههم، وتربيتهم وأمزجتهم وثقافتهم، وتكويناتهم المادية والجسمية، وخواصهم النفسية والعقلية، وما يتصل بكلّ

¹ - سيد قطب " النقد الأدبي أصوله ومناهجه"، دار الشروق، القاهرة، ط8/1424هـ. 2003م، ص 165.

² - ينظر المرجع نفسه، ص 165.

ذلك من عادات وأفكار ومبادئ.¹ وسانت بوف يقسم الأدباء تبعاً لفصائل النبات، وما تتعرض له من مؤثرات خارجية وما تتصف به من صفات وخصائص.

التقييم بهذا الشكل مححف في حق الأديب - بدون شك - الذي يتأثر بالعوامل الخارجية ويتفاعل معها وله مؤثرات داخلية وخصائص قد يتفرد بها عن غيره من بني جنسه، ولا تتساير في كثير من الأحيان مع منطق النبات.

هيلون تين (1828-1893) H. Taine:

يرتكز تين في تفسيره للأدب - كما هو معروف - على ثلاثة عناصر أساسية وهي: الجنس أو العرق والبيئة، و العصر أو الزمان.

تأثير الجنس يظهر من خلال توريث الفرد بعض الخصائص الجماعية، كما أنّ للمحيط أو البيئة الجغرافية التي ينشأ فيها تأثيراً كذلك، وللأحداث والظروف التي تشهدها المنطقة. فجعل من هذه العناصر المذكورة قوانين جبرية ملزمة للعمل الفني للأديب.

وقد أخذ بهذا الاتجاه المستشرق "رينان" في تصنيفه للأجناس البشرية، فحكم للجنس الآري بالذكاء والفطنة، وحكم على السامي بالقصور والبلادة. " وهو في كلّ ذلك يُنكر فردية الأديب وأصالته إنكاراً تاماً ويبالغ في تسليط قوانين الجبرية الثلاثة، متناسياً أنّ قوانين الطبيعة ثابتة دائماً، ولا تتغير من بيئة إلى أخرى ومن عصر إلى عصر، خلافاً للقوانين الأدبية التي تتغير وتتطور بحيث يتيح لها ظهور المدارس والمذاهب الأدبية الجديدة.²

هذا من جهة، ومن جهة ثانية أن الصفات الفردية هي التي تتيح الخلق والإبداع والتميز بين البشر و التفوق والتفرد، و البشر لهم من الصفات ما هي موروثه و ما هي مكتسبة و للوسط دور في صقل و تهذيب المواهب، ونماء القدرات و المعارف.

¹ - يحيى وهيب الجبوري "منهج البحث وتحقيق النصوص" دار الغرب الاسلامي - بيروت لبنان - ط1/1993م، ص 17.

² - المرجع نفسه ، ص18.

فرديناند برونيتير Ferdinand Brunetiere (1849-1906):

تأثر بنظرية "النشوء والارتقاء". وغيرها من مفاهيم علوم الطبيعة والحياة التي تعتبر مفاهيم علمية بحثية أراد أصحاب المنهج التاريخي إسقاطها على الأدب. رغم ما كان لهؤلاء الرواد من جوانب إيجابية إلا أنّ تطبيق قوانين العلوم الطبيعية الثابتة على الأدب المتغير كان له أثر سلبي على توجهات المنهج التاريخي.

غوستاف لانسون Gustave lanson (1857-1934):

أسهم الباحث و الناقد لانسون بحق في توجيه منهج البحث التاريخي من خلال كتابه "منهج البحث في الأدب"، وعدّه النقاد المؤسس الحقيقي للمنهج التاريخي، بحيث أرسى قواعده بعد أن حدّد معالم التاريخ الأدبي، ولعلّ من أهم منجزاته أنه جمع بين قواعد البحث العلمي ومتطلبات الذوق، وميّز بين التاريخ العامّ والتاريخ الأدبي وهي مفاهيم لم يدركها سابقوه في منهجهم هذا، وبالتالي وهب المنهج التاريخي قوة ووضوحاً.

تأثر الأحداث السياسيّة والاجتماعيّة والوقائع المتجددة في التفكير البشري وتوجيه إنتاجه الفني، في هذا المجال يقول عبد العزيز عتيق "للحياة السياسيّة والاجتماعيّة بأوضاعها المتجددة والمتغيرة سلطانا على الفنون الأدبيّة، فكثيرا ما تعين هذه الأوضاع فناً على الظهور وآخر على الاختفاء والانكماش".¹

يرتبط المنهج التاريخي بالمنهج الفنيّ على غرار باقي المناهج، فقد تغيب الدلائل والقرائن التاريخية المتعلقة بالشخصيّة الأدبيّة، فلا سبيل إلى الرجوع إلى النصّ إلا باعتماد المنهج الفنيّ.

ب – مجالات المنهج التاريخي: المنهج التاريخي أصيل وعريق وله مجالات متعدّدة منها أنّه:

— يبين علاقة التأثير والتأثر بين العمل الأدبي وصاحبه والبيئة التي نشأ وترعرع فيها.

— يدرس المراحل والأطوار التي مرّ بها أيّ فن من الفنون الأدبيّة نثرا كان أو شعرا.

¹ - عبد العزيز عتيق: "النقد الأدبي" دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1/1972، ص290

— يمكننا من معرفة الآراء والأحكام التي قيلت في أي عمل أدبي أو صاحبه.

— يوازن بين مختلف الآراء الصادرة في الشخصية الأدبية أو عملها الأدبي.

— يستدل من خلال استنتاجات على التفكير السائد في عصر من العصور.

لا يصلح لهذه المجالات المذكورة إلا المنهج التاريخي، وقد يستعين هذا الأخير بالمنهج الفني في مجال التذوق والحكم ودراسة الخصائص الفنية.

وأما المراحل التي يلجأ إليها الباحث في دراسته للظواهر أو الأحوال التاريخية لغرض من الأغراض الأدبية أو لون من ألوانه، فتمثل فينا يلي¹:

أولاً: جمع النصوص بقدر المستطاع من المصادر، وترتيبها ترتيباً تاريخياً بعد تحريرها ونسبتها إلى قائلها.

ثانياً: جمع آراء المتذوقين والنقاد على اختلاف عصورهم لهذا اللون من الأدب.

ثالثاً: دراسة جميع الظروف التي أحاطت بتلك الأطوار وأثرت فيها.

ويقوم المنهج التاريخي بالبحث في تلك الصلة التي تربط الأدب بالتاريخ " فأدب أمة من الأمم يعدّ تعبيراً صادقاً عن حياتها السياسية والاجتماعية ومصدراً مهذباً من مصادرها التاريخية ذلك بأنّ الأدب يلمّ بروح الحوادث والأطوار المتعاقبة فيصوّرها ثم يتأثر بها"²

يرى أحمد الشايب أنّ صلة الأدب بالتاريخ تدفعنا إلى الدراسة الأدبية من عدّة وجوه:³

أولاً: معرفة التاريخ السياسي والاجتماعي لأنّه لازم لفهم الأدب وتفسيره ولتعليل كثير

من موضوعاته وأطواره والاتجاهات العامة التي يجري فيها الأدب ويسلكها الأدباء في نهضة الشعر.

¹ - المرجع السابق، ص 166

² - أحمد الشايب " أصول النقد الأدبي " مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ط 10\1994، ص 93-94.

³ - ينظر المرجع السابق، ص 95.

ثانياً: الدراسة التاريخية تفسّر لنا الكتب التي ألّفت في فترة زمنيّة وما شملته من أحداث سياسيّة ودينيّة، واقتصاديّة، وهي تصوير لتلك الحقبة الزمنيّة، فمؤلفات الجاحظ تصوّر امتزاج الثقافات والظروف التي سادت تلك الفترة.

ثالثاً: الباحث معرّض للخطأ في فهم وتقدير آراء وأفكار وأخيلة الأدباء ما لم يربطهم ببيئاتهم وظروفهم المختلفة، والإمام بها وبالمقاييس النقديّة والخلقية.

رابعاً: الحياة السياسيّة والاجتماعية وما لها من دور في انتشار أو ذيوع فن وخفوت آخر.

خامساً: دور البيئة في تغيير أساليب التعبير عند الأدباء.

سادساً: التنوّع رغم أنّ النقد واحد، إلّا أنّ المميّزات التاريخيّة لكل إقليم تفسّر لنا نشأة الآداب القوميّة في أقطار الشرق العربي.

يعتمد المنهج التاريخي في تقييمه للعمل الأدبي على معطيات قد يستقيها الباحث من دراسة علاقة صاحب الأثر بالبيئة، وعملية التأثير والتأثر المتبادلة بين الطرفين باعتبار أنّ الإبداع لا ينفصم عن البيئة، وأنّ المبدع ليس كيانا مستقلاً عنها، وللاّخرين من معاصريه أو من جاؤوا بعده ما يقولون فيه.

وقد يترسّم الباحث جوانب أخرى في الأثر من حيث هو فن يمرّ بمراحل عبر العصور ولا شكّ أنّ الأثر كالكائن الحيّ ينمو ويزدهر، كما قد يخفت ويأفئ.

وخلاصة القول إنّ المنهج التاريخي " يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتحليل ظواهره وخواصّه. " ¹ ومهما علا واجتهد صاحبه في تحصيله فلا بدّ له من اعتماد المنهج الفني " لأنّ التذوّق والحكم ودراسة الحقائق الفنية ضرورية في كلّ مرحلة

¹ - سيّد قطب لنقد الأدبي، ص 288

من مراحل المنهج التاريخي.¹ فالظواهر والأحداث قد تتشابه برغم اختلاف الأزمنة والأمكنة والظروف والملابسات.

ج - مخاطر المنهج التاريخي

إنّ معرفة مخاطر المنهج التاريخي غاية في الأهمية لتحقيق صواب المنهج، وتوخي محظوره والسير بخطا ثابتة نحو الهدف. ولسلامة المنهج وخشية الوقوع في المحذور حدّد منظّره حدوداً بمثابة مخاطر للمنهج التاريخي لكي يحترز الباحث منها وهو يقتحم مجال البحث والتنقيب سواء في بداية البحث أو أثناءه أو منتهاه منها:

* الاستقراء الناقص.

* الحكم الجازم.

* التعميم العلمي.

* إلغاء قيمة الخصائص والبواعث الشخصية.

وقبل أن نقف على المخاطر المذكورة سلفاً بشيء من التفصيل نشير إلى أنّ المنهج التاريخي في نقده للأدب العربي استعار جملة من المصطلحات من مجالات مختلفة ضمن جهازه المفاهيمي "منظومة المصطلحات" من التاريخ وعلم الاجتماع وعلم الأحياء²، وإن كانت بينه وبينها وشائج إلّا أنّ إخضاع الأدب لقوانينها نراه من عيوب المنهج التاريخي.

فأما الاستقراء الناقص: فقد يؤدّي بالباحث إلى الحياد عن جادّة الطريق جرّاء اعتماده "على الحوادث البارزة أو الظواهر الفدّة التي لا تمثّل سير الحياة الطبيعي..."³ فليس كل ما يلمع ذهباً، فقد لا يحقّق الغاية من هو أكثر دلالة لذا علينا أن نجتمع الحوادث والأدلة والحقائق "حادثة أو نصّاً أو مستنداً" وأن نستفي النسخ الكائنة قدر المستطاع، وهذه الكيفيّة

¹ - المرجع السابق، ص 288

² - صلاح فضل "مناهج النقد المعاصر" ميريت للنشر - القاهرة، ط1/2002، ص 43.

³ - سيّد قطب "النقد الأدبي أصوله ومناهجه" المرجع السابق، ص 168.

أسلم وأصوب في إبانة الموضوع و الإحاطة به. و" ألا نصدر أحكاماً إلا بعد الانتهاء من جميع هذه الأسانيد، فذلك أضمن وأكفل بالصواب."¹

ويرى سيّد قطب أنّ ما ذهب إليه طه حسين في حكمه على شعر المجون في العصر العباسي على أنّه يمثّل روح العصر استقراء ناقص باعتباره ينطلق من ظاهرة فريدة، والحكم الصائب كان يقتضي دراسة سائر فنون القول، وفنون التفكير، ومظاهر الحياة، واعتماد آثار شاملة على كل ملابسات تلك الفترة.

على نحو ما فعل العقّاد في عبقرياته حين أثبت عظمة شخصياتها وأبطالها وفي مقدمتهم شخصية خير الأنام محمّد صلى الله عليه وسلّم من خلال دراسة مسّت حوادث هامة من حياته - مع ما فيها من مزايا أكيدة - وقد تكون أبلغ لو شملت مختلف جوانب سيرته العطرة صلى الله عليه وسلّم.

و أمّا الحكم الجازم: فالعلوم الإنسانيّة لا يجب فيها الاقتصار على سبب واحد لوجود ظاهرة أدبيّة أو اجتماعيّة لأنّها عرضة للخطأ، وقلّما يكون للظاهرة الواحدة سبب واحد، ولا بدّ من دراسة مجموعة من الظروف التاريخيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، والفكريّة والاقتصاديّة والشخصيّة، التي لامست هذه الظواهر وسبقها"²

فالجزم في المسائل التاريخيّة والإنسانيّة لا يحقّق غاية المنهج، والظن والترجيح والتريث أسلم من الحكم الجازم والقاطع.

يقول ناصر الدين الأسد " هذه الدراسات الأدبيّة ومنها الدراسات الإنسانيّة عامّة، ومنها الدراسات التاريخيّة، لا سبيل إلى القطع الجازم اليقيني فيها، وإمّا تعدّد فيها الآراء وتنوّع، وهي تختلف عن البحوث الطبيعيّة أو العلميّة التطبيقية التي تجري في المختبر، لأنك تستطيع أن تتيقّن من حقيقتها بإعادة التجربة، لكن الأمور التاريخيّة لا تستطيع إلا أن تعتمد على الروايات

¹ - المرجع السابق، ص 168.

² - المرجع، نفسه، ص 169.

وأن تمحص بقدر الإمكان هذه الروايات وأن ترجح رواية على رواية وترتب نتائج على هذه المقدمات التي هي روايات¹

ولهذا يبالي كثير من العلماء والأدباء والنقاد في هذه الأحكام مما ينتج عنه اختلاف الآراء وقد تؤدي في نهاية المطاف إلى خصومات وعداوات، وهو ما حدث حول شخصية المتنبي بين طه حسين ومحمود محمد شاكر فالأول خلص في كتابه "مع المتنبي" إلى أنه لقيط لعينه، ونسبه الثاني إلى الأشراف العلويين في كتابه "المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا".

وفي ذلك يقول محمود شاكر: "فلما كان طه لم يدرك قدرا كافيا من هذا المنهج، وكان في عجلة من أمره، وكانت العجلة إحدى سجايها، لأنه نيتته على تأليف كتاب المتنبي في صيف سنة 1936 بفرنسا."²

غير أن فؤاد صروف اطمأن لطرح محمود شاكر في تفسيره لأصل المتنبي، فقال: "فاستقامت الحوادث المتناقضة في الروايات المنقولة على أساس هذا الرأي،"³

بينما يرى سعد الدين أن محمود شاكر أنطلق من وثيقة واحدة وبالتالي لا يمكن الجزم بقطعية دليله.

هناك من يرى أن طه حسين لم يكن ينقصه المنهج التاريخي بقدر ما كان يفتقر إلى الترجيح بين الروايات، وهو شرط أهم لاستكمال معالم هذا المنهج، الذي يتطلب من صاحبه الصبر والمثابرة، وطول المكث بين المؤلفات.

وأما التعميم العلمي: فالأدب نتاج شخصي يصدر عن مشاعر وأحاسيس، متغيرة وغير ثابتة لا تستقيم على حال، وأحيانا لا تعبر تعبيرا خالصا عن بيئة، أو شخصية معينة، وقد

¹ - ناصر الدين الأسد: حوار وجها لوجه مع جهاد فاضل " اللغة العربية تذبذب الآن على أيدي أبنائها. مجلة العربي الكويتية العدد 521 أبريل، 2002 م ص 71.

² - محمود محمد شاكر " المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا" مطبعة المدني القاهرة" ط / 1407 هـ . 1987م، ص 117-118.

³ - المرجع نفسه، ص 132.

تبدى المحاسن وتخفي المساوئ، كما أنّ الأدب "قد يكون فيه الانحناءات والانعكاسات أكثر ما فيه من الخط المستقيم."¹

لقد رسّخ بعض الدارسين أحكاماً تعميمية على الأدب في فترة من الفترات، من خلال ربطه بالتاريخ والسياسة، "و قرّ في الأذهان - مثلاً - أنّ التدهور التاريخي يخلف أدبا منحطاً وأنّ الازدهار الفكريّ مقرون بالازدهار السياسي والاقتصادي."² و عدّ العصر العباسي أفضل العصور، و هو ما أوقع الأدب في نوع من المفاضلة، وبالتالي الجور في حقّه، لا أحد ينكر أنّ انتعاش هذه الجوانب تفيد الأدب، لكننا لا نعدم وجود أدب راق حتى في عصور الصراعات وفترة الحروب الصليبية التي اضطرت فيها الأحوال، وداقت سبل العيش. ولهذا فقد لا نشاطر رأي طه حسين - كليّه - عندما يذكر أن الحرية قوام الحياة الأدبية فإذا سُلبت عقم التفكير وجذب الأدب. ونحن نرى أدباء أبدعوا تحت وطأة الاحتلال وزحمة الأحداث، وهم لا ينعمون بالحرية، وخير مثال على ذلك روميات أبي فراس الحمداني و روائع ومفدي زكريا وغيرها.

وإحضاع الأدب كذلك لقوانين تتسم بالتعميم العلمي كـنظرية الداروينية" النشوء والارتقاء" وغيرها وتطبيقها على الأدب يعرضه إلى الخطر" وقد تبين أنّ المذهب بجملته قائم على معرفة ناقصة بحقيقة الخليّة الحيّة وخصائصها."³

والأدب كمل هو معروف غير العلوم الطبيعيّة والعلوم الدقيقة فما ينطبق على هذه العلوم قد لا يؤتي ثماره في مجال الأدب، باعتبار أنّ الأدب صور ومشاعر ونزعات غير ثابتة مرتبطة بالفرد وعلاقته بمجتمعه وبيئته، و" المقاييس السميحة الطليقة أولى به."⁴

¹ - سيّد قطب: النقد الأدبي أصوله ومذاهبه، ص 179.

² - وليد القصاب " مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية " دار الفكر دمشق البرامكة ط 1430/2 هـ. 2009 ص 32 ، 33.

³ - سيّد قطب: " النقد الأدبي أصوله ومذاهبه" المرجع السابق ص 179.

⁴ - المرجع السابق، ص 169.

أما إلغاء قيمة الخصائص والبواعث الشخصية: يضاف إلى هذه المخاطر ما هو أشدّ على المنهج التاريخي ألا وهو: إلغاء قيمة الخصائص والبواعث الشخصية، والمتمثلة في العبقرية الشخصية والتي لها علاقة بالبيئة والظروف الداخليّة والخارجيّة.

إنّ حصر الإبداع الأدبي في عناصر جبرية كالجنس والبيئة والعصر قوّض من دور البواعث الشخصية و"عدّها العوامل الوحيدة الفعّالة في تكوين الأدب وإبداعه، ممّا يعني تجاهلاً لعبقريات الأدباء ومواهبهم الفردية"¹

فكثيراً ما يركز المنهج التاريخي على البيئة والوسط، والأدب تصوير للبيئة هذا صحيح لكن العبقرية الشخصية لا يمكن إهمالها أو إغفالها، وقد تتطلّب كل عبقرية دراسة مستقلة عن الأخرى، "على أنّ دراسة الوسط مع ذلك واجبة، لنعرف مدى ما أخذت الطبيعة الفنيّة منه ومدى ما وهبته. ثمّ لنذكر مدى استجابة الوسط لكل لون و لكلّ نتاج"²

و ينبغي ألا نخلط بين العام والخاص، فنعمّم ما هو خاص أو نخصّص ما هو عام بمعنى أن نطبق ما هو عام على الأفراد. فللفرد أصالته وللمجموعة أصالتها³

ولعلّ من نافلة القول أن نذكر أنّ القدماء طبّقوا المنهج التاريخي تطبيقاً دقيقاً في رواية الشعر والشعراء وأحوالهم. "ويكفي أن نشير هنا إلى كتاب "الأغاني" لأبي فرج الأصبهاني وهو أكبر مصنّف يحتوي تراجم الشعراء في العصر الجاهلي والقرون الثلاثة الأولى للإسلام وآراء النقاد فيهم، وأذواق عصورهم، وهو لا يعرض للشعراء عرضاً التاريخي الحديث، فيفصل الكلام عن بيئة الشاعر وعصره وثقافته وظروفه ومدى تقليده وتجديده، وإنّما أخبار متفرّقة من هنا وهناك في مواقف شتى..."⁴

¹ - وليد القصاب "مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية"، ص 32.

² - سيّد قطب: "النقد الأدبي أصوله ومذاهبه"، ص 180.

³ - ينظر المرجع السابق، ص 181.

⁴ - شوقي ضيف "البحث الأدبي - طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره" دار المعارف القاهرة، ط 7 / د س ط، 81.

لم يكن مؤرّخونا القدامى يلتزمون بنفس المنهجية المتبعة حالياً، لكن كثيراً منها أخذ بها الغرب في تأسيس المناهج الحديثة، و ما يجسب لخيارهم أنّهم كانوا يقدمون الأخبار وينقلونها نقلاً أميناً، ويتحقّقون من صحتها، فيجمعون بذلك بين أمانة النقل وصحة التوثيق.

كما أنّهم استفادوا من المناهج والعلوم التي وجدت عند من سبقهم من الأمم وعلى هذا النحو كان العرب يستغيثون بمنطق أرسطو في بحوثهم الأدبية مع محاولات خصبة للعناية بالجزئيات والمفردات واكتمال الاستقراء وصحة الاستنباط، واتّسعوا في الملاحظات سعة شديدة، وهي تقابل في البحوث الأدبية التجارب في البحوث العلمية عندهم. وقد ظلوا مع ذلك يحتكمون إلى المنطق الأرسطي، مكثرين من القواعد والضوابط والأقيسة¹

إنّ غاية المنهج التاريخي الأسمى أن يصنع معرفة علمية حقة من الماضي الإنساني بحسن استغلال الظروف والملابسات المحيطة، والوثائق المستخدمة، الشيء الذي يؤدي - كما أشرت - إلى تحقيق المعرفة العلمية المسندة إلى سناد نقلي متعدّد، وطرائق عقلية متنوّعة.

2. التأريخ الأدبي بين المؤرخ والمادّة التاريخية والمنهج:

نركز في هذا المبحث على عملية تأريخ الأدب وأقطاب العملية المشكلة لها، وهي: والمؤرخ، والمادّة التاريخية، والمنهج، سيّما ونحن نتعامل مع موروث هو لنا ومن تقديم وعرض غيرنا.

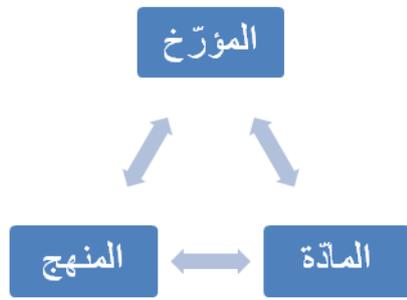
ولو عدنا إلى مؤرّخينا الأوائل لوجدناهم قدوة لغيرهم، ولوجدنا كتاباتهم التاريخية هي أرقى - بلا شك - مما سجّل للأمم التي سبقتهم لا من حيث تأريخهم لعالمهم أو لغيرهم، وفي قيادتهم للمنهج السليم، أو في المادّة التي تمت معالجتها أو منها ستقوا موضوعاتهم.

وهل سار المستشرقون على خطى هؤلاء في تعاملهم مع طروحاتهم وتعاملهم مع مادّة غيرهم؟

¹ - المرجع السابق، ص 82 - 83.

ما يهمنا الآن في الشقّ النظري هو معرفة بعض موضع تركيز المستشرقين في تأريخهم للأدب العربي، على أنّ الجانب التقييمي يتمّ في الشقّ التطبيقي.

* أقطاب عملية التأريخ الأدبي: نقف على هذه العناصر الثلاثة لنبين دورها في



حركة سير الاحداث:

— المؤرّخ.

— المادّة التاريخية.

— المنهج.

أ - المؤرّخ: الوجه المدقّق في حركة سير ونمو الأدب، هبوطه ارتفاعه، ثقاقله وانسيابه أساس العمليّة ومحرّكها، ولا قيمة للمادّة ولا المنهج بدونه، ولذا يتوجّب على المؤرّخ أن يكون فنّانا متمكّنا من مادّته، مدركا لمنهجها، صاحب خيال إبداعي أو كما اصطلح عليه كلوريدج بالخلاق*، يعرف كيف يستقي الأحداث ويمحصّها، و يربط بينها، ويجعل منها فنّا رفيعا لا تناقض فيه، يقدر قيمة العبقرية وخصائصها وارتباطها بالمجتمع. و العوامل الشخصية الفطرية وحدها لا تكفي في تكوين شخصيته، بل لا بدّ لها من عوامل مكتسبة من المجتمع وما يحيط بها، يقول لانسو* "إنّ الخصائص التي تميّز العبقرية الفردية ليست أجمل ما في تلك العبقرية و أعظم لذاتها، بل لأنها تشمل في حناياها الحياة الجماعية لعصر أو هيئة ترمز له أي تمثله¹ ومن هنا وجب على الباحث أن يلمّ بكل ما يحيط بتلك العبقرية من مختلف النواحي الفكرية أو الوجدانية، والقومية الإنسانية.

* كولردج (صموئيل تيلر) (1834.1772) أديب إنجليزي رومنسي صنف الخيال إلى أولي وثانوي (إبداعي، خلاق).

* غوستاف لانسون (Gustave Linson) (1857_1934) أكاديمي فرنسي من أكبر رواد المنهج التاريخي وقد عرفت بالطريقة (اللانسونية . Lonsonnisme)، حدّد من خلالها خطوات المنهج التاريخي.

¹ - لا نسون و ماويه "منهج البحث في اللغة والأدب" ترجمة أحمد مندور . المركز القومي للترجمة القاهرة ط/2015، ص24.

ومؤرخ الأدب الحقّ واسع الثقافة، يجتهد في توفير المادة، ويحسن استخدام المنهج و يصوغ بحثه بأسلوب أدبي يعينه في تحقيق غايته.

ب - المادّة التاريخية:

تعتبر المادّة التاريخية خام عملية البحث وأساسه وبدونها لا يقوم للباحث أو المنهج قائمة، و التركيز على روايات دون أخرى أو رؤاة أو كتابٌ دون غيرهم خصوصا إذا عُرفوا بالانحراف أو الذاتية أو الانتحال، أو الحياء عن الحقيقة العلمية لا يقدّم عمل الباحث خطوة إلى الأمام. فالخبر يُنتقى له أوثق المصادر، وأصدق الرجال ممن عُرفوا بالحلم والنزاهة والموضوعية، عبر العصور وهم كُثر، فهل أولى المستشرقون هذا الأمر الأهميّة الكاملة؟

في الواقع رأينا من المستشرقين من يأخذ بمؤلفات دون أخرى، مؤلّفات طعن العلماء في مصدقية بعضها، وما ورد فيها من أخبار بمعنى أنّها تجمع الغث والسمين، ككتاب الأغاني للأصفهاني وغيره. وبعضهم يعتمد أقوال رواة عرفوا بالانتحال.

ج - المنهج:

ركّز المستشرقون على المنهج التاريخي في التأريخ للأدب العربي بصفة عامّة، وتتبعوا كثيرا من ظواهره وما تعلق منها بالشعر أو النثر، كظاهرة المقدمة الطللية، والانتحال والسراقات الأدبية، وتطوّر الفنون القصصية، ودراسة الشخصيات الأدبية التي كان لها وزن في التاريخ وقسم بعضهم الأدب إلى مراحل أو حسب العصور وبين خصائص و مميزات كلّ عصر و تتبّع مؤشّر الأدب فيه، والظروف والملابسات التي وجّهت الأدب. على نحو ما فعل كارل بروكلمان وماجربوت، وشارل بيلا وأندري ميكال وغيرهم، حيث قاموا بالتقسيم الزمني أو التأريخ الزمني للعصور، ومنهم من ربط الإبداع بالظروف السياسية، وهو ما قد أوقع بعضهم في الخطأ.

وكذلك الشأن مع ترجمة الشخصيات الأدبية في تحقيق المخطوطات العربية، حيث قاموا بضبط تواريخ الأشخاص والأحداث الخاصّة بهم، وذكر سيرهم وإنتاجهم الأدبي. غير أنّ تطبيق المنهج يقتضي فهم الأحداث فهما عميقا مؤسّسا من حيث التوجهات وصرعات الطوائف التي شهدتها العصور.

نأكّد هنا أنّ جمع وتدوين المادّة يقتضي استقصاء الجهد في طلبها والغوص فيها وفهمها فالذّرر لا يحصلها من لا يجيد غوص والبحث في أعماق البحار، و حصول المعرفة لا يتأتى إلاّ بالتمكن من اللغة التي كُتبت بها و الإمام بعلومها، من نحو صرف وبلاغة وغيرها.

ثم لا بدّ من أن يُولى اهتمام بالخصوصيات المجتمعية لأنها السبيل الأمثل لتحليل الأوضاع وتفسير الظواهر المتعلقة بكلّ بيئة، التي تختلف من منطقة لأخرى ناهيك عن البيئة العربية والعجمية.

لقد ألفينا علماءنا في تطبيقهم للمنهج في بعض مسائل الخلاف التي لا جدوى من البحث فيها حسموها بالتنزّه عن الخوض فيها، لأنها تعيق مسار البحث، وأحياناً كثيرة تؤدي إلى الإنحراف والابتعاد عن جادة الطريق، وإنّ المؤرّخ الذي يصوغ آراءه وتخيّلاته وفق منزعه وتصوّره الشخصي دون تأسيس، أو دون الرجوع إلى أوثق المصادر، قد ينأى عن الحقيقة التاريخية أثناء سرده للوقائع، أو تحليله للأحداث والأخبار المستقاة من ثنايا المؤلفات ودفتي المدونات التاريخية.

3. المنهج التاريخي والأدب العربي:

المنهج التاريخي من أقدم المناهج التي ارتبطت بالأدب العربي* فقد عمد الأدباء إلى ربط الأدب بعوامل نشأته والظروف والملابسات المحيطة به، و"وجدت هذه الفكرة طريقها إلى النقد العربي الحديث منذ فترة مبكّرة في مطلع القرن العشرين، فإذا كانت فكرة التأريخ للأدب العربي عبر العصور قد برزت بوضوح في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مع جرجي زيدان في "تاريخ آداب اللّغة العربيّة" ومع محمّد بك دياب "تاريخ آداب اللّغة العربيّة" الذي نشر الجزء الأول منذ سنة 1899، والجزء الثاني سنة 1900..."¹ وغيرهما متأثرين بنهج

* وإن كان فيما يبدو لي أنّ المنهج التآثري المعتمد على الذوق والسليقة قد سبقه من خلال تلك الأحكام الانطباعية التي كانت تُصدر من بعض الشعراء الجاهليين قبل عصر التدوين بكثير.

¹ - سامي عبابنة " اتجاهات النّقاد العرب في قراءة النّص الشعري الحديث " عالم الكتب الحديث. للنشر والتوزيع / ط 2
2010هـ، 1431م، ص38.

المستشرقين ، فإنّ مصطفى صادق الرافعي في كتابه "تاريخ آداب العرب" ينزع منزعا خاصا فقد كان مؤلفه فريدا في بابه، نادر في زمانه، حيث لاحظ وقتها وجود " كثرة الكتب، وهي إمّا أعجميّ الوضع والنسب، و إمّا هجين في نسبه إلى أدب العرب."¹ وقد أشار إلى أنّ هذا المنهج كان صنيع المستشرقين بقوله: " وأول من ابتدع هذا التقسيم المستشرقون من علماء أوروبا قياسا على أوضاع آدابهم ممّا يسمّونه Litterature فهم الذين تنبّهوا لهذا الوضع في العربية، فجاءوا به كالمُنْبِهة على فرط عنايتهم بفنونها وآدابها؛ وحسبهم من ذلك صنعا!"² و قول رودى بارت يوافق مذهب الرافعي في تعاملهم مع الموروث العربي الإسلامي إذ جاء فيه: "ونحن في هذا نطبّق على الإسلام وتاريخه والمؤلفات العربية التي نشغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبّقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدوّنة لعالمنا نحن."³

والذين أرحوا للأدب العربي من العرب كثير بالإضافة لما ذكرنا سابقا نجد أحمد حسن الزيات، ومنهم من خصّ الأدب الحديث دون سواه بمؤلف كما فعل عمر الداسوقي "في الأدب الحديث". ومنهم بلد أو مصر فقد ألف أبو القاسم سعد الله "تاريخ الجزائر الثقافي" وفيه أرخ للمسيرة الثقافية و الأدبية في الجزائر، وألف عبد الله كّنون كتابه "النبوغ المغربي في الأدب العربي" خصّ به أدباء المغرب الأقصى دون غيرهم، لما رأى من اهتمام متزايد بأدباء المشرق وإغفال أو تغافل عمّا هو مغربي، و يبدو أنّ بروكلمان اطّلع على هذا الكتاب بعدما وصلته نسخة من المؤلّف، استفاد منها وأرسل لصاحبه يقول: " فابتدأت بقراءته، استفدت منه كثيرا في الآداب المغربية ممّا فات بحتي* إلى الآن. وأرجوا أن أصرف مضمونه العزيز لفائدتي وفائدة المستشرقين في استدراك كتابي الأوّل في تاريخ الآداب العربية، الذي هو الآن مطبوع في مدينة

¹ - مصطفى صادق الرافعي "تاريخ آداب العرب" ج1، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع القاهرة ط2010/1، ص6.

² - المرجع نفسه، ص9.

³ - رودى بارت "الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية المستشرقون الألمان مند تيودور نولدكة" ترجمة مصطفى ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ط/2011، ص15. 16.

* يُقصدُ بروكلمان ببحثه كتابه "تاريخ الآداب العربية".

ليدن.¹ و الكتاب مقسّم إلى ثلاثة أجزاء جمعت في مجلّد واحد الجزء الأوّل قسّمه صاحبه حسب العصور، الجزء الثاني المنتخبات الأدبية قسم المنشور، والجزء الثالث المنتخبات الأدبية قسم المنظوم.

معظم هؤلاء العرب ساروا في تأليفهم على منهج المستشرقين الذين كانت لهم أسبقية في هذا المجال ككارل بروكلمان وكارلو نلليو، وغيرهما.

ويرى بعض التقاد أنّ البداية العربية الأولى لتبني المنهج التاريخي عملياً في الدراسات الأدبية كانت مع طه حسين " فهو بحق أوّل من تبنى تصوّرات سانت بوف وهيوليت تين ولانسون، ودفع به إلى حيّز التطبيق"²

وقد اتضح ذلك جلياً في كتابه في الشعر الجاهلي عند تطبيقه للمنهج، قال عنه ناصر الدين الأسد: " إنّ كتابه في الشعر الجاهلي ليس فيه من العلم شيء، ولكنّه ذو أثر كبير في العلم والفكر وفي منهج البحث.. . لذلك هو وضع اللبنة الأساسيّة في تطوير الفكر الجامعي والبحث العلمي حقيقة."³

ويقصد ناصر الدين الأسد بقوله: "ليس فيه من العلم شيء" العقل و ما أعوزه من العودة إلى المصادر و موازنة بين النسخ، بدل اعتماد المنهج الديكارتّي وما شابه من تضليل وانحراف، و هو ما دفع بالأسد إلى تأليف كتابه " مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية" * دفاعاً عن هذا الشعر و لتأكيد أصوله اعتماداً على الوثائق، و ليس للرأي شيء إلا ما قام على التمييز و الترجيح بينها يقول: "ومن هنا أرجو أن لا أبعد عن الحقّ حين أقول: إنّ كلّ رأي في هذا الكتاب قد قامت بين يديه وفرة من النصوص قادت إليه وانتهت به؛ وأنّ النصّ

¹ - عبد الله كنون " النبوغ المغربي في الأدب العربي" ثلاثة أجزاء في مجلد واحد، دار الثقافة ج2، ط، 1380هـ . 1960م. ص 321.

² - المرجع السابق، ص 39.

- ناصر الدين الأسد " العربي " مجلّة كويتية . العدد 521 أبريل 2002، ص 70.³

* وهو بحث نال به ناصر الدين الأسد (الأردني) الدكتوراه في جامعة القاهرة سنة 1955 وطبع الكتاب عدة مرات.

هو الذي وجّه البحث إلى ما فيه من آراء وليست الآراء هي التي وجّهت البحث إلى النصوص".¹ والكتاب دراسة تأسيسية توثيقية منهجية لمصادر الشعر الجاهلي.

طبّق طه حسين المنهج التاريخي كذلك مع المعري والمنتبي، في مؤلفيه "ذكرى أبي العلاء" و"مع المنتبي" في حين يرى بعض النقاد أنّه لم يوظفه بجديّة مع شعراء العصر الحديث كما يظهر من نقده في كتابه "حافظ وشوقي". كما أنّ طه حسين اعتمد معياراً جاهزاً في الأول بدل البحث في الأصول واعتماد أسلوب المقارنة والترجيح.

4. المستشرقون والمنهج التاريخي:

ما ينطبق على بيئات المستشرقين من مناهج قد لا يصلح بحال من الأحوال على البيئة العربية والإسلامية، لأنهم نتاج بيئات وثقافات تختلف تماماً عن البيئة العربية، ثم إنّ معظم المستشرقين ظلّوا مشدودين بأفكارهم، أوفياء لها، مؤمنين بها لا ينفصمون عنها.

ولا سبيل - كما لا يخفى - لتحقيق الغاية والوصول إلى الحقيقة العلمية ما لم يتجرّد المؤرخ من ذاتية و من أيّ خلفية دينية أو سياسية أو توجّهات إيديولوجية.

ازدهر المنهج التاريخي في الغرب على غرار باقي المناهج " وقد انعكس هذا على أعمال المستشرقين التي تأثرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بهذا المنهج، فكان من آثار ذلك أن درسوا العربية التراثية، ثمّ زاد اهتمامهم في القرن العشرين باللهجات المعاصرة تأثراً بالدراسات الوصفية..."² وقد اهتم بعضهم بدراسة الظواهر انطلاقاً من النصوص كتتبع ظاهرة المقدّمة الطللية، و ما أعقبها من مقدّمات، أو تتبّع ظاهرة اللّغة العربية انطلاقاً

¹ - ناصر الدين الأسد "مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية"، دار المعارف القاهرة، ط5/ 1978. ص 8.

² - إسماعيل أحمد عمارة "المستشرقون والناهج اللّغوية (المنهج المعياري، المنهج المقارن، المنهج التقابلي، المنهج الوصفي، المنهج الإحصائي) دار وائل للنشر - عمّان - الأردن 2002/3، ص 22، 23.

من النصوص التراثية القديمة والحديثة كما اهتمّ البعض الآخر بدراسة اللهجات ضمن المنهج الوصفي.¹

اعتمد كارل بوكلمان على المنهج التاريخي في تأليف كتابه " تاريخ الأدب العربي " وقد أشرت له من قبل " وحاول أن يسجّل تراثه الضخم وأخطأ أحيانا كثيرة عندما تعرّض للقرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام وانشغل بالمراجع أكثر من انشغاله بالقضايا وعني عناية لا بأس بها بالمذاهب الفكرية والسياسية والدينية وأحدث منهجه تحوّلاً عظيماً في دراسة الأدب العربي في الشرق والغرب.²

يرى بعض الدارسين أنّه منهجا وصفيا إحصائيا بعيدا الدراسات الفنية والنقدية، الشيء الذي يجعله أكثر موضوعية من غيره.

أقل ما يمكن قوله أنّ مثل هذه الدراسات تعيد الاعتبار للتراث الأدبي العربي الذي ظلّ منسيا وغير مرتبط بالثقافات الإنسانية العالمي، الحلقة التي وصلت الفكر الغربي القديم بالحديث هذا الفكر الذي ظلّ ينأى عن التراث العربي عندما نما أحاديا غايته السيطرة على الشرق.. بل والاعتراف به إنصاف لهؤلاء، وقد نبّه لذلك رائد الفكر والحضارة المرحوم مالك بن نبي في مؤلّفه " مجالس دمشق " في لقاء جمعه مع رجاء الله جارودي المفكّر والفيلسوف الفرنسي.

¹ - تمّة فرق بين المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي " فالمنهج الوصفي يدرس اللّغة المنطوقة فقط، وإذا فهو يحتفي بدراسة اللهجات، أمّا المنهج التاريخي فيهتمّ باللّغة المكتوبة التي دوّنت في وثائق حتى ولو لم تكن حيّة منطوقة، وهو لا يغفل المنطوق، ولكنّه يعدّ المنطوق يمثل الشكل الأخير لما آلت إليه اللّغة (المرجع نفسه ص 22).

² - أحمد سمايلوفيتش " فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي " دار الفكر العربي - القاهرة، ط/1/ 1998م ص416.

المبحث الثالث: المنهج الاجتماعي

1. علم الاجتماع و منهج اجتماع الأدب.
2. علاقة المنهج الاجتماعي بالمنهج التاريخي.
3. المنهج الاجتماعي: أسسه، اتجاهاته، مأخذه
4. الاستشراق والمنهج الاجتماعي.

المبحث الثالث: المنهج الاجتماعي.

1. علم الاجتماع وعلم اجتماع الأدب (سوسيولوجية الأدب):

منذ أن أسس ابن خلدون علم الاجتماع أو بالأحرى علم الاجتماع البشري من خلاله مؤلفه (المقدمة) وهذا العلم تتسع رحابه يوماً بعد يوم، ويزداد علماءه جيلاً بعد جيل، وعلى رأسهم دوركايم وكانط وكارل ماركس وهيغل وجورج لوكاتش وغيرهم. الذين شقوا الطريق العلمي في دراسة المجتمع وظواهره، و من ثمّ " لم يعد علم الاجتماع علماً نظرياً يتناول الظواهر والوقائع الاجتماعية " بل أنزل إلى ساحة الحياة، وراح يعالج الظواهر في حيّزها المكاني والزمني وفي ارتباطها بعضها ببعض لأنّ المجتمع كائن حي تكثر فيه المؤثرات وتعدد التفاعلات "1

ولقد تفرعت اتجاهاته بتعدّد ميادين الحياة، و تشابك الظواهر الإنسانية والعلاقات الاجتماعية، وتغيّر الأمزجة والطبائع، والأفكار والإيديولوجيات، الشيء جعله يتسم بالتعقيد و"إذا بالباحثين الاجتماعيين يضطلعون بدراسات حول علم الاجتماع الاستعماري وعلم الاجتماع الديني، وسيسولوجيا التربيّة، وعلم الاجتماع السياسي، وعلم اجتماع أوقات الفراغ وسيسولوجيا الشيخوخة."2 وعلم الاجتماع النفسي، و الريفي و الحضري وغيرها من الفروع التي أفرزها الواقع، و كان لزاماً أن تسيّر الدراسات في هذا الاتجاه توافقاً مع متطلبات العصر و ضماناً لسلامة المنهج ودقّة النتائج.

و ظلّت بعض المصطلحات لصيقة بهذا المنهج توجّهه أيّما توجيه منها: النقد الواقعي النقد الماركسي، النقد الإيديولوجي، و النقد الواقعي الاشتراكي، والنقد الاجتماعي، و النموذج الشكلي التكويني، و يرى وليد القصاب أنّ أبرز من طبّق هذا المنهج وتعصّب له هم النقاد الماركسيون الذين رَوّجوا للواقعية الاشتراكية عندما قامت الثورة الشيوعية سنة 1917م

¹ - رويبرا سكاربيرت: "سوسيولوجيا الأدب" ترجمة آمال أنطوان عرموني، منشورات عويدات بيروت - ط1/1978 ص5 .

² - المرجع نفسه ص5.

وبالتالي إزاحة المدرسة الشكلية هناك.¹ وهي توجهات وإن اهتمت بالواقع الخارجي إلا أنّ بعضها ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياسة والأيدولوجية أكثر من اهتمامه بالشكل والجمال في العمل الأدبي كما يبدو ذلك في النقد الماركسي.

لقد حظيت الدراسات الاجتماعية بالناية والاهتمام و"أخذ كثيرون من دارسي الأدب الغربيين منذ القرن الماضي يصلون بين دراساته والدراسات الاجتماعية، إذ الأدب في حقيقته إنّما هو تعبير عن المجتمع وكلّ ما يجري فيه من نظم وعقائد ومبادئ وأوضاع وأفكار، والأديب لا يسقط على مجتمعه من السماء، وإنّما ينشأ فيه ويصدر عنه."² والأديب إن شئت هو سمع المجتمع وبصره وإحساسه.

و يمكن القول أنّ الأديب يجمع بين مزيّتين إحداهما أنّه يمثل محاسن ومساوئ مجتمعه فيعكس مشاعره ونوازعه خيرها وشرّها، و الأخرى أنّه يضيف إبداعاً جميلاً يجد فيه القارئ والسامع متعتهما ولذّتهما، وبفنه تستأنس العقول وتحيا.

2. علاقة المنهج الاجتماعي بالمنهج التاريخي:

إذا كنّا نريد بالمنهج الاجتماعي البحث في الظواهر الاجتماعية وعلاقتها بالأدب، وفق منهج معين نسعى من خلاله إلى فهم الحقائق المتعلقة بالمحيط الاجتماعي، وهي ظواهر ترتبط ببعضها، وتتشابك فيما بينها، فمن غير شكّ أنّها وليدة تفاعلات بشرية قديمة و حديثة والأديب جزء منها.

يربط الدكتور صلاح فضل المنهج الاجتماعي بالمنهج التاريخي إذ يقول " يمكننا القول بأنّ المنهج الاجتماعي هو الذي تبقى في نهاية الأمر من المنهج التاريخي، وانصبّ فيه كلّ البحوث والدراسات التي كانت في البداية متّصلة بفكرة الوعي التاريخي، إذ سرعان

¹ - ينظر وليد ابراهيم القصاب " مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية" دار الفكر دمشق البرامكة ط2، 1430هـ. 2009، ص49.

² - شوقي ضيف: "البحث الأدبي - طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره" (مرجع سابق)، ص96.

ما تحوّل هذا الوعي إلى وعي اجتماعي يرتبط بطبيعة المستويات المتعددة للمجتمع وبفكرة الطبقات.¹

يرى غيره أن المنهج الاجتماعي خرج من رحم المنهج التاريخي، والذين فرقوا بينهما اعتبروا كل دراسة أدبية تناولت نصوصاً قديمة فهي تاريخية، وأما إذا تناولت نصوصاً حديثة فإنها اجتماعية كما عبّر عن ذلك جورج لوكاتش في كتابه "دراسات واقعية".

وهناك من لا يرى ارتباطاً بينهما، فإنّ المنهج التاريخي علاقته بالنصوص الأدبية القديمة بينها المنهج الاجتماعي أولى بالنصوص الحديثة.

ومع ما يوجد من تداخل بين المنهجين التاريخي والاجتماعي إلا أنّ لكلّ منهما دوره في المجال الأدبي والنقدي، فهو ويؤدّي وظيفته لإضاءة جانب من الجوانب النصّ والشخصية الأدبية.

3. المنهج الاجتماعي: أسسه، اتجاهاته، مأخذه.

أ- أسس المنهج الاجتماعي:

يبني المنهج الاجتماعي على أسس بارزة التي على الباحث مراعاتها في العمل الأدبي متمثلة في:

1- ربط الأدب بالمجتمع باعتباره مرآة تعكس حياة الأفراد و الجماعات.

2 - الأدب جزء من النسيج الاجتماعي أو التركيبية الاجتماعية كسائر الفنون التي تؤدي وظيفة اجتماعية.

3 - الأديب نتاج مجتمعه يؤثر ويتأثر بعاداته وتقاليده وظروفه ومستجداته، ولا يمكن أن ينشأ بعيداً عنه.

4 - أنه نقد مضموني أي يهتم بمضمون النصّ.

¹ - صلاح فضل "مناهج النقد المعاصر" المرجع السابق، ص 45-46.

ب- اتجاهات المنهج الاجتماعي:

يظل المنهج الاجتماعي و طيد الصلة بالأدب حتى وإن تعددت المناهج و تشعبت، لأن الأدب من المجتمع ولا نتصور أدبا بمنعزل عن المجتمع، و لقد كان مند ظهوره عرضة لتيارات فكرية و مذاهب أدبية و السياسية كالماركسية و الواقعية الغربية، الشيء الذي جعله يأخذ منحنيين أو اتجاهين مهمين في منتصف القرن العشرين، هما:

أ - الاتجاه الكمي: اتجاه يركز على الجانب الكمي و ينجح إلى جمع أكبر قدر من المعلومات عن طريق أسئلة و بيانات، و " يطلق عليه علم اجتماع الظواهر الأدبية وهو تيار تجريبي أميرقي،* يستفيد من التقنيات التحليلية التي انتظمت في مناهج الدراسات الاجتماعية مثل الإحصاءات و البيانات، و تحليل المعلومات و تفسير الظواهر انطلاقاً من قاعدة معلومات محددة، يبتها الدارس طبقاً لمناهج دقيقة و يُستخلص منها النتائج التي تسفر عنها"¹

وقد برز هذا التيار في فرنسا، و من رواده الفرنسي روبرت سكاربيه صاحب كتاب (علم الأدب الاجتماعي)، " وقد عالج الأدب كظاهرة إنتاجية ترتبط في آلياتها وقواعدها بقوانين السوق"²

وأهم ما يؤخذ على هذا التوجه في دراسته للأعمال الأدبية هو إفراطه في جانب الكم وإهماله الجانب النوعي، وبالتالي تستوي عنده الأعمال الجيدة و غير الجيدة.

ويرى صلاح فضل أنّ هذا لاتجاه ما لبث أن تطور وارتبط بمجالات يمكن أن تتصل

* أميرقي بمعنى تجريبي يعتمد الحواس والخبرة.

¹ - صلاح فضل "مناهج النقد المعاصر"، المرجع السابق، ص 49.

² - المرجع نفسه، ص 50.

بشكل ما بالجانب الجمالي والتوعوي للأعمال الأدبية.¹ وعلاقة هذا الاتجاه بالجانب الفني والجمالي مهمّ جدًّا، إذ يسهم في ترقية الأدب وقبوله لدى الملقى.

ب - التيار الجدلي: تيار ذو توجه فلسفي ارتبط منذ بدايته بهيجل وعنه أخذ كارل ماركس في بلورة العلاقة بين البنى التحتية والفوقية في الإنتاج الأدبي والإنتاج الثقافي، وهي علاقة كما تبدو في توجهها جدلية مبنية على التبادل والتفاعل.²

يرى بعض الباحثين أنّ المنظر الأول لهذا التيار هو جورج لوكاش* من خلال ما قدّم من إسهامات في مجال دراسة الأجناس الأدبية وعلاقتها بالدراسات السوسيولوجية، فالجنس الأدبي في نظره يتطور بتطور الحضن الاجتماعي والثقافي الذي نشأ فيه، و اقتفى أثره أكبر منظر لهذا التيار " لوسيان جولدمان".

وفي نظرنا أنّ هذ الارتباط ليس مشروطا أو حتميا باعتبار أنّ كثيرا من الفنون والأغراض الشعرية نمت وازدهرت في بيئات منحطة كما حصل في العصر العباسي الفترة الثانية (عصر الضعف)، الزهديات مثلا، وما ظهر من أغراض شعرية أثناء الحروب الصليبية، ساق عبد الحليم محمود نماذج منها في كتابه الحروب الصليبية.

وحسب إيريك أندرسن أنّ المنهج الاجتماعي ينظر إلى الأدب في علاقته بالمجتمع ويمكن أن يدرس هذا الأخير بعناية من خلال ثلاث خطط:³

أولا: المجتمع الواقعي: حيث ظهر الكاتب و أنتج عمله.

ثانيا: المجتمع الذي ينعكس مثاليا في نطاق العمل نفسه.

¹ - المرجع السابق، ص51.

² - ينظر المرجع نفسه، ص56.

ربّما كان جورج لوكاش أعلى مؤشّر في النقد الماركسي (ينظر صلاح فضل "مناهج النقد المعاصر، ص121).*

³ - ينظر إيريك أندرسن إمبرت " مناهج النقد الأدبي" ترجمة د/ الطاهر أحمد المكي، مكتبة الآداب القاهرة ط/ 1412هـ.

1991م، ص118.

وأخيراً: قد يكون عبارة عن أدب عادات أو أخلاق، أو خطة إصلاح اجتماعي في العمل.

ويضرب لنا مثلاً في رواية "مرتين فييرو" لمؤلفها خوسيه هرنانديث، يبرز من خلالها الناقد الاجتماعي كيف أنّ الكاتب اشترك مع أفراد طبقته الاجتماعية في التعبير عن تجربته ويقاسمه فيها أفراد آخرون. وعمله ينهض على ملاحظة التصرف الإنساني، وانعكاسه على ضمير القراء الاجتماعي.

الأدباء العرب و منهج اجتماع الأدب:

من المبدعين العرب الذين نهجوا منهجاً اجتماعياً في دراستهم للأدب نجد الأديب الناقد أحمد مندور¹ و "سلامة موسى" و "لويس عوض" و "محمود أمين العالم" وغيرهم متأثرين بأعمدة المدرسة الفرنسية من أمثال: "دوركايم" و "ليفي بريل" وغيرهما. وقد مارسه بعضهم بإيديولوجيات تجلّت من خلال طروحاتهم المتأثرة بالفلسفة الاشتراكية، وبرز في ذلك اتجاهان:

. **الاتجاه الأول:** "وهو الذي يأخذ بالاشتراكية على مستوى العقائدي الهادف وتزعم هذا الاتجاه (لويس عوض)، الذي بدت كتاباته الأولى أرهاصات هذا الاتجاه النقدي. وخصوصاً في مقدمته لقصيدة "شليلي" (رومانوس طليقا) وأعمال أخرى.¹ وقد جسّد هذا الاتجاه باهتمام في مؤلفه (الاشتراكية والأدب). ويرى سلامة موسى أنّ دراسة الأدب العربي " أحد الأسباب التي تمنع تغييرنا أي تطوّرنّا وتبقينا أمة شرقية تتعلّق بالتقاليد و تكره الإبتكار والإبداع."²

¹ - ينظر إبراهيم عبد العزيز السّمري " اتجاهات النقد الأدبي في القرن العشرين "، دار الآفاق العربيّة ط1/القاهرة 2011 ص 64-65.

² - عبد السلام الشاذلي " الأسس النظرية في مناهج البحث الأدبي العربي الحديث " (المرجع السابق نقلاً عن سلامة موسى نظرية التطور، ص 219). ص 386.

. الاتجاه الثاني: " الاتجاه الذي يأخذ الاشتراكية على المستوى الواقعي الملتزم، وقد تبلور هذا الاتجاه على يد (محمود أمين العالم) الذي يرى أنّ الأدب والفن ما هما إلاّ نقد للحياة وكشف وتنمية لقيمتها الجديدة.¹"

وهذان الاتجاهان على الرغم من التمايز الحاصل بينهما في التوجّه والنظرة الايدولوجية إلاّ أنّ كليهما يربط الأدب بالمجتمع، وقد تجلّى ذلك في موضوع المرأة وعلاقتها بالمجتمع حيث وظفها الأدباء توظيفات شتى، فمنهم من ربطها بالمجتمع ربطاً أميناً، ومنهم من غالى في حقّها، ومنهم من دعاها إلى التمرد والسفور وبرز قاسم أمين في كتابيه " تحرير المرأة " و " المرأة الجديدة".

ومّا ذكره بعض الكتّاب في هذا المجال: " أنّ الرواية الأردنيّة جاءت سجلاً أميناً لوضع المرأة حُفظ من خلال رصد أدوارها الاجتماعيّة، ونقل موقف المجتمع الأردني منها ومن قضيتها في مختلف مستويات تطوّره سواء في البادية أو الريف أو الحواضر المدنيّة"²

وقد ربط محمد حسين هيكل روايته " زينب " بالواقع الاجتماعيّ (الريف المصري) والمجتمع الطبقي، وبغض النظر عمّا لاحظته النقاد فيها من عيوب، فقد عدّت في نظرهم أوّل رواية عربية مبكّرة بمعناها الفنيّ.

في الجزائر رواية "غادة أمّ القرى" لأحمد رضا حوحو التي كتبها وهو في الحجاز وعدّت كذلك أوّل رواية جزائرية باللغة العربية ذات طابع اجتماعي، و على الرغم من أنّها صوّرت واقع المرأة العربية الحجازية، إلا أنّها عكست كذلك - في رأي الكاتب - حال المرأة الجزائرية التي لم تكن أحسن حالا منها، إذ يقول: "إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحبّ، من نعمة

¹ - المرجع السابق ص 65 .

² - المرجع نفسه، ص 74.

العلم... من نعمة الحرية... إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود... إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوى.¹

ولقد واجهت هذه الرواية نوعا من الانتقاد عند صدورها يقول أبو القاسم سعد الله رحمه الله: "وقد هاجمه بعض الرجعيين بدعوى أنه يدعو إلى تحرير المرأة والخروج عن التقاليد، ولكنه صمد وكتب عدّة قصص أخرى ومقالات يدافع فيها عن حقّ المرأة في الحياة واختيار الزوج".²

ونحن نرى أنّ النقد والمعارضة في زمن الكاتب أمرا طبيعيا له ما يبرّره باعتبار أنّ الخوض في هذا المجال كان من المحظورات، فالمجتمع كان أسير تقاليد وأعراف لم تبسط أجنحتها في الجزائر فحسب، بل في معظم الدول العربية، وقد رآه البعض من قبيل الحفاظ على كرامة المرأة، أضف إلى ذلك الجهل المطبق الذي فرضه الاحتلال على المجتمع الجزائري.

إنّ اهتمام المنهج الاجتماعي بالنثر القصصي وبالرواية خصوصا، كونها أكثر الفنون النثرية شمولية واتّساعا لتصوير الواقع، وتقديم أكبر قدر ممكن من القضايا الاجتماعية. وإذا كان الاتجاه الرومانسي أكثر الاتجاهات تأثيرا في الشعر العربي، فإنّ الاتجاه الواقعي أثر بشكل جليّ في النثر القصصي خصوصا الرواية.

ج - مآخذ على المنهج الاجتماعي:

مامن منهج من المناهج الوضعية إلا وله إيجابيات و عليه مآخذ، ويمكن حصر مآخذ المنهج الاجتماعي فيما يتعرض له من انتقادات منها³:

1 - انشغال المنهج بالمضمون الاجتماعي والسياسي على حساب الجانب الجمالي للنصّ، والشكل أهم ما يميّز الأدب، والعمل الأدبي شكل ومضمون ولا يجوز إسقاط

¹ - أحمد رضا حوحو " غادة أم القرى " المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دت ط / 1983. صفحة الإهداء (غير مرقمة). و قد أشار الكاتب إلى تاريخ كتابته (قسنطينة 1.1.1949)

² - أبو القاسم سعد الله " شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة و يليه دراسات في الأدب الجزائري الحديث"، موسوعة أعمال أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر و التوزيع الجزائر، طبعة خاصة / 2015، ص 89.

³ - ينظر وليد ابراهيم القصاب " مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية"، ص 45 . 48.

أحدهما أو تجاهله، والمنهج الاجتماعي أسقط الأول.

2 - الإسراف في النقد الإيديولوجي و تقدير الأدب والتعصب له وتوجيهه من جانب الماركسيين.

3 - حتمية الارتباط بين التغيير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وتطور الأدب لازميه المادة و الفكر.

4 - حكمه على الأعمال الأدبية و مضامينها الاجتماعية و السياسية والفكرية، وفق ما يتفق ومعتقدات الناقد.

5 - إصدار الأحكام النقدية على الأدب بحسب اقترابه أو ابتعاده من الحياة الاجتماعية والواقعية.

ومهما قيل ويقال عن ابتعاد المنهج الاجتماعي عن الواقع، وتنكره أحيانا للأديب وأدبه، فإنه خطأ خطوات هامة في مجال الدراسات الأدبية، و وجوده لازم و ضروريّ لتحقيق منهج متكامل.

4. الاستشراق والمنهج الاجتماعي:

تعود نشأة العلوم الإنسانية والاجتماعية إلى عصر النهضة الأوروبية التي ارتبطت مند بدايتها بالفكر الفلسفي المعتمد على أسس عقلية نقدية فلسفية، وقد واكب التطور العلمي الذي شهدته الدول الغربية في مختلف الميادين، منها ميدان الأدب الذي أُخضع بدوره للتحليل العقلي، وعدّ العقل مصدر كل معرفة، بل ولم يستثن منه الدين، وهو توجه أحادي يؤثر سلبا في مسار الدراسات الإنسانية والاجتماعية.

ازدادت ظاهرة غياب منهج واضح المعالم في الدراسات الاستشراقية في القرنين الأخيرين و على الرغم من تطور العلوم الانسانية والاجتماعية واعتمادها على مناهج علمية واضحة في دراسة الحالات الاجتماعية.

لقد سعى الاستشراق إلى إخضاع المجتمعات العربية والإسلامية للمنهج الاجتماعي انطلاقا من فلسفات علمية غربية، فهل نجح في تطبيقه بروح علمية موضوعية؟

تناول المستشرقون في المجال الاجتماعي قضايا جوهرية كثيرة ومتنوعة تمسّ البنى التحتية للمجتمع، قضايا مرتبطة بثوابته وتعكس واقعه الاجتماعي، منها قضية اللغة واللهجات، والمرأة و التقاليد، التعليم والعصرنة وغيرها، وهي قضايا حساسة تتطلب معرفة دقيقة بخصوصية المجتمع، وأحواله، و الخوض فيها كثيرا ما يسوق إلى طرح أفكار وإيديولوجيات مخالفة لثوابت الأمة وتوجّهاتها، و يفتح باب الأهواء على مصرعيه.

«إن اللغة العربية إذا ما تبسطت عن ط ريق الانتقاء الطبيعي الذي لا ينبغي عرقلته، وإذا ما استقرت مدلولاتها بواسطة الاستعمال وانتشرت عن طريق الأدب والمسرح والسينما وبالخصوص عن طريق الصحافة والراديو يمكن أن تصبح لغة التخاطب العادي في البلاد العربية، شريطة أن يقع توسيع التعليم وأن يتم رقى المرأة».

أقيمت ندوة في مدينة هال الألمانية سنة 1979 حول " انعكاس التحوّلات الاجتماعية والثقافية في اللغة العربية وآدابها " وقد أشار الباحثون إلى أمور مهمة أهمّها¹:
 . عدم تأثر اللغة العربية الفصحى بالتحوّل الاجتماعي عكس اللغات الأوروجرمانية.
 . الإشارة إلى حالة التعدّد اللغوي التي تعيشها المناطق العربية و التي تتمثّل في استعمال اللغة الفصحى والدارجة أو اللهجات أثناء التواصل.

. الدعوة إلى الاهتمام بتاريخ الكلمات العربية و تطور معانيها، لأنّ ذلك سوف يفتح الباب لمعرفة التطور المادّي والمعرفي للثقافة و الاسلامية و يتيح الفرصة للعمل المتعدّد التخصصات.

1- عبد الرزاق مسلك " اللغة العربية في الدراسات الأستشراقية الألمانية " مجلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس العدد: 12، 1421، 2001م، ص71.

المبحث الرابع: المنهج النفسي.

1. علم النفس الأدبي وبداياته
2. علاقة علم النفس بالأدب.
3. المنهج النفسي والعملية الإبداعية.
4. الاستشراق ومنهج النفس الأدبي.

المبحث الرابع: المنهج النفسي.

1. علم النفس الأدبي وبداياته:

الأدب تعبير عن تجارب نفسية وعقلية، والأديب لا محالة سائق انطباعاته وميوله وتصوراتهِ، فهي خلاصة تجاربه، وجزء لا يتجزأ من تكوينه الشخصي، وهي كذلك جوانب أصيلة في العمل الأدبي.

يعدّ علم النفس من العلوم الضاربة الجذور في تراث البشرية وقد ارتبط بالفلسفة ارتباطاً وثيقاً في زمن كانت فيه الفلسفة تلقّب أمّ العلوم، وعلاقة هذا العلم بالإنسان وطيدة، فالإنسان يُحمل على الجانبين الظاهر والباطن، المظهر والمخبر، وما يخلج الأخير من أمزجه وحالاته شعورية ولاشعورية أخطر في تفاعله مع الأدب والمجتمع، ونظراً لقيمة النفس البشرية وأهميتها حُضيت بالاهتمام في مختلف الشرائع والديانات.

خصّ القرآن الكريم النفس بالذكر فورد لفظها بين المعرّف وغير المعرّف، وبين المفرد والجمع، ودُكرت النفس وأنوعها (المطمئنة واللّوامة والأمانة بالسوء*) في مواضع كثيرة ومعاني* متعدّدة، وعلاقة النفس بالروح، و أفاض فيها علماء التفسير وتفاوتت تفسيراتهم.

والمنهج النفسي هو محاولة تفسير الأدب في ضوء علم النفس، وهو توجه ظهر حديثاً إذا ما قرن مع ما وجد قديماً لدى الأدباء والنقاد، من بعض الملاحظات النفسية التي لا تعدو أن تكون انطباعات ذاتية و تجارب وجدانية، تجلّت مظاهرها في الفرح والحزن، والمدح والهجاء والشوق والحنين. وهي "اجتهادات فردية غير مكتملة فنيّاً ولكنها مع ذلك ساهمت في تقويم الأدب، ومن الممكن أن يكون "علم النفس" معينا للنقاد إذا عرف حدود استخدامه في مجال النقد، والحدود المأمونة في ذلك أن يكون المنهج النفسي، أوسع من علم النفس،¹ لا أن

* وقد زاد بعضهم على ذلك، النفس المرضية والنفس الملهمة.

* النفس الروح والنفس الدم، والنفس: الإنسان، ويطلقها العرب على الجسد و الدم و العين وغيرها من المعاني.

1- النقد الأدبي: عبد العزيز عتيق، ص 297 .

يكون منهج إسقاط غير مؤسس يجعل الشخصية الأدبية عرضة للأهواء والنزوات الداخلية.

ويرى عز الدين إسماعيل أنّ " القرن العشرين هو قرن علم النفس، فيه استقلّ عن الفلسفة وصار له كيانه الخاص، وتأسس علم النفس التحليلي على يد ' فرويد' وتلاميذه واتسعت مهمّته حتى شملت كل القضايا الإنسانيّة التي تبحث في العلوم الأخرى المتفرقة"¹

وهو ما ذهب إليه صلاح فضل في قوله " فالمنهج النفسي بدأ بشكل علمي منظم مع بداية علم النفس ذاته منذ مائة عام وعلى وجه التحديد في نهاية القرن التاسع عشر بصدور مؤلفات فرويد في التحليل النفسيّ وتأسيسه لعلم النفس، استعان في هذا التأسيس بدراسة ظواهر الإبداع في الأدب والفنّ كتجليات للظواهر النفسية."²

فالفنّ والأدب في التعبير الفرويدي هما تعبيران عن اللاوعي الفردي، و"ذلك عندما حدّد خصائص الحلم بمجموعة من الأوصاف في مقدّماتها: التكثيف... الإزاحة... والرمز."³

لقد ربط فيه بين الأحلام والذات الشخصية وانعكاس الأوّل على الثاني، وبالتالي " كان اهتمامه منصباً - بالدرجة الأولى - على تفسير الأحلام باعتبارها النافذة التي يطلّ منها اللاشعور، وباعتبارها الطريقة التي تعبّر بها الشخصية عن ذاتها"⁴.

وقد أسقط هذه التفاعلات في مجال الإبداع الفنّي والأدبي، وما عقدة أديب والعصاب وغيرها من تسميات الشخصية إلا نتاج تلك تصوّرات.

ومع ما وصل إليه من المنهج النفسي من عمق التحليل الشخصي إلا أنّه بقي مشدوداً أمام بعض المسائل التي كثيراً ما استعصى عليه حلها، ففرويد نفسه يقرّر بصراحة أنّه

¹ - عز الدين إسماعيل "التفسير النفسي للأدب" ريب للطباعة والنشر والتوزيع، دت ط، ط4/ ص 202.

² - صلاح فضل "مناهج النقد المعاصر"، ميريت للنشر والمعلومات، ط1/2002. ص66

³ - المرجع نفسه، ص67.

⁴ - المرجع نفسه، ص67

لا يستطيع أن يطلع على طبيعة الاستنتاج الفني من خلال التحليل النفسي ويقول " أن حديثه عن ليوناردو دافنشي ليس سوى عرض لهذا الرجل من ناحية الباتوجرافيا (وصف الأمراض) وهي لا تهدف إلى توضيح نواحي النبوغ لذا الرجل العظيم."¹

والواقع أن علم النفس التحليلي كشف النقاب عن كثير من المسائل التي ظلت مستغلة أو مستعصية على الأدباء والنقاد، ومكّن من معرفة الدوافع النفسية التي كانت وراء الأعمال الأدبية، وهو شيء مهم لاستكمال عملية الفهم والنقد في إطار المنهج التكاملي.

ويظل المنهج النفسي مكتملاً للمناهج الأخرى في الكشف عن خبايا العمل الأدبي من غير الحكم على شخصية الأديب حكماً جازماً بعيداً عن المؤثرات الخارجية.

وللأدباء العرب المحدثين تطبيقات متفاوتة في مجال علم النفس الأدبي كما هو الحال مع العقاد وطه حسين والمازني وغيرهم.

2. علاقة علم النفس بالأدب:

علاقة النفس بالأدب كما يرى عز الدين إسماعيل لا تحتاج إلى إثبات، فليس هناك من ينكرها، إنما يتعلق الأمر ببيان تلك العلاقة، وشرح عناصرها. فالعلاقة بلا شك ترابطية وتأثيرية، النفس - كما يرى - تصنع الأدب، وكذلك يصنع الأدب النفس وتؤكد هذه العلاقة أن الإنسان لا يعرف نفسه إلا حين يعرف للحياة معنى، وقد لمس القدامى هذه العلاقة من خلال أثر المأساة في الجمهور عند أرسطو، ومحاولات عبد القاهر الجرجاني الرائدة في فهم وشرح الدلالات النفسية لأشكال التعبير، من خلال كتابه "أسرار البلاغة ودلائل الأعجاز" و في الشعر والشعراء لابن قتيبة وغيرهما من المؤلفين كالفرايبي و حازم القرطاجني، وقد تحدّثوا عن بعض العمليات العقلية والصور الذهنية من ذاكرة و خيال وأبداع.

يمثل العصر الحديث ازدهار المناهج وارتباطها بالدراسات الأدبية، وقد أرجع بعض الأدباء الفضل في لفت انتباه الدارسين العرب إلى المنهج العلمي في دراسة الأدب العربي

1- سيد قطب " النقد الأدبي أصوله ومذاهجه " دار الشروق الطبعة 8 / 2003، ص 11.

وقضاياه إلى طه حسين، منهم ناصر الدين الأسد الذي يرى أنّ طه حسين وضع اللبنة الأساسية في تطوير الفكر الجامعي والبحث العلمي حقيقة. وفي حديث أجراه معه جهاد فاضل فيما يتعلق بكتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي" حيث بين أنّ هذا الكتاب ليس فيه من العلم شيئاً ولكنه كان ذا أثر كبير في توجيه الفكر إلى منهج البحث العلمي من خلال النقد، وعدم التسليم المطلق للقضايا والحقائق، لأنه كما قال: "رج العقول وجعلها تنتبه إلى أنّ ما كان يقال عنه أنّه بحث علمي في السابق كان هزيباً".¹

ومن الأدباء العرب الذين كتبوا في مجال العلاقة بين علم النفس والأدب: أمين الخولي "البلاغة وعلم النفس"، ومحمد خلف الله أحمد وكتابه "من الوجه النفسية في دراسة الأدب ونقده" الذي جمع في هذا الكتاب الخبرتين العلمية والعملية. "ولا شك أنّ للبعثات العلمية دوراً كبيراً في الاستفادة من الخبرات الغربية المتطورة.

وقد تناول بعضهم الدراسات النفسية في الأدبين الأوروبي والعربي، محمد مندور ومصطفى سويف "الذي ألف الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة" وقد اعتبره محمد يوسف نجم فتحاً في الدراسات النفسية النظرية، ودعا النقاد إلى حسن استغلاله والإفادة ممّا فيه من نظريات ومعلومات.

ونجد كذلك محمد النويهي في كتابه "ثقافة الناقد الأدبي"، وشكري عياد "البطل

في الأدب والأساطير" وقد استغلّ فيه الدراسات النفسية والأنثروبولوجية أحسن استغلال، وهذا المنهج يستمدّ من دراسات يونج وفرويد، وهو المنهج الذي طبقته مود بودكين* في دراستها

¹ - ناصر الدين الأسد "اللغة العربية تذبل الآن على أيدي أبنائها" مجلة العربي الكويتية، العدد 521 أبريل 2002 ص20.

* مود بودكين Maud Bodkin* 1875، 1967 كاتبة وناقدة أدب بريطانية نالت شهرة بكتابتها:

Archetypal Patterns in Poetry

النماذج العليا في الشعر¹

و تناول العقاد كلا من شخصيتي أبي نواس وابن الرومي؛ ففي الأول حلّل طبيعتها وفي الثاني حلّل معالمها، وتوالت الكتابة في هذا المجال لأهميته وحاجة النقد للمنهج النفسي. وكتب في هذا المجال محمد مندور ومصطفى سويّف "الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة".

وللتجربة الشعورية ارتباط وثيق بالصورة اللفظية، وحضورهما ضروري لتقييم وتقويم الأدب فكما أنّ التجربة الشعورية لا تكتمل بدون صورة لفظية في العمل الأدبي، فكذلك الشأن بالنسبة للصورة اللفظية أو التعبير.

والتعبير في اللغة يشمل صورة لفظية ذات دلالة ولكنّه لا يصبح عملاً أدبياً إلاّ حين يتناول "تجربة شعورية معيّنة".²

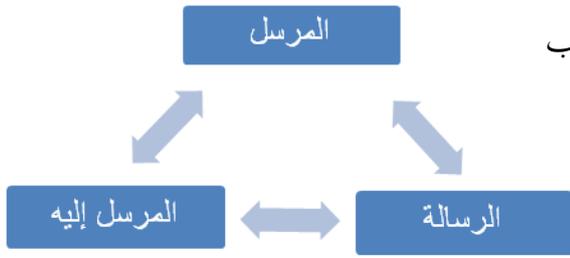
وبالتالي فالعمل الأدبي لا تكتمل صورته إلاّ إذا عبّر عن تجربة شعورية، موحية مؤثرة في نفس صاحبها ثم المتلقي، فتجعله يفعل بها ويتجاوب معها تجاوبا تلقائياً، ويمكن اعتبار المنهج النفسي من أعمق المناهج الأدبية لارتباطه بالحس والوجدان.

3. المنهج النفسي والعملية الإبداعية:

نعود لتحدّث عن العملية الإبداعية وضرورتها و الأطراف المشكّلة لها، والعلاقة الكامنة بينها لنقف عند حدود النموذج التواصلّي الذي يفسر العملية الأدبية باعتبارها مجموعة علاقات متشابكة انطلاقاً من العناصر ثلاثة: المرسل والمرسل إليه والرسالة، وكيف تعامل معها علم النفس؟

¹ - محمد يوسف نجم "نظرية النقد والفنون والمذاهب الأدبية في الأدب العربي الحديث" دار صابر - بيروت ط 1985/2 ص56.

² - سيد قطب: "النقد الأدبي أصوله ومناهجه" دار الشروق الطبعة 8 / 2003، ص11



يمكننا القول أنّ "التحليل النفسي للأدب

انطلق من العناية بالمرسل أي المبدع بمعنى

الأديب، و ربط بين إنتاجه من ناحية

وبين تاريخه الشخصي من ناحية أخرى¹ بمعنى أنّ فهم حقيقة ما تعرضها النصوص من خلق إبداعي مرهون بإدراك تحليلات الشخصية، لأنّ النصوص ما هي إلا إفرازاتها، ثمّ ربط ذلك بالتاريخ الشخصي للأديب " الذي يتمثل في مجموعة الخبرات المتراكمة لديه منذ سنّ الطفولة الباكر... . فإنّ أشدّ الفترات حسما في توجيه السلوك الإنساني في المستقبل طيلة عمره هي سنوات الطفولة...²، وهذا ما يطلّعنا به منهج التحليل النفسي الذي يركز على هذه المرحلة العمرية، لا من حيث الفطرة ولا من حيث الاكتساب. وتطلّ هذه الرحلة " تحكّم فيما بعد منظومة رموزه واستجاباته العاطفية والوجدانية،"³ والأديب كائن حيّ عاقل يمرّ بتجارب حياتية

كثيرا ما يكون الأدب مرآة عاكسة للنفس الإنسانية، لكنّ " الإنسان في زعم فرويد يلعب طفلا ويتخيل مراهقا ويحلم أحلام يقظة وأحلام نوم. والإبداع الفنّي عنده يشبه هذه الأنشطة."⁴ لقد ركّز المنهج النفسي الفريدي على الأديب لدرجة تحمّله ما لا يطيق وهو ما ينعكس سلبا على النصّ (الرسالة)، وإهماله لجوانب مهمّة كالجانب الاجتماعي ودوره في توجيه العمل الأدبي.

من المهم أن نبيّن أنّ التحليل النفسي كغيرها من المناهج التي ذكرت سالفا لم يول أهمية للجانب الفنّي أو الجمالي كقيمة لها وزنها في العمل الأدبي بل انشغل بتفسير الظواهر النفسية واستنباط دلالاتها وربطها بالعمل الأدبي.

¹ - ينظر صلاح فضل، ص 69.

² - المرجع نفسه، ص 69

³ - المرجع نفسه، ص 69

⁴ - وليد إبراهيم القصاب " مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية معاصرة "، ص 54.

مما لا شكّ فيه أنّ الدراسات الأدبية استفادت من علم النفس ومفاهيمه بكيفيات شتى عبر مجالات مختلفة نوجزها فيما يلي¹:

- دراسة العملية الإبداعية في ذاتها (سيكولوجيا الإبداع)؛ أي ماهيتها النفسية وعناصرها وطقوسها الخاصة.

- دراسة شخصية المبدع (الاتجاه البيوغرافي أو سيكولوجيا المبدع) بمعنى البحث في دلالة العمل الإبداعي على نفسية صاحبه.

- دراسة العلاقة النفسية بين العمل الإبداعي والمتلقّي (سيكولوجية التلقّي أو الجمهور).

- دراسة العمل الإبداعي من زاوية سيكولوجية (التحليل النفسي الأدب)، وهو المجال الحقيقي للممارسة النقدية النفسانية.

يورد خير الله عصار ما يميّز التفسير أو التحليل النفسي عن التحليل الأدبي التقليدي في نقاط ثلاث²:

أ - في التحليل النفسي للأدب نحاول رصد الحاجات (الدوافع) الجسدية والنفسية والاجتماعية التي يتضمّن النصّ الأدبي والتي لم تشبع.

ب - كما أنّنا نحاول تحديد التآزم الذي سببه عدم الإشباع هذا.

ج - وأخيرا فإنّنا نحاول أيضا البحث عن الصور البيانية (الذي أسميناه التهويم...)، التي استخدمها الأديب من أجل تغليف التعبير عن التآزم والابتعاد عن التعبيرات الشائعة والالتصاق أكثر فأكثر بالمعنى الانفعالي.

لا أحد ينكر ما قدّمته مدرسة التحليل النفسي للأدب، غير أنّها واجهت انتقادات أهمها:

¹ - ينظر يوسف وغليسي "مناهج النقد الأدبي" جسور للنشر والتوزيع الجزائر، ط3/1431هـ. 2010م، ص223

² - خير الله عصار "مقدمة لعلم النفس الأدبي". ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر ط/ 1982. ص56.

- انصراف الدراسات نحو صاحب النصّ أو شخصية وإهمال الأساس الذي هو النصّ أو الأثر.

- كثيرا ما ساوت بين النصوص جيّدها ورديئها، وقد يقَدّم الثاني على الأوّل إذا تطلّب الأمر ذلك.

- تشبيه الإبداع الأدبي بالحلم، في حين أنّ الإبداع يُتَحكّم فيه ولا يُتَحكّم في الحلم. إنّ عملية التحليل النفسي للأدب عملية في الحقيقة معقّدة ودقيقة لأنّها تتعامل مع النفس الإنسانية المتقلبة المزاج، ومن الصعب أن نستشفّ أحوالها اعتمادا على وسائل تجريدية وفرضيات تخمينية. ومع ذلك فللمنهج النفسي فضل في إضاءة جوانب مهمّة ساهمت في فهم العمل الأدبي.

4. الاستشراق ومنهج النفس الأدبي:

المستشرقون ليسوا على فهم واحد في تعاملهم مع النصّ الأدبي العربي وذلك لتعدّد مشاربهم ومنازعهم وميولهم ورغباتهم من جهة، وارتباط بعضهم بمؤسّساتهم العلمية والسياسية من جهة أخرى.

ولهذا فالقراءة من الوجهة النفسية للأثر الأدبي العربي من قبل المستشرقين تعددت أوجهها، حيث حاول بعضهم أن يتخذ المنهج النفسي معتمدا وميدانا له، باعتباره منهجا له أسسه و ضوابطه التي يسعى من خلالها إلى معرفة علاقة علم النفس بالإبداع الأدبي. " يرى كثير من الباحثين أنّ التحليل النفسي للأدب يجلي غموضه ويزيل التباسه بأدوات معرفيّة مجرّبة صحيح أنّه ليس ثمة قراءة بريئة، أو قراءة مكتملة، إلا أنّ تحليل العمل الأدبي يعيدنا إلى رحاب العلاقة القائمة بين علم النفس والأدب وهي علاقة وطيدة تقرّها المناهج على اختلاف مشاربها"¹

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هل استطاع المستشرق أن يقرأ النصّ الأدبي قراءة واعية موضوعية وفق المنهج النفسي السليم؟

بما أنّ النصّ طاقة حيوية غنية متجددة، وبممتلك قدرا فائقا من الايجاءات والتأثير لا شك في ذلك فهو يفسح للباحث أو النقد فرصة الدراسة والسّبر والتقصّي باستمرار، ويدفع الاتجاهات النقدية إلى المزيد من القراءات النقدية، سيما النصوص الحداثيّة (الشعر العربي المعاصر). ويبقى على الناقد أن يحسن تطبيق المنهج وأن يتسلّح بعُدّته. وإنّ كثيرا من القراءات والأحكام النقدية الاستشراقية تخالف ذلك، وتكشف عن أحكام صادرة عن مرجعيات محكومة بأفق محدّدة، ورؤى ارتبطت بنظريات ومفاهيم أثبتت قصورها أو أعيد النظر في تطبيقها.

¹ - محمد عيسى " القراءة النفسية للنصّ الأدبي العربي " مجلة جامعة دمشق المجلد 19 العدد (1، 2) السنة 2003

إنّ القراءة وفق المنهج النفسي للنصوص الأدبية شيء مهم لتفسير الظواهر التي تواجه الشخصية الأدبية ودوافعها النفسية إيجاباً أو سلباً، والأديب ليس معصوماً بطبيعة الحال، وليس معزولاً عن الأحوال والظروف العامة و الخاصة الداخلية و الخارجية.

إنّ قراءتنا السريعة لبعض إنتاج المستشرقين النفسية للأدب العربي تبدو معيارية من خلال الأحكام التي سنشير لها لاحقاً، والتي لا يخفى بعضها على أحد، وإن أبدى المستشرق مرونة وتعطفاً مع بعض النصوص العربية، الشيء يجعلنا في كثير من الأحيان نطرح السؤال لمن يكتب المستشرق؟

إنّنا قد نرفع اللبس - مرغمين - إذا كان هذا المستشرق يكتب بلغته فنقول أنّه يكتب لمجتمعه، ولكن الأمر يختلف تماماً عندما نجدّه يكتب أو يحاضر بالعربية فهو يكتب للناطقين بها عرباً وعجماً.

نعثر في دراستنا للاستشراق على مناهج ومفاهيم أطلقها مستشرقون ربطت بنظريات سياسية أو اجتماعية أو الدينية أو نفسية، والأدهى من هذا أن نجد هذه الأحكام تتكرر لدى كثير منهم إن لم نقل معظمهم، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- منهج الاسقاط*

- منهج التأثير والتأثر

- التسامي* و الاستعلاء وتجلّي في المركزية الأوربية.

- ومفاهيم العرق والجنس، وما ذهب إليه داروين في نظرية النشوء والارتقاء أو تطور الكائنات وغيرها من المناهج والنظريات الغربية الوافدة والتي ظهرت في فترة معينة وأثبتت فشلها، وطُبقت على الأدب العربي دون معايير موضوعية، و لا مراعاة لخصوصياته.

وقد تبين في التطبيق إخلاص المستشرق، و وفاؤه لتلك المناهج والنظريات المعبّرة عن فلسفات وعقائد وإيديولوجيات يتبناه أفراد ومؤسّسات مما يجعلنا نحكم على المستشرق حكماً سلبياً في كثير من الأحيان، لكن ذلك لا يعدم محاولات لها الأثر الإيجابي.

المبحث الخامس: المنهج اللغوي.

1. اللغة العربية وأهميتها.
2. اللغة العربية وعلاقتها باللغات الأخرى.
3. منهج البحث اللغوي.
4. الاستشراق واللغة والأدب العرب.

المبحث الخامس: المنهج اللغوي.

1. اللغة العربية وأهميتها:

اللغة العربية لسان حال الأمة العربية وترجمان ثقافتها، والسبيل إلى فهم آدابها وفنونها ووسيلة الإفصاح والإبانة عن أفكار أفرادها، وما تحتلجه نفوسهم وما تخفي صدورهم، و"ما زال اللسان في كل أمة جلاء الأذهان، وصقل الخواطر وديوان الأخبار والآثار"، هذا حال اللسان في كل أمة فكيف إذا حُصّ اللسان العربي دون غيره من الألسنة، و"إن لسان العرب المبين من أبين الألسنة دلالة، وأوسعها معجماً وأذهبها في فنون القول والبلاغة وصرف البيان والفصاحة."¹

و زاده عظمة، وعلو شأن، وسمه قدسية القران الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾² وهذا اللسان يحفظه الذكر، قال جلّ من قائل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾³، كما أنه محفوظ في الصدور، معنى ذلك أنّ اللسان العربي مستمر إلى يوم الدين، و أنّ الأمة العربية لا تحيا بغير لسانها.

ولسان الذكر الحكيم لا اعوجاج فيه ولا تلكأ، " فلم يجد هؤلاء الذين نزل فيهم في فهمه شيئاً من العناء ولم يكابدوا في التعرف على مراميه أيّ مشقة، وذلك راجع أولاً وقبل كلّ شيء لنقاء ألسنتهم وغلبة الفصاحة عليها.

¹ - عبد الرحمان بودرع "غربة العربية" كتاب الأمة - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر - العدد 101 جمادى الأولى 1425 السنة الرابعة والعشرون جويلية (يونيو) 2004 م، ص 27.

² - سورة الشعراء الآيات 192 - 195

³ - سورة الحجر الآية: 9

يُروى عن ابن العباس رضي الله عنهما أنه قال: ما كنت أدري قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾¹ حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول لزوجها: تعالى أفتحك تعني أفاضيك.²

واللغة كما عرّفها القدامى هي أصوات يعبر بها قوم عن أغراضهم. وجمعها لغى ولغات ولغون. ولقد ظلت اللغة حيّة نظرة سارية بين الأفراد، يقيمها الحاكم والمحكوم، وتُساهم فيها الأسر و القبائل و المجتمعات، تُدرك بسهولة. لا يصيبها الوهن، ولا ينتابها اللحن، وإن وُجد سرعان ما يقاوم، قيل لمروان بن عبد الملك لقد أسرع إليك الشيب، قال شيبني ارتقاء المنابر وكثرة اللحن.

هذه اللغة التي بحث في أصولها الباحثون، وأزّحت لها المدونات والأصفار العربية والعجمية وعُدّت إحدى فروع السامية نسبة إلى سام بن نوح عيه السلام. وهي "أرقى اللغات السامية وأوسعها و أغناها بمختلف الكلم و المشتقات،"³ فهي بذلك ليست قاصرة في احتواء مستجدات العصر، كما ينعتها الناعتون، بل إنّ القصور يقع على اللذين استُحفظوا عليها ولم يبلغوا بها مبلغ الكمال.

2. اللغة العربية وعلاقتها باللغات الأخرى:

لقد جعل الله تعالى اختلاف ألسنة البشر آية من آياته التي تبرهن على قوته وعظمته وعبرة للمعتبرين، ولو شاء لجعلها لسانا واحدا مادام أبو البشرية واحدا، لكنّها حكمة

¹ - الأعراف: الآية: 89

² - محمود محمد الطناحي "من أسرار اللغة في القرآن والسنة معجم لغوي ثقافي" دار الفتح للدراسة والنشر، ج1 ط1428/1هـ، 2008م ص58

³ - الأمير مصطفى الشهابي "المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث" دارصادر للطباعة والنشر بيروت لبنان ط3 / 1416هـ - 1995م، ص9.

الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾* و مدلول الآية إقرار لمبدأ تعدد اللغات واللهجات، ودعوة للتبصر والابتعاد عن كلٍّ توجُّهٍ يؤدي إلى التمييز والعنصرية المبنيين على أساس اختلاف الأديان والأوطان والألوان والألسنة. و من الحكم في هذا التغاير تنوع صفات البشر ولغاتهم فلو خُلِقوا على صورة واحدة لكان المنظر مملاً، والتمييز بينهم مستحيلاً.

ومن هنا ندرك أنّ "جميع اللغات إشارات لتفاهم البشر، و حياة البشر الاجتماعية كانت سبب تكوّن الألسن على اختلافها."¹

ولا شك في أنّ العلاقات بين الظواهر اللغوية و الاجتماعية كامنة مذ وُجد الانسان وتأثر اللغة بالنظم والتقاليد الاجتماعية لم يتوقف. وجوهر الوجود الإنساني كما ارتضاه الله في القرآن الكريم إنّما ليعبد الله على بينة أي: على علم، ويتواصل بواسطة اللغة مع جماعته ومع الإنسانية قاطبة لإقامة روابط المحبة والإخاء في هذه الحياة في إطار الاحترام المتبادل.

لقد بذل القدامى جهوداً مضيئة في دراسة اللغة وبيان أهميتها وقيمتها في الحياة، " وأدرك علماء العصر الحديث علاقة اللغة بالمجتمع الذي نعيش فيه، ومدى تأثيرها به وتأثيرها عليه كما عرفوا الصلة بين اللغة والنفس الإنسانية وتلوّنها بألوان الانفعالات والعواطف الوجدانية لذي بني البشر."² وأوجدوا ما يسمى بعلم اللغة الاجتماعي، دراسة اللغة وعلاقتها بالمؤثرات الاجتماعية المباشرة وغير المباشرة، من أسرة و مؤسسة تعليمية وتربوية، ومحيط الاجتماعي و اختلاف الأجناس والأعراق وغيرها، مما يؤثر في اللغة.

* قال محمد علي الصابوني: واختلاف اللغات من عربية، وعجمية، وتركية، و رومية، واختلاف الألوان من أبيض وأسود وأحمر، حتّى لا يشبهه شخص،... بأحر مع أنّهم جميعاً من ذريّة آدم " _محمد علي الصابوني"صفوة التفاسير تفسير القرآن الكريم، جامع بين المأثور و المنقول" - ج2 عالم الكتب، بيروت، ط1/ 1406هـ 1986م ص745.

* سورة الروم الآية 22

1- الأمير مصطفى الشهابي "المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القدم والحديث"، ص5.

2- رمضان عبد التواب"المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي"مكتبة خانجي للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ط3/1998،(من المقدمة ص: أ)

دراستها انطلاقاً من المجتمع بخلاف علم الاجتماع اللغوي الذي يدرس التصنيفات اللغوية، والتعدد اللغوي في الإطار الاجتماعي. "ولم يألوا علماء اللغة جهداً في الوقوف على أسباب الصراع بين اللغات المتجاورة ومظاهره ونتائجه، وولادة لغة واندثار أخرى، والعلاقة بين اللغة واللهجات"¹ ومسائل أخرى أرقتهم كعاملين في هذا الحقل. و استفادوا فيما بعد من المناهج الحديثة، والعلوم المستحدثة، والتطور العلمي والتكنولوجي الحاصل خصوصاً في مجال اللغة في جانبها التطبيقي.

تأسيساً على هذا الفهم، فإننا نذهب إلى أنّ اللغة العربية تتضمن في أعطافها رؤياً مستقبلية، وهي بذلك من أكثر اللغات الإنسانية ثراءً بألفاظها، و وعياً بمقتضيات المستقبل وضروراته، وأكثر تكييفاً مع الواقع إن هي حظيت بمكانتها.

3. منهج البحث اللغوي:

إنّه من نافلة القول ونحن نخوص في مجال البحث اللغوي أن نشير إلى جهود الرواد العرب الأوائل في هذا المجال، إذا تعتبر جهود ابن جني في خصائصه وابن فارس في صاحبه* وعبد القاهر الجرجاني وأسرار البلاغة، والسيوطي المزهري في علوم اللغة وأنواعها، وغيرهم من اللغويين القدامى دراسات جادة ومجهودات رائدة لا يمكن إغفالها في مجال البحث اللغوي ولهم الفضل في تأسيس علم اللغة.

بعد عطاء هؤلاء المتواصل "بوسعنا الآن أن نقفز عبر القرون إلى العصر الحديث، الذي شهد نهضة ثقافية، كان من أبرزها عوامل انفتاح عقلية الباحثين على مناهج البحث التي اهتدى إليها علماء أوروبا وطبقوها"² على آثارهم، فانتسعت بذلك مجالات البحث اللغوي وتعددت مناهجه وبفضل التطور العلمي والتكنولوجي، وتقدم وسائل البحث والاتصال

¹ - المرجع السابق، (من المقدمة) ص: أ

* كتاب "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب"

² - عبد الصابور شاهين " في علم اللغة" مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط6/1413هـ، 1993م، ص12

تمخضت عن جهود الباحثين مناهج في مجال اللغة بعضهم ذكر ثلاثة*، وعدّها غيرهم خمسة وهي: المنهج الوصفي والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن، المنهج المعياري، والمنهج التقابلي. " ولكل منهج من هذه المناهج أنصار يدعون له ويغضّون من شأن المناهج الأخرى، ولكن مع ذلك نرى أنّ كل منها يؤدي غرضاً لا يؤدّيه غيره، وإن مال الميزان في العصر الحديث مع المنهج الوصفي، وتعددت طرائقه وتشعبت مسالكه.¹ ومعظم هذه المناهج مهدت لها الدراسات القديمة.

في حديثه عن أظهر المناهج اللغوية التي اعتمدها المستشرقون في دراستهم للغة العربية بين إسماعيل عمارة كيف طبّق المستشرقون نفس المناهج المطبقة على لغاتهم، وعالجوها بنفس المعايير النقدية التي عالجوا بها لغاتهم كما صرح بذلك رودي بارت لما قال: "ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلفات العربية التي نشغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن."²

إنّ ما أوقع كثيراً من المستشرقين في الخطأ هو اختلاف المقاييس بيننا وبينهم في الواقع فالمعايير واحدة والثقافة مختلفة، وهو ما أوقعنا نحن العرب كذلك في الخطأ، كما أشار لذلك إسماعيل عمارة، حين قدمنا إلى ما عملوا فنسفنناه دون معرفة كافية بطبيعة مناهجهم ومستلزماتها، والاستنتاجات المرتبة عليها،³ وارتكز الباحث في دراسته على ما رآه أظهر المناهج التي تناولها المستشرقون وهي: المنهج التاريخي والمنهج المقارن، والمنهج الوصفي، والمنهج الإحصائي. ولنلقي الضوء على تلك المناهج التي سبق ذكرها:

* رمضان عبد التواب يذكر ثلاثة: المنهج الوصفي، المنهج التاريخي، المنهج المقارن

¹ - رمضان عبد التواب، المرجع السابق (من المقدمة)، ص: ب.

² - إسماعيل عمارة " المستشرقون والمناهج اللغوية ". دار حنين - عمان الأردن ط 2 / 1992، ص 13.

³ - المرجع نفسه، ص 14.

1_ المنهج الوصفي Méthode descriptive:

يهتمّ بوصف ودراسة وتحليل اللغة في عصر من العصور اعتماداً على وثائق مكتوبة كاعتمادنا على القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الشعر العربي في دراسة العربية. وهو منهج الباحث لا المتعلم عكس المنهج المعياري، "فقد كانت العبارة الشائعة عند العرب في إنشاء هذا البناء هي: هكذا تقول العرب"¹ خصوصاً عند النحاة قبل التقعيد النحوي.

" ويتخذ الوصف ثلاثة طرق متكاملة في تحليل الظاهرة اللغوية وصولاً إلى تقعيدها وهي: استقراء المادة اللغوية مشافهة، ثمّ تقسيمها أقساماً وتسمية كلّ قسم منها، ثمّ وضع المصطلحات الدالة على هذه الأقسام لنصل بعد ذلك إلى وضع القواعد الكلية أو الجزئية التي نتجت عن الاستقراء؛ فيكون البدء بالاستقراء وتسجيل الظواهر من أهمّ الأسس التي يُعتمد عليها في الوصف بخلاف المعيار الذي يبدأ بالتقعيد..."²

2_ المنهج المعياري Méthode standard:

هو المنهج الذي يسعى إلى استخلاص القواعد بغية تعليمها، أو هو المنهج الذي يحدّد اللغة معايير وقواعد تحكمها، وما خالفها يعتبر مخالفاً شاذاً لا يقاس عليه، وهو عند إحسان تمام "المستوى الصوابي" ويراد به المعيار اللغوي الذي يرضى عن الصواب ويرفض الخطأ في الاستعمال،³ كما أنّه "مقياس اجتماعي يفرضه المجتمع اللغوي على الأفراد، ويرجع الأفراد إليه عند الاحتكام في الاستعمال"⁴ كما يلجأ إليه بعض اللغويين التقليديين الذين يشتغلون غالباً في مجال التعليم خصوصاً تعليم اللغات القومية التي ترتبط بموروث حضاري أو ديني.

¹ - تمام حسان "اللغة بين اللغوية و الوصفية" عالم الكتب القاهرة، ط 4 / 1421 هـ - 2001، ص 9.

² - علي زوين " منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث " دار الشؤون الثقافية العامة أفاق عربية سلسلة كتب شهرية، وزارة الثقافة والإعلام بغداد، ط 1 / 1986، ص 11

³ - ينظر تمام حسان "اللغة بين اللغوية و الوصفية" ، ص 74.

⁴ - المرجع السابق، ص 74.

3_ المنهج التاريخي Méthode historique:

يهتمّ المنهج التاريخي بدراسة اللغة عبر عصور مختلفة، فيدرس الظاهرة الواحدة من خلال حقب تاريخية متعدّدة، ويلاحظ متغيرات كل حقب عن الحقب التي سابتها، ويُدرس ذلك التطوّر أو التغيير من خلال رصد المستويات الاجتماعية والثقافية وغيرها من المستويات التي تؤثر أو تتأثر بالمستوى اللغوي، كأن يدرس تطوّر صيغة صرفية من عصر إلى عصر أو دراسة صيغ الممنوع من الصرف . مثلاً . في اللغة العربية يتتبع توزيعها ونسبة شيوعها في المستويات اللغوية المختلفة عبر الحقب التاريخية المختلفة. فالمنهج التاريخي يرصد الظواهر اللغوية تطوّراتها عبر العصور المختلفة.

4_ المنهج المقارن Méthode Comperative:

وهو ذلك المنهج الذي يعتمد على المقارنة في دراسة الظاهرة حيث يبرز أوجه الشبه والاختلاف فيما بين ظاهرتين أو أكثر، ويعتمد الباحث من خلال ذلك على مجموعة من الخطوات من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية.

والمنهج المقارن يعتمد على أسس المنهج التاريخي لكن يختلف عنه في أنّه يتتبع الظواهر اللغوية في أعماق الماض، وفي أكثر من لغة، " ويركّز بشكل خاصّ على بحث الظاهرة في اللغات التي تنتمي إلى أصل واحد كاللغات السامية و الهندو الأروبية"¹. ومن أبرز نتائجه هو حصر اللغات الإنسانية في مجموعات أو عائلات مصنّفة حسب تشابه كلّ عائلة في ملامح عامّة سواء أكانت صوتية أو نحوية أو صرفية أو دلالية. كالمجموعة الهندو أروبية والتي تضم معظم لغات أوروبا وإيران والهند وغيرها من المجموعات والمقارنة بينها. ودراسة اللهجات " وشفوة القول أن ظهور المنهج المقارن أدى إلى بداية الاهتمام باللهجات العربية"²

¹ - اسماعيل أعميرة " المستشرقون والمنهج اللغوية "، (المرجع السابق)، ص41.

² - محمود فهمي حجازي " اتجاهات المسنشرين في دراسة الحياة اللغوية في العالم العربي الحديث " مجلة " المجلة العدد 114، في 1 يونيو (يناير) 1966، في ص68.

5. المنهج التقابلي Méthode ntrastive:

هو من أحدث المناهج اللغوية، نشأ بعد الحرب العالمية الثانية، ويهتم بدراسة ظواهر لغتين أو لهجتين بهدف الوصول إلى الفروق أوجه التقابل بينهما، ولا يشترط أن تكون هاتان اللغتان أو اللهجتان من فصيلة لغوية واحدة (كما هو المنهج اللغوي المقارن) بل يمكن أن تكون اللغتان من فصيلتين مختلفتين، كما لو قابلنا بين الخصائص التركيبية للجملة في اللغتين العربية والإنجليزية، أو العربية والفرنسية.

4. الاستشراق واللغة والأدب العربي:

أ - اهتمام وعناية الاستشراق باللغة و الأدب العربي:

تبيّن في السنوات الأخيرة تقدّمًا في مجال الدراسات اللغوية بفضل ازدهار المناهج الحديثة حيث بدأ المستشرقون يأخذون بأحدثها في دراسة اللّغة والأدب العربي، لكن هل تمكّن المستشرقون من الإحاطة باللغة العربية وعلومها؟ و هل فهموا دلالات الألفاظ والعبارات في سياقاتها فهما عميقا؟ وهل قدّرو النصوص الأدبية شعرا كانت أو نثرا دون تجزئتها؟

هناك من يقول: أنّ المستشرق تبخّر في اللغة وعلومها، وأنّه إذا أوتي الإرادة ودرس اللّغة استطاع أن يحقّق ما لم يحقّقه العربي الذي وُلد في رحم الضاد.

إذا سترجعنا المسار التكويني للمستشرق سلفستر ذي ساسي ومبلغ آفاقه، وهو أحد رموز الاستشراق. *فإنّ "العربية بشكل خاصّ هي التي فتحت له أبواب الشرق، إذ أنّ المادّة الشرقية بنمطها المقدّس والمدنّس، كما يرى جوزيف راينو، لم تكن لتوجد إلا بالعربية"² وقد

*أنطوان إيزاكسلفستر دي ساسي (دو ساسي) (1253 - 1172 هـ / 1758 - 1838 م) مستشرق فرنسي.

عنوان كتابه المشار إليه: «النحو العربي، لاستعمال تلاميذ المدرسة الخاصة باللغات الشرقية»

« Grammaire arabe à l'usage des élèves l'Ecole Spèciale des Langues Orientales »

1- إدوارد سعيد " الاستشراق، المعرفة السلطة، الإنشاء" نقاه إلى العربية كمال أبو ديب مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت لبنان، ط2001/5م. ص146.

ألّف كتابا في النحو العربي كان يدرّس في فرنسا، و عُيّن أوّل معلم للعربية في مدرسة اللغات الشرقية، ثمّ مدير لها، ليصبح أبا الاستشراق بلا منازع في فترة زمنية معيّنة وعلى يده تمّرس جيل أسّس للاستشراق الحديث والمعاصر.

لقد حرص المستشرقون على دراسة اللّغة وكل ما يتصل بها من قريب أو بعيد، فبحثوا في أصواتها ولهجاتها، ونحوها، و صرفها، وأصولها، ومعاجمها، وأطوارها، وغزارتها، و مادّتها و فلسفتها، وعناصرها ونقوشها وعلاقتها باللغات الأخرى وخاصة الساميّة، وكل ما أنتجته هذه اللّغة، حتى يبدو كأنّه صبّ اهتمامه عليها لصلتها الوثيقة بالقرآن و الحديث الشريف.¹ وصمودها أمام مختلف التيارات العاتية الهدّامة.

كما سعى المستشرقون إلى تطبيق المناهج اللغوية المذكورة سلفا، يرى بعض الدارسين أنّ لهم فضل تطبيقها على العربية، بعد أن طبّقوها على لغاتهم، واستثنى من ذلك مناهج لم تطبّق بوضوح على العربية، منها المنهج المعياري الذي كانت جهود المستشرقين فيه تطبيقية احتذائية مقلّدين بذلك العرب القدامى.²

لقد نبه إسماعيل عمايرة إلى شيء مهمّ لمن أراد أن يدرس جهود المستشرقين في تطبيقهم للمناهج اللغوية وأن يأخذ بعين الاعتبار الأمور الآتية³:

- الصبر والاناة.

- المعرفة الدقيقة بمناهج البحث اللغوي الاستشراقي، والقدرة على الربط بينها وبين مناهج

البحث اللغوي بعامة.

- التنبيه إلى دواعي القصور وأسباب الخطأ في الحكم على العربية.

¹ - أحمد سمائلوفيتش: "فلسفة الاستشراق وأثرها في الدب العربي المعاصر " المرجع السابق، ص 184 - 185

² - ينظر اسماعيل اعمايرة "المستشرقون والمناهج اللغوية «، دار وائل للنشر عمان الأردن ط3/2001، ص12.

³ - المرجع نفسه، ص 13

وهذه الاعتبارات تعين على الدراسة الفعلية البعيدة عن الانفعالية، لأنّ بعض المستشرقين درسوا اللغة دراسة معمّقة كما أشرت، " وأنّ كثيراً من دراساتهم اللغوية قد اتّسمت بالصبر والأناة، واتّخذ العدّة في البحث من اطلاع على مناهج البحث اللغوي، وقدرة على الموازنة بين الظواهر اللغوية في لغات مختلفة..¹"

ومن ثمّ الاهتمام بالأدب العربي قديمه وحديثه بشقيه الشعري والنثري باعتباره يصوّر الحياة الدينية الاجتماعية والثقافية والسياسية للأمة العربية في جميع أطوارها.

فأمّا عناية الاستشراق بالأدب العربي القديم فانصبّت على دراسة تاريخه وتطوّره، وقيّمته وأصالته، وعصره ونهضته، وتأخّره، وازدهاره، وانحطاطه، وانتحاله، وسرقاته وتأثيره وتأثيره وأعلامه، وشعرائه، وكتّابه، وقد كانت عنايته به أكثر وأشدّ شغفاً وأوسع انتشاراً، وأصعب دراسة لأنّها محاولة لفهم الشخصية العربية، والاحاطة بها من كل جوانبها.²

- وأمّا اهتمام الاستشراق بالأدب العربي الحديث انحصر في ثلاثة ميادين رئيسية³

1- تحقيق مخطوطات.

2- دراسة أدبه.

3- اتجاه نقده.

ومما يجب الإشارة إليه أن تحقيق هذه الميادين الثلاثة المشار إليها سلفاً تستدعي الاهتمام أولاً وقبل كل شيء باللغة العربية وإتقانها وفهمها فهماً جيّداً، وسبر أغوارها، ومعرفة علومها ولا سبيل للخوض في فهم النصوص ما لم يتم التحكّم بزمامها، لذا بذل المستشرقون جهوداً كبيرة في تعلّمها، وبعضهم وصل إلى درجة تدريسها وإلقاء محاضرات بها في المدارس والجامعات العربية، كالمستشرق الإيطالي كارلو نلينو الذي ألقى محاضرات في جامعة مصر، وكذلك فعل

¹ - المرجع السابق، 13

² - أحمد سميلوفيتش: "فلسفة الاستشراق وأثرها في الدب العربي المعاصر"، ص 185

³ - المرجع نفسه، ص 549

ماسنيون وجب و بلاشير وبيلا وغيرهم، ناهيك عن تأطيرهم لبحوث أكاديمية و رسائل جامعية.

ب - تحديات استشراقية للغة العربية:

لقد منيت لغتنا الجميلة بغريتين: غربة خارجية حمل لواءها المبشرون وبعض المستشرقين ودعاة التغريب وغربة خارجية، ابتلاها بها بنوها وحماتها، وهذه أشد مضاضة وأبلغ الأثر في النفس من وقع الحسام المهند، والحديث في شأن اللغة حديث ذو شجون، "واللغة أداة التفكير، وأداة البيان، لا أحد يرتاب في أنّ هذا حقّ واضح الوضوح، ومن أجل أنّه حقّ تتلقاه بديهية العقل بالتسليم".¹

لما أراد بعض المفكرين المصريين اللّعب على أوتار اللهجة المصرية على حساب اللغة العربية، انبرى الرافي . عليه رحمة الله . للردّ عليهم حماية للغة الضاد، ودفاعاً عن العربية الموحّدة وإسقاطاً للقومية المفرّقة، فقال: "ما ذهب إليه أوهام قوم فضلاء يريدون أن تكون هذه اللّغة التي استُحفظوا عليها مصرية بعد أن كانت مصرية".² يريدونها عربية الحال إرضاء لبعض المستشرقين وأشباههم، ويريدها الرافي عربية التوحيد، التي تجمع الأمة العربية ولا تفرّقها.

لقد ارتاد دعاة إضعاف العربية أن يجدوا أسباباً وعللاً ومبررات لطروحاتهم، ونذكر هنا بعض المحاولات التي يراد بها تقويض العربية و إضعافها منها:

- محاولة إسقاط البنية التحتية أو الأساسية للغة العربية والمتمثلة في النحو العربي، الحصن المنيع الذي ضلّ طيلة عهود يحمي كيانها من التفكك والاندثار، وما نراه في الكتب المدرسية من عدم ضبط أواخر الكلمات بالشكل التامّ إلاّ أحد بلايا هذا التوجّه.

- وضع لغة وسطى بين الفصحى والعامية وقد سماها "ج، بارك" العربية الوسطى. " سماها بعضهم بالوسيطه والمخففة، وأطلق عليها البعض الآخر اللغة الثالثة. ولندعّ المستشرق الفرنسي

¹ - محمود محمد شاكر "أباطيل وأسمار"، مكتبة غانجي بالقاهرة ط3/2005، ص:406

² - مصطفى صادق الرافعي "تحت راية القرآن" دار الجوزي، مصر القاهرة، ط1/2010، ص:41.

أندري ميكال يوضّحها لنا: "هي وسطى بين العصور أي هي تقيم بيننا وبين العصر الكلاسيكي جسرا، وهي وسطى بين الطبقات الاجتماعية، وقد تأهلت شيئا فشيئا بواسطة الثقافة إلى أن تفهم، إن لم نقل كذلك إلى أن تستعمل استعمالا عاديا هذه اللغة التي هي في الآن نفسه أمينة مبسّطة ومعصّرة، وأخيرا هي وسطى بين مختلف الشعوب العربية من المغرب إلى العراق ومن السودان إلى سوريا."¹ لقد وجدت من يحاول تأصيلها نظيرا وتطبيقا كما فعل أحمد معتوق في كتابه "نظرية اللغة الثالثة. دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى".

- وأحيانا الدّعوة إلى الجمع بين اللغة الفصحى والأجنبية، وإغراق النص العربي بحروف ومصطلحات أجنبية، كاستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني، والإكثار من المعرب والدّخيل "وحجّة هؤلاء في تبرير التعريب اللفظي أو إدخال الألفاظ الأجنبية هو كما يزعمون شهرة هذه الألفاظ وذيوعتها عالميا وكون التداخل اللغوي أمرا طبيعيا"²

يرى عبد الرحمان الحاج صالح في شأنيّ الذبوع والتداخل اللّغويّ، إن كانا مبرّرين قويّين باعتبار أن العربية أخذت من غيرها من اللغات قديما وستأخذ منها مستقبلا، فإنّ الأول يأخذ بلغات عالمية مخصوصة ويغضّ الطرف عن غيرها من اللغات. والثاني في حال إكثار الأخذ منه من جانب واحد، فإنّه قد يوقع الآخذ في المسخ ثمّ الاندماج في غيره وبالتالي الزوال³ والذي يريد أن يعتزّ بلغته لا يرضى لها الهوان، و يبدو أنّ "نقطة الضعف الرئيسية في الواقع العربي برتمته حتى الآن هي ضعف بنيتها في مؤسساته العلمية الأكاديمية والبحثية، على كثرة العقول العربية المتفوّقة في المراكز البحثية العالمية. ويظلّ عجزنا حتى اليوم عن إقامة مجتمع

1- أندري ميكال "الأدب العربي" تعريب رفيق بن وناس، صالح حيزم، الطيب العشاش، الدار التونسية لفنون الرسم.

(دت ط)، ص: 107.

2- عبد الرحمان الحاج صالح "الذخيرة اللغوية العربية" مجمع اللغة العربية الأردني، العدد رقم 30 في 1 يناير 1986 ص 50.

3- المرجع السابق، ص 50.

معرفي متكامل...¹ و هو الشيء الذي يحرمننا من توحيد المصطلح و الاستفادة مما جدّ منها في ميادين المعرفة المختلفة.

¹ - صلاح فضل "أطراف نقدية" دار غراب للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1/1437م/2016م، ص 74.

الفصل الثاني

في تحقيق النصّ

الفصل الثاني: في تحقيق النص:

- المبحث الأول: النص والتحقيق والمنهج.
- المبحث الثاني: تحقيق النسبة الفردية.
- المبحث الثالث: تحقيق النسبة الجماعية.
- المبحث الرابع: نقد التحقيق

المبحث الأول: النص والتحقيق والمنهج

1. تحقيق النصوص:

التراث العربي غني بمخطوطاته إن دلّ ذلك على شيء فإنّما يدل على الثراء الفكري والعلمي الذي بلغه علماؤنا الأجلّاء خصوصا في عصر الذهبي من الفترة العبّاسية، حيث بلغت الحضارة العربية الإسلامية أوجّها في مختلف مجالات الحياة، وصنوف العلم والمعرفة في الدين واللغة والأدب، وفي الهندسة والحساب والمنطق، وغيرها من العلوم، فلا تكذب تجد علما من العلوم إلا وللعرب المسلمين فيه نصيب، بل لهم اليد الطّولى في كثير منها، وهذا لا ينفي تأثيرهم ببعض ثقافات وعلوم الأمم المتاخمة لهم كالروم والفرس والهند وغيرها.

يقول الجاحظ: "ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم، وأدرکنا ما لم نكن ندرکه إلا بهم فقد بحس حظنا منه."¹

والحقيقة أن المطلّع على مؤلفات أولئك العظماء، وما خلفوه من موسوعات في شتى المعارف ليقف عاجزا أمام نتاجهم الموسوعي ودقّة منهجهم، مما يعجز اللسان عن وصفه أو مقارنته مع ما خلفته الأمم التي عاصرتهم.

لكنّ هذه المؤلفات لم تسلم من التّحريف والتّصحيف والتّزييف مع مرور الزمن "فكما نشأت في أوائل القرن الثاني ظاهرة وضع الشعر ونحله للشعراء المتقدّمين حين أصبح الشعر بابا من أبواب الفخر، ووسيلة من وسائل المجد القبلي."² وإذا كان الحديث النبوي الشريف لم يسلم الوضع فكيف برواية الشعر وغيره من الفنون، لقد "صارت رواية الشعر بذلك تجارة فإذا

¹ - أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ "المخاسن والأضداد" - اعتنى بتصحيحه محمد أمين الحاجي الكتي وقرآة محمد أمين الشنقيطي - مطبعة السعادة مصر ط1/1324هـ ، ص 3.

² - محمد طه الحجازي "دراسات في التراث" عالم الفكر المجلد الثامن، العدد الأول، أبريل - مايو - جوان - 1977، ص 02.

اعوّزت تلك السلعة فلا بأس من الاحتيال لذلك بالصناعة والتزييف كما تزيّف الآثار وتروج كذلك الأمر في الكتب.¹

فقد نسبت بعضها لغير مؤلفيها ومن النماذج الدّالة على ذلك نسبة كتاب "التاج" و" المحاسن و الأضداد" للجاحظ ونسبة كتاب الأمانة والسياسة لابن قتيبة، وقد تبين بعد تحقيق المستشرق دوزي* أنه ليس من تأليفه ولا دليل يثبت ذلك من الذين ترجموا لابن قتيبة. ولهذا كان لا بدّ من علم يعيد الموازين إلى نصابها، والحقوق إلى أصحابها، ما أمكن وتحقيق التراث يعالج جانبين: جانب تحقيق نسبة النص إلى من هو منسوب إليه، وجانب تحقيق النص في ذاته، بحيث يكون صورة أمينة لصاحبه كما كتبه. الجانبان يلجأ إليهما المحقق فيما طرأ أو وقد يطرأ من وضع وانتحال كما حدث قديماً في الشعر لاعتماده على الرواية والمشافهة قبل ظهور التدوين.

أ - النصّ في اللغة والاصطلاح:

النص لغة: قال ابن منظور في مادة نصص، النصّ: رَفَعَكَ الشَّيْءُ، نص الحديث ينصّه: رفعه. وكل ما أظْهر، قال عمرو بن دينار، ما رأيت رجلاً أنصّ للحديث من الزُّهري أي أرفع له وأسند، ويقال: نص الحديث إلى فلان: أي رفعه، وكذلك نصصه إليه، ونصت الظبية جيدها رفَعته... والمنصّة: ما تظهر عليها العروس لثرى،... ونصّ القرآن ونصّ السنّة ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من أحكام.²

¹ - المرجع السابق ، ص 2.

* رابنهارت بيتر آن دوزي **Dozy** Reinhart Piter Anne 1820-1883 مستشرق هولاندي.

² - ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري " لسان العرب " حقّقه وعلّق عليه، عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم - مادة نصص، مج4 (ز - س - ش - ص - ط - ظ) . دار الكتب العلمية، ط2005/1م - 1436هـ ص539،540.

ورد في القاموس المحيط في مادة نص قوله: نص الحديث إليه: رفعه، وناقشه: استخراج ما عنده من السير والشيء الحركة. و المنصة (بالكسر): المرتفع، وناقشه: استقصى ما عنده وناقشه⁽¹⁾.

و أصل النص استقصاء الشيء الدال على غايته، ومنه كذلك الرفع والظهور، جمع نصوص و " نص المتاع: جعل بعضه فوق بعض."²

لم تختلف المعاجم العربية القديمة في التعريف اللغوي للفظ النصّ، وهذه المعاني فيما يبدو جامعة لمعنى الإبانة والظهور، واستقصاء الشيء.

واصطلاحاً: نجد أنّ مفهوم النصّ أخذ أبعاداً متعدّدة بحسب التوجهات المعرفية النظرية أو التطبيقية المختلفة، ومن تمّ فالاختلاف حول ماهية النص يكمن أساساً في اختلاف الفهم والتصور والغاية ومجال الدراسة، وبالتالي مفهوم النص وحدوده ونظريته، يتجسد ويتبلور وفق تلك المنطلقات والرؤى المتعدّدة، ومنه "نصّ الحديث الشريف" بمعنى المتن عند أهل الحديث.

النص عند أهل الأدب من المصطلحات الأكثر شيوعاً لدى الكتاب على اختلاف تخصصاتهم، وهو المتمم لعملية الإبداع الأدبي المرهونة بالمبدع أولاً يليه النص ثم المتلقي.³

والنص: الكلام المطبوع أو المخطوط الذي يتألف منه العمل الأدبي. وهو أيضاً "الكلام المقتبس من كتاب ويوضع بين هلالين لمناقشته أو الاستشهاد به."⁴

¹ - الفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، مادة: ن ص ص، دط 2010م، ص 568.

² - أحمد رضا "معجم متن اللغة"، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1960/1380، ج 5، ص 472.

³ - ينظر محمد فتحي الشمالي "قراءة في النص الأدبي مدخل ومنطلقات"، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1/ 2009 ص 27

⁴ - محمد التونجي "المعجم المفصل في الأدب" ج2 دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2/1999م، ص 860.

كما يعرف النصّ على " أنه كل نتاج تاريخي للكتابة ثم تنظيمه وفق بداية ونهاية أو كل ما يبدي قابلية لبناء بنية داخلية تتميز بقدر من المتانة من مقامة البنية السابقة من لسانية واجتماعية ونفسية، أما الكتابة فتتميز بالانتفاع والسيولة وقوة النفوذ أمام مختلف المؤثرات الخارجية." ¹

ويبدو أنّ النصّ في التعريف الاصطلاحي أخذ مسارات مختلفة بحسب كلّ ميدان أو تخصص، فهو إنتاج ذهني أو عصارة فكر متجدّد، ومادة خام للدراسات العلمية والأدبية.

ولسنا في مجال الخوض في مختلف المفاهيم بقدر ما نريد قبسا نستجلي به النصّ المرتبط بفنّ التحقيق الذي هو في الحقيقة علم قائم له أصوله ومناهجه ومختصّوه، وقد يفرض النصّ على المحقّق أحيانا منهجية معينة، غير أنّ العوامل المشتركة كقيلة نوعا ما بتوحيد العناصر العامّة لمنهج تحقيق النصّ، كما علينا أن نتميّر بين النصّ المخطوط والنصّ المطبوع، والمخطوط الأصلي وغير الأصلي.

ب - التحقيق في اللغة والاصطلاح:

- التحقيق: من حقّق يحقّق تحقيقا. وفي التنزيل ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾* و"التحقيق في اللغة هو إحكام الشيء، والتحقّق هو التيقّن." ² وحقّق الأمر حقّا وحقّه، وحقوقاً: صحّ وثبت وصدق، و"أحقّه) أي تحقّقه وصار منه على يقين...و(تحقّق) عنده الخبر صحّ...وكلام (محقّق) أي رصين." ³

¹ - سمير حجازي " المتقن " معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة - فرنسي - عربي - عربي فرنسي - دار الراتب الجامعية بيروت لبنان (د/ط، ت ط) ص 222.

* سورة يس: الآية 70

² - عبد الستار الحلوجي " المخطوط العربي " - مكتبة مصباح ط 2 / 1409 هـ - 1989 م ص .

³ - محمد بن أبي بكر الرازي "مختار الصحاح" ضبط وتحقيق مصطفى ديب البُعّا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين ميلة . الجزائر، ط 4 / 1990 مادة: ح ق ق، ص 102.

ومن أسمائه تعالى الحقّ، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾*~

فالتحقيق إذن لا يخرج عن معنى التيقن والتثبت والإحكام والإقرار والتصديق وصحة الخبر.

أما في الاصطلاح فيراد به إثبات المسألة بالحجّة أو كما قال الجرجاني "إثبات المسألة بدليلها."¹

و يراد به عند أهل التحقيق في الاصطلاح المعاصر "بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة"² شرائط يراد منها إحقاق الحقّ لأهله، وإقرار الأمانة العلمية "فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه،"³ أي إخراج الكتاب كما أراده صاحبه أو بمعنى آخر، "إصداره على الصورة التي أرادها لها مؤلفوها،"⁴ ويجمله فريد الأنصاري انطلاقاً من عدّة تعريفات بقوله: "وهو الصورة الثانية للمنهج التوثيقي، ويقصد به: بدل غاية الوسع والجهد لإخراج النصّ التراثي مطابقاً لحقيقة أصله نسبة ومتنا مع حلّ مشكلاته، وكشف مبهماتة"⁵.

~ حقّ من مرادفاته: عدل، إنصاف، القسط، ومن أضافته: "جور ظلم، تعسف، بغي . سعدي الضناوي وجوزيف مالك" معجم المترادفات والأضداد" المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان / ط/2010، ص 227. سورة الحج: الآية 62.*

¹ - يحيى وهيب الجبوري " منهج البحث وتحقيق النصوص: دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان - ط 1993/1 ص 127 (التعريفات ص 55)

² - عبد السلام هارون " تحقيق النصوص ونشرها "مكتبة الخانجي - القاهرة- ط 1418/7 هـ - 1998 م ، ص 42

³ - المرجع السابق، ص 42

⁴ - عبد الستار الحلوجي " المخطوط العربي"، ص 273.

⁵ - فريد الأنصاري "أبجديات البحث في العلوم الشرعية" محاولة في التأصيل المنهجي . سلسلة حوارات 27 مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء المغرب، ط1/1417 هـ . 1997، ص 80. وقد استخلصه من عدّة تعريفات أوردها عبد الهادي الفضلي في كتابه "تحقيق التراث".

فالتحقيق إذن نسبة المؤلّف إلى مؤلّفه وإخراجه متنه في دقّة علمية - ما أمكن - كما رغبه صاحبه مع المحافظة على معاني النص ومبانيه، مراعيًا طبيعة الكاتب وظروفه وزمن تأليفه.

2. منهج تحقيق النصوص:

إذا كان العلماء كما تصوّرهم ابن القيم الجوزية موقعين عن ربّ العلمين فيما يُصدرون من فتاوى لمجتمعاتهم، فإنّ محقّقِي الكُتُب ومخرجيها موقعين عن أصحابها نيابة عنهم إن صحّته المقاربة، لذا وجب عليهم أن يتّصفوا بالأمانة، و تحرّي الصدق فيما يؤدّونه من تحقيق، وما يقدّمونه من تعليق.

إنّ تحقيق النصوص أو المخطوطات يتطلّب معرفة دقيقة بها ومراتبها، أعلاها وأدناها أصلها وفرعها، المقدّمة والمؤخّرة، والترجيح وعدمه، وعنه النسخة الأساس (الأم) يقول عبد السلام هارون: "هي المخطوطات التي وصلت إلينا حاملة عنوان الكتاب واسم المؤلّف، وجميع مادّة الكتاب على الصورة التي رسمها المؤلّف وكتبها بنفسه أو يكون قد أشار بكتابتها أو أملاها، أو أجازها ويكون في النسخة مع ذلك ما يفيد اطلاعه عليها وإقراره لها."¹ وعلى هذا الأساس نقف على مراتب النصوص لأنّها السبيل إلى تحقيق موازنة وترجيح عادلين.

أ- مراتب النصوص:

والنصوص عند أهل التحقيق مراتب فيه الأصل وفيه الفرع، وفرع الفرع وفيه الأصول الشبيهة بالأبناء الأدياء، وقد شبهها عبد السلام هارون بأولي القسمة في علم الميراث، وتشبيه التحقيق وفروعه بعلم الميراث له دلالاته منها: ارتباط علماء التحقيق الأجلء بالدين، وأنّهم كانوا يجتهدون في استعمال القياس في مختلف المجالات.² وكذلك حرصهم على المحافظة على حقوق الغير و أداء الأمانة.

¹ - عبد السلام هارون " تحقيق النصوص ونشرها " المرجع السابق، ص 29.

² . ينظر المرجع نفسه، ص 29 - 30.

والنصوص كما رتّبها وفصلها عبد السلام هارون في مقدمتها النسخة الأم وهي أعلى المخطوطات مرتبة، وأقواها حجة، المشتملة على عنوان المؤلف، واسم مؤلفه، وجميع مادة الكتاب في صورته النهائية التي رسمها المؤلف أو أشار بكتابتها أو أملاها أو أجازتها وقد إطلاع على ذلك وأقره.

والنسخة المأخوذة من الأم ثم فرعها ثم فرع فرعها، ويرى أنّ الفروع تعد أصولا ثانوية إن وجد معها النسخة الأم، وإلا عد أوثق هذه النسخ ترتقي إلى مرتبتها، ثم التي تليها.

أحيانا نجد نصوصا موجودة داخل نصوص أخرى وهي الأصول القديمة المنقولة في أثناء أصول أخرى ويشبهها بالأبناء الأدعياء ولعل أظهر مثال يضربه لهذا النوع من الأصول المتضمنة ما ساقه البغدادي صاحب الخزانة حيث ضمنها الكتب النادرة منها كتاب فرجه الأديب لأبي محمد الأسود الأعرابي وكتاب اللصوص لأبي سعيد السكري إضافة إلى كتب أخرى.¹

وما تعلق بالنسخ المطبوعة بواسطة المطابع والمصوّرة بآلات التصوير في العصر الحديث وما ارتبط بها إذا انعدمت أصولها أو صعب الوصول إليها فمن المحققين من يعتد بها، ومنهم من يعدها أصولا ثانوية. والصور من النسخ يجرى عليها مجرى الأصل والفرع من حيث المطابقة شريطة الوضوح والمطابقة.

يعمد المحقق بعد هذا الجهد الجهيد إلى المقابلة بين النسخ التي تمّ تحصيلها في العمل البحثي بحيث يسجل النصّ انطلاقا من الأم أو الأصل ثم يقوم فيما بعد بمقابلة الفروع.

وإنّ النصّ ليكتسي قوّة ومصادقية في هذه المقابلة، لذا عُدّت المقابلة من الأهمية بمكان في النصوص التي تعدّدت نسخها.

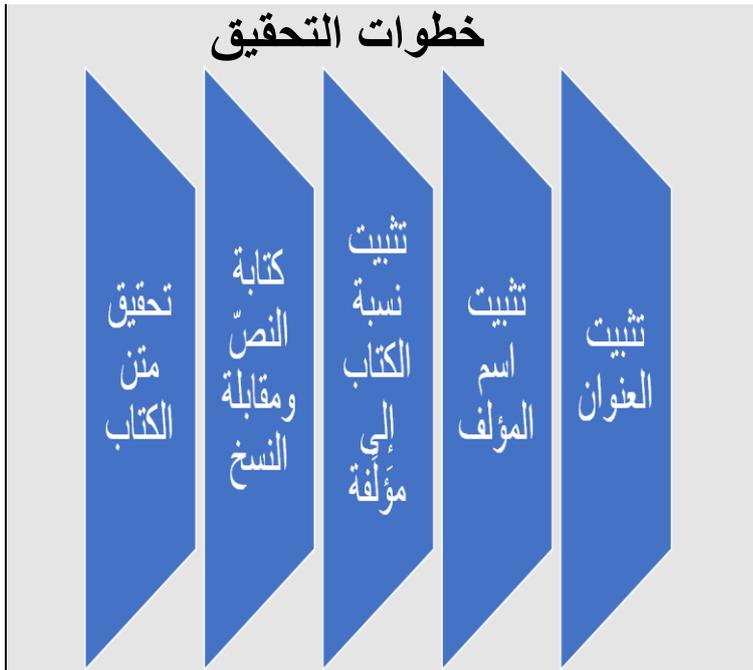
¹. المرجع السابق، ص 30.

ب- خطوات تحقيق النصّ:

خطوات مهمّة تعدّ من واجبات تحقيق النصوص يسعى المحققون لبلوغها " فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه، واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي أرادها مؤلفه.¹"

وهذه الخطوات التي ركّز عليها المحققون أولوها عناية تامّة، ودعوا إلى وجوب استيفائها في تحقيق وتوثيق النصوص متمثلة فيمايلي:

- تثبيت عنوان الكتاب - تثبيت اسم مؤلف الكتاب، - تثبيت نسبة الكتاب إلى مؤلفه.



وهي خطوات عملية بعد تحضير المادّة، بعضها يدخل فيما اصطلح عليه التحقيق الابتدائي، ويندرج ضمنه مقابلة النسخ وأضاف بعضهم مقابلة النسخ في حال وجودها. - تحقيق متن أو نصّ الكتاب أهمّ خطوة وجوهه العمل.

وهذه العناصر لا بد من اقتفاء أثرها في التحقيق لأنّها معالم التحقيق وركائزه، مرتبط بعضها ببعض وبلوغها يتطلب حادقا ماهرا بهذا الفن متمرسا بخطوط السلف والخلف، متقد العزيمة، واسع الصدر لتحقيق الغاية. تدفعانه الرغبة والرغبة² لبلوغها.

¹ - عبد السلام هارون "تحقيق النصوص ونشرها - مكتبة الخانجي بالقاهرة ط7 / 1418 هـ - 1998 م، ص 42. الطبعة الأولى كانت سنة 20 أوت سنة 1954.

* أقصد بالرغبة: عظم وجلال هذا الفن، "وتعظم في عين العظيم العظام". المتنبّي.

وهناك مكملات النصّ المتمثلة في الفهرسة والبليوغرافيا، وطباعة النص، وأمور أخرى.

1. تثبيت عنوان الكتاب:

عنوان الكتاب يمثل دليلاً وسمته التي يُعرف بها، وقد دأب الناس منذ القدم على عنونة مؤلفاتهم والتباهي بها، واتسم حيناً بالقصر والاقتصاد أو التوسط، وحيناً آخر بالتطويل والإسراف، " الأنواء" لابن قتيبة و"مبادئ الأصول" لابن باديس* و"العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لابن خلدون: واختيار العنوان ليس بالأمر الهين فقد يستغرق اختياره زمناً طويلاً مدّة التأليف، ولا يُتصوّر مؤلّف بدون عنوان وقد تفقد المخطوطة العنوان بسبب¹:

- فقدان الورقة الأولى منها.

- انطماس العنوان.

- تثبيت عنوان واضح جلي على النسخة يخالف الواقع.

وهذا الأخير يكون إمّا بداع من دواعي التزييف، وإما لجهل قارئ ما وقعت في يده نسخة حالية من عنوانها فأثبت ما خاله عنوانها.

وفي هذه الأحوال يرى عبد السلام هارون أن المحقق يحتاج هنا لإعمال فكرة سواء بالرجوع إلى كتب التراجم كما في الحالة الأولى أو البحث في نصوص الكتب المتضمنة وقد يلجأ إلى تمييز أساليب المؤلفين من خلال التمرس عليها، وهذا في شأن خلو الكتاب من العنوان.

وعن الانطماس الجزئي للعنوان فذلك معقود بمعرفة ثبت مصنفات المؤلف وموضوع

* قدمه له وحققه عمار طالبي - وطبعته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، دط/ 1980.

¹ - ينظر عبد السلام هارون "تحقيق النصوص ونشرها" المرجع السابق ص 43.

كلّ منها، ولا يخلو التزييف المعتمد والسادج من اجتهاد وبحث في الوسائل الموصلة إلى حقيقة العنوان.

إضافة إلى ما ذكر فقد يسوق المؤلف العنوان في كتاب آخر من كتبه، أو قد يرد ذكره في كتب غيره، ففي كلّ الحالات فالحقّق مطالب بالبحث وبذل الجهد للوصول إلى العنوان الحقيقي للكتاب، فيكون بذلك قد تجاوز المرحلة الأولى.

2. تثبيت اسم المؤلف:

معرفة عنوان المؤلف كثيرا ما تسهل عملية اكتشاف صاحب الكتاب أو المخطوطة من خلال الرجوع إلى فهارس الكتب وتراجم الرجال، الفهرست لابن النديم أو الأعلام للزركلي وكشف الظنون حاجي خليفة، أو تاريخ الأدب العربي للمستشرق كارل بروكلمان، أو التتممة لفؤاد سرکيز. "على أن اشتراك كثير من المؤلفين في عنوانات الكتب يحملنا على الحذر الشديد في إثبات اسم المؤلف المجهول، إذ لا بد من مراعاة اعتبارات تحقيقية ومنها المادة العلمية للنسخة، ومدى تطويعها لما يعرفه المحقق عن المؤلف وحياته العلمية وعن أسلوبه وعصره"¹ وخطّه، خصوصاً في النسخ المكتوبة بخط المؤلف.

وفي حال اعتراء اسم المؤلف تحريف* أو تصحيف فلا بدّ من العودة إلى الكتب للتثبيت من سلامة الاسم.

3 - تثبيت نسبة الكتاب إلى مؤلّفه:

يُراد بهذا مجال تأكيد ووثوق الصلة بين المؤلف ومؤلّفه بأن ينسب الكتاب إلى كاتبه ويرى بشار عوّاد أنّه من أولى القضايا التي ينبغي أن يراعيها المحقّق، إنّ نسبة النصوص إلى مؤلفيها من الامور الخطير التي لا بدّ من الاهتمام بها، و إظهار الكفاية بها، وقد تغيب

¹ عبد السلام هارون "تحقيق النصوص ونشرها" المرجع السابق، ص 94.

* - التحريف: تغيير في دلال الكلمة، بخلاف التصحيف الذي يتصل بتغيير في هيئة الكلمة.

على غير المختصّين.¹ فكثيرا ما تتشابه عناوين المؤلّفات كما تتشابه أسماء المؤلّفين وألقابهم أيضا وما أكثر المؤلّفات التي نسبت لغير كاتبها سهوا أو عمدا، كأن تكون على سبيل الشهرة " ومن ذاك نسبة "كتاب الملوك والمكائد" المنسوب للجاحظ"²، وقد ذكر بين دفتيه "كافور الإخشيدي" وهذا الأخير ولد بعد موت الجاحظ؛ فالجاحظ توفّي سنة 255هـ، وولد كافور الإخشيدي سنة 292هـ، ومن تمّ استحالة نسبة الكتاب للجاحظ.

والسبيل المسعّف في التحقّق هنا هو العودة إلى فهرس الكتب التي وضعها القدماء والمحدّثون كالفهرست لابن النديم، و"كشف الظنون" لحاجي خليفة،* و"الأعلام" للزركلي كما ذكرت سابقا.

4 - كتابة النصّ و مقابلة النسخ:

بعد جمع النسخ يتمّ ترتيبها وفق سلّم الأولويات المذكور سلفا ضمن عنصر مراتب التحقيق، و يقوم المحقّق بكتابة النصّ نقلا عن الأم أو الأصل، وبعد ذلك يتفرغ للمقابلة بينها. أي: المقابلة بين النسخة المنقولة عن نسخة المؤلّف، وبين نسخة المؤلّف، أو مقابلتها على نسخة وُضِعَ المؤلّف خطه (توقيعه) عليها، أو مقابلتها على نسخة قوبلت على نسخة المؤلّف، والغرض من المقابلة على النسخ هو إخراج النص كما أراده مؤلّفه بحسب اجتهاد المحقّق وثقافته وفطنته ومهنيته. ويرى البعض أن العمل الجماعي مطلوب في مجال تحقيق النصّ خصوصا ما تعلق بمقابلة النسخ وتقوم النص سيما إذا كثرت النسخ، كما أنّ لهذه الجهود فوائد جمّة، ثمّ يتمّ الإشارة في الحاشية إلى الاختلاف الذي يقع بين النسخ من تصحيف أو تحريف أو زيادة أو نقصان في اللفظ، كأن تسقط كلمة أو عبارة في النسخة الأصل فنقم

¹ - ينظر بشار عوّاد معروف " أنظار في مناهج تحقيق النصوص " كتاب تحقيق المخطوطات الأدبي واللغوية " مؤسسة

الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات الخطوط الإسلامي، لندن، ط1/ 1437هـ - 2012م، ص 10.

² - عبد السلام هارون تحقيق النصوص ونشرها، ص 43.

* " كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون " مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة.

* " الأعلام كتاب الأعلام تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين " يقع في ثمانية مجلدات.

بتبنيها في المتن بين حاصرتين []، ثم نضع رقم الهامش فوق الحاصرة الثانية، ونشير إلى النسخة التي أخذت منها كذلك في الهامش، والسقط في غير النسخة الأصل نكتفي بوضع الرقم ونشر له في الهامش دون وضع الحاصرتين.¹ ونكتفي بكتابة رموز النسخ المعتمدة في التحقيق فقط.

لقد أثير عن عروة قوله لابنه هشام بعد ما كتب ما سمع في مجلس الحديث: "كتبت؟ قال: نعم، فقال له: عرضت؟ قال: لا، فقال عروة له: ما كتبت. ويقصد ما قابلت.

فالمقابلة عرض للسمع أو الكتابة وهي ضرورة لإدراك النقص وتصويب وتقويم الخطأ الذي قد يعتري الأصول أو مايقوم مقامها، وبالتالي تحقيق أمانة الأداء.

5 - تحقيق متن الكتاب:

الأصل في تحقيق المتن أن يظهره المحقق في الصورة التي أرادها له صاحبه أو مقارنة له قدر المستطاع، باعتبار المؤلف صاحب الحق في التأليف و التصرف، "ومعناه أن يؤدي الكتاب أداء صادقاً كما وضعه مؤلفه كما وكيفاً بقدر الإمكان"² فلا يضيف المحقق له شيئاً على ما هو عليه ولا يتصرف فيه، فيستبدل أسلوباً بأسلوب آخر لضعفه، أو كلمة مكان كلمة أو عبارة مكان أخرى "وليس التحقيق المتن تحسیناً أو تصحيحاً، وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ، فإن متن الكتاب حكم على المؤلف وحكم على عصره وبيئته وهي اعتبارات تاريخية لها حرمتها، كما أن ذلك الضرب من التصرف عدونا على حق المؤلف الذي له وحده حق التبديل والتغيير"³.

ونشير هنا أنه يجب على المحقق أن يلم بجانبين مهمين في تحقيق النص هما جانب الصنعة

وجانب العلم بفن التحقيق:

¹ - ينظر جان عبد الله طوما " تحقيق المخطوطات العربية" المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان ط1/ 2011، ص73.74.

² - عبد السلام هارون "تحقيق النصوص ونشرها" ص 46.

³ - المرجع نفسه، ص 47-48.

أ - جانب الصنعة: يقصد به كل ما يتصل بجمع النسخ المخطوطة للكتاب المراد تحقيقه والموازنة بينها واختيار النسخة الأم، ثم ما يكون بعد ذلك من توثيق بوضع الفهارس اللازمة وعن هذا الجانب يقول محمود محمد الطناحي: "فهذا كله جانب الصنعة الذي يستوي فيه الناس جميعاً، ولا يكاد يفضل أحد أحداً فيه، إلا بما يكون من الوفاء بهذه النقاط أو التقصير فيها"¹.

ب - جانب العلم بفنّ التحقيق: جانب يتطلب معرفة بدقائق فنّ تحقيق النصوص وهو الجانب الأسمى في هذا الفنّ، جانب مهم تُصَرَّف له الحِجَى، وتُشْحَد له الهمم، وبه يميز محقق الجادّ عن غيره، وإثبات ذلك والتدليل عليه لا يكون إلا بالنظر في أعمال المحققين الأثبات وقراءة حواشيه².

و الغاية من تحقيق النصوص في نظر صلاح الدين المنجد - أحد أعمدة التحقيق - " هو تقديم نص صحيح، لذلك يجب أن يعني باختلاف الروايات، وأن يثبت ما صح منها وأن يوجز في التعليق كيلا يثقل النص بتعليقات طوال، وأن تضبط الأعلام وتفسر الألفاظ الغامضة، وبصرف النظر عن تخريج الأحاديث، وأن يسمح بوضع النقطة والنقطتين والفاصلة وإشارات الاستفهام والتعجب لتوشيح النص وأن تثبت الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين، وأن ترقم سطور النص"³. وفي نظرنا أنّ تحقيق الحديث الشريف مقدّم إذا كان المحقّق له ذرية بالحديث، أو استعان بمن هو من أهل الاختصاص، وقد استعان عبد السلام هارون بمحمد شاكر في التحقيق بعض المخطوطات لحصول الفائدة، وكلاهما يمثّل شيوخنا في التحقيق.

ولابدّ أن نشير هنا إلى نقطة مهمّة متعلّقة بالنصّ الأدبي، فلا يختلف منهج تحقيق الشعر عن النثر " إلا من جهة الخصوصية التي تميّز كلّ منهما عن الآخر، فللشعر محور وقواف

¹ - محمود محمد صناحي " في اللغة والأدب - دراسات وبحوث " دار الغرب الإسلامي المجلد الأول، ص 242-243.

² - المرجع نفسه، مج 1، ص 242-243.

³ - صلاح الدين المنجد "قواعد تحقيق المخطوطات" دار الكتاب الجديد بيروت لبنان ط 1987/9م، ص 9. وقد أشار

في الهامش بقوله: " انظر إلى مقدّمة المجلّد الأوّل تاريخ دمشق (تحقيقنا) - دمشق 1951.

وصدور وأعجاز وأبيات وغيرها ممّا ليس للنشر¹ فلا مناصّ من إعطاء كلّ منهما حقّه من العناية والاهتمام في التحقيق.

3. - ضبط النصّ والتعليق عليه:

ضبط النصّ والتعليق عليه من الأهمية بمكان في تحقيق المخطوطات وقد اختلف المحقّقون في مجال التعليق على النصّ فمنهم من رأى أنّه لا حاجة لإثقال كاهل النصّ بالتعليقات ومن رأى بضرورة تصحيح النصّ وترجمة أعلامه، وشرح أبياته، وتوضيح المغلق من ألفاظه، وكلّ ما من شأنه أن يبسّر النصّ ويبسطه ليصبح في متناول الطلبة والباحثين. وهو ما أشار إليه بشار عوّاد بقوله: "ظهر رأيان متضاربان حول الطريقة التي ينبغي اتباعها عند نشر الثرات العربي الأول يرى الاقتصار على إخراج النصّ مصححاً مجرداً من كلّ تعليق، والثاني يرى أن الواجب يقتضي توضيح النصّ بالهوامش والتعليقات وإثبات الاختلاف بين النسخ والتعريف بالأعلام وشرح ما يحتاج إلى شرح وتوضيح."²

أخذ بالرأي الأوّل معظم المستشرقين ومن سار على نهجهم، وغايتهم في ذلك صحة النصّ في ذاته. وبني الفريق الثاني رأيه على المنهج العلمي الذي يتسع كل يوم، ويرى ضرورة كشف وتصويب كل ماله علاقة بالنصّ.

و ذهب الفريق معتدل إلى الاقتصار في التعليق على ما يخدم النصّ ويوضحه للقارئ وهو الراجح في تحقيق المخطوطات. فالتوسّط بين الجهدين أفضل، والجمع بين تحقيق النصّ والتعليق عليه دون مغالاة أو إسراف أفيد. ويرى بشار عواد معروف أنه من الخير إدماج الرأيين أو الجهدين، على أن يتولى محققوا النصوص دون غيرهم عملية الشروح الأولى هذه أو كما

¹ - صالح محمد جرّار "تحقيق مخطوطات الشعر الأندلسي" كتاب تحقيق المخطوطات الأدبي و اللغوية"، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات الخطوط الإسلامي، لندن، ط1/1437هـ - 2012م، ص39.

² - بشار عوّاد معروف "ضبط النصّ والتعليق عليه" مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دط/1402هـ.

1982م، ص5 (من المقدمة).

قال: " لكي تصبح جاهزة للبحث الأدبي الصّرف أو البحث التاريخي الصرف أو لهما معا فتجلى مضيئة من غير عتمة نيرة من غير لبس.¹ " لا ينتاب الباحث شكّ في صحّة شواهداها و وثوق مصادرها و مراجعها.

و يتضمن ضبط النصّ و التعليق عليه ما يلي²:

- بيان فوارق النسخ - تخريج الآيات القرآنية - تخريج الأحاديث النبوية - تخريج الأقوال وتوثيقها. تخريج الأشعار والأمثال والحكم - التعريف بالكلمات الغريبة - التعريف بالأعلام المغمورة - التعريف بالأماكن والأزمنة - مناقشة آراء المؤلف - توثيق المسائل وبيان أدلتها.

واختُلف كذلك في مكان وضع التعليقات فالبعض يجذب تدوينها في نهاية كل صفحة في الإحالة، غير أن هناك من يرجئها مجملة في نهاية البحث "والطريقة الأولى أسهل للباحث لأنه يجد التعليق أمامه دون البحث عنه في مكان آخر³.

نساير نحن بدورنا الطرح الأوّل الذي يقدّم التعليقات في نهاية كلّ صفحة باعتباره يوفّر للباحث الوقت وسهولة الاطلاع، ويكفيه عناء العودة في كل مرة إلى نهاية الكتاب.

4. - الفهرسة والبليوغرافية:

الكتب فنون وموضوعات متعدّدة والسييل إلى إحصائها ومعرفة نسخها ومكان تواجدها هي كتب فهرس المخطوطات وفهارس البليوغرافية.

خطوة هامة في سييل التحقيق وعنها يقول عصام محمد الشنطي: أما الفهرسة فهي إنجاز المادة الأساسية عن المخطوطة، كبيان اسمها (عنوانها)، ومؤلفها، سنة وفاته، وأولها وآخرها وعدد أجزائها وأوراقها وسطور صفحاتها وقياسها، واسم ناسخها، وتاريخ نسخها، ومكانه

¹ - المرجع السابق، من المقدّمة ص5.

² - يوسف المرعشلي، أصول البحث العلمي وتحقيق المخطوطات - دار المعرفة بيروت لبنان، ط1/1424 هـ 2003 م، ص 293.

³ - المرجع نفسه، ص 293.

ونوع الخط، وذكر التملكات والسّماعات والإجازات المثبتة عليها، وبيان موضوعها، وذكر المصادر التي توثق اسم المخطوطة وتنسبها لصاحبها وغير ذلك من المعلومات المقيدة عن المخطوط¹.

يراد بالفهرس أو الفهرست ذي الأصل الفارسي، الكتاب الذي تجمع فيه أسماء الكتب وقديما كان مجال الفهرس محددا بمنطقة عربية أو إسلامية، أو دول بعينها، وقد اتسعت رقعة البلاد الإسلامية، وبلغت المخطوطات الأفاق، وشملت القارات، كان لزاما أن تحصى وتدوّن حسب مكان تواجدها.

فالمخطوطات العربية بعيد المنال فهي موزعة الآن في مختلف مكتبات العالم، والكثير يجهل مواضعها بالتحديد، فلا سبيل للوصول إليها إلا بدليل هو الفهرست، كما أنّ البحث في المكتبة الشاسعة لا يتيسر إلا بمعرفة الببليوغرافية، وهي " وسيلة علمية ضرورية للوقوف والتعرّف والتحكّم نسبيا على الانتاج العلمي. وهي قاسم مشترك في كلّ الدراسات، لا بدّ لأي باحث علمي أو أدبي أو اجتماعي من أن يقف على بعض أساليبها لا كعلم وفنّ له أصوله وقواعده كما يصنع المختصّون في مجال المكتبات والمعلومات، ولكن يلمّ بها كأداة تمكّنه من الوقوف على مصادر بحثه وتيسّر له الوصول إلى الأعمال المتصلة بموضوعه في اللغة العربية"²

ومصطلح الفهرست الذي استعمله القدامى في إحصاء المؤلفات ومؤلفيها لا يتعد عن مصطلح الببليوغرافيا الحالي فإذا كان الفهرست " هو الدليل الذي يحصي الرصيد من مؤلفات مكتبة معينة " مرتبطة بحيز مكاني مخصوص وبثقافة معيّنة، فإنّ " الفهرست بمعنى الببليوغرافيا هو الدليل الذي يرشدنا إلى معظم أو كلّ ما أُلّف في موضوع من الموضوعات

¹ - مناهج فهرسة المخطوط و عناصرها، ص 23

² - أحمد شوقي بنين " دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي " مطبعة النجاح الدار البيضاء المغرب

أو في شخصية من الشخصيات، أو مكان من الأمكنة أو كتب في فترة من فترات التاريخ.¹ إذن فالفهرست البليوغرافي أوسع وأشمل واللجوء إليه في هذه الأحوال أيسر وأسلم. و مع التطور المعلوماتي أصبح بإمكان الباحث تصفّح بليوغرافيا مكتبة معينة عن طريق شبكة الاتصال العالمية، وتعيين الكتب المراد البحث فيها من مكان تواجهه وتحديد أرقامها قبل الحصول عليها ربّما للوقت.

*** من الكتب العربية القديمة والحديثة المشهورة في الفهرسة:**

- فهرست ابن النديم.

- "إرشاد المقاصد إلى أسنى المقاصد" لمحمد إبراهيم الأنصاري ابن الأكفاني.

- "مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم" لطاش كبرى زادة (أحمد بن مصطفى) (جزآن)

- "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" لحاجي لمصطفى بن عبد الله حاجي خليفة.

- "الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين" لخير الدين الزركلي. من أشهر ما ألف في تراجم الأعلام قديما وحديثا. (تماني مجلدات).

*** بعض كتب المستشرقين المشهورة في مجال فهرسة المخطوطات العربية:**

- تاريخ الآداب العربية ليوسف هامر بوجستال (مستشرق نمساوي).

- تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان.

- تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين.

¹ - المرجع السابق، ص 175.

وتعد هذه المؤلفات مصادر هامة لإحصاء المخطوطات ومكان تواجدها.

*وهناك مصادر لمستشرقين وعرب تُعين على معرفة ما طُبِع من المخطوطات

ومالم يُطبع منها:

- "معجم المطبوعات" ليوستف إيلان سركيس توقف عند سنة 1929.

- "معجم المخطوطات المطبوعة" لصلاح الدين المنجد.

- دخائر التراث العربي المطبوعة "لعبد الجبار عبد الرحمان .

- "المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع" محمد عيسى صالحية (أربع أجزاء).

- كتاب "أكفاء القنوع بما هو مطبوع" للمستشرق الأمريكي فاندي (e. vandeijk)

الذي وضعه بالعربية وجمع فيه أسماء الكتب العربية المطبوعة من أقدم عهدا إلى نهاية القرن التاسع عشر، وقد رتبت فيه المواد حسب المواضيع¹

إنّ الاهتمام بفهرسة المؤلفات العربية لا يزال مستمرا سواء من جهة العرب أو المستشرقين ويضرب لنا أحمد شوقي بنين مثلا لنموذجين حديثي العهد أحدهما غربي وآخر شرقي: فالأول تمثّل في الكشاف الإسلامي Index Islamicus الذي أسّسه المستشرق الانجليزي برسون J.D. Pearson وهو جرد للدوريات الأروبية للأبحاث المتعلقة بالدراسات العربية الإسلامية في مختلف اللغات. و الآخر العربي أو الشرقي هو مجلة الفهرست الصادرة في لبنان التي ظهرت مند الثمانينيات والمهتمة بالضبط الببليوغرافي لمحتويات الدوريات الصادرة باللغة العربية²

و يلاحظ أنّ معظم الباحثين المحدثين في مجاليّ الفهرسة والببليوغرافية، وواضعي مناهجها هم من المستشرقين، وقد دأبوا على هذا العمل المضني الشاقّ، ولا شك أنّ الذي أعانهم

¹ - المرجع السابق، ص 188.

² - ينظر المرجع نفسه، ص 190.

على ذلك هو إرادة التحقيق، والمحفّزات المادية والمعنوية، والوسائل المتاحة لديهم، بالمقابل هذه جهود مفتقدة في أمتنا العربية حالياً إلا عند القلّة ممّن يوصفون بالمحقّقين حقّاً.

المبحث الثاني: تحقيق النسبة الفردية

- 1- الجهود الفردية في تحقيق التراث.
- 2 - نماذج من التحقيق الفردي للنصوص.
- 3 - اهتمام المستشرقين بالتحقيق ونسبة تفاوتهم:
- 4 - منهج التحقيق عند المستشرقين في العصر الحديث.

المبحث الثاني: تحقيق النسبة الفردية

1. الجهود الفردية في تحقيق النصوص:

الجهود الفردية في مجال تحقيق النصوص العربية نشطت في العصر الحديث، سيما وأنّ كثيرا من الجامعات العربية حاليا تشجّع على منح الشهادات العليا مقابل تحقيق مؤلّف من المؤلفات. والحقيقة أنّ الجهود الفردية لم تنقطع، فقد شهد العصر الحديث ثلة من المحقّقين بعضهم نال الشهادات العلمية وبعضهم زهد فيها*، يحدوهم فقط ولائهم للتراث وحبهم اللامتناهي لإحيائه، و مبتغاهم في ذلك طبعه في حُللِ تروق الباحث أو القارئ، ولا يجد عناء في وفهماها، رغم وُغورة المسلك ومشاقّ الطريق.

والمنتبّع للكتب المحقّقة يجد أنّ هناك طبعات بعينها وضع فيها الجهد الأصيل وحسن الضبط، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: تحقيق عائشة عبد الرحمن لـ"رسالة الغفران"، وتحقيق طه الحجازي لـ"البخلاء"، وتحقيق محمود محمد شاكر لـ"طبقات فحول الشعراء"، والأستاذ أحمد صقر لـ"الصاحبي"، وتحقيق عبد السلام هارون لأعمال الجاحظ... إلخ¹، وغيرها وهذه المؤلفات عُرفت بالدقّة وبدل الجهد، والإحاطة في استقصاء المادة، لشدّة ملازمة محقّقها لها وطول مكثهم معها، وإعادة طبعها كلّما وجدوا جديد المخطوط منها، فمَنحوها وأكسبوها بذلك قيمة علمية.

وبعض هذه التحقيقات شملت كتابا ظهوروا في العصر الحديث كنشرة ديوان شعر "مصطفى صادق الرافعي" التي أخرجها لأول مرة محمد كامل الرافعي وقد طبع الديوان سنة

* عبد السلام هارون شيخ المحقّقين وابن أخته محمد محمد شاكر المحدث المحقق، وأخوه أبو الفهر محمود محمد شاكر حامل لواء العربية المحقّق المدقّق.

¹ . محمد زكريا عناني وسعيدة محمد رمضان " في مناهج البحث وتحقيق النصوص"، ص179، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ط1/1999، ص179.

1922م ونشرة " مبادئ الأصول " للشيخ ابن باديس تحقيق عمار الطالي 1984م، ونشرة ديوان الأمير عبد القادر تحقيق العربي دحو الطبعة الثالثة سنة 2007م.

2. نماذج من التحقيق الفردي للنصوص:

شمل التحقيق المؤلفات القديمة والحديثة، و النماذج عديدة ومتنوعة، نذكر منها:

من القديم: كتاب "الحيوان" للجاحظ حقه عبد السلام هارون، استهله المحقق بترجمة للجاحظ وعصره والتأليف في عصره، ومؤلفاته، وعلاقته بابن النديم، وقيمة كتب الجاحظ وذبيوعها، و وراقي الجاحظ، ثم تقديم كتاب الحيوان، ومراجع الجاحظ في تأليف الحيوان، و زمن تأليفه، وجهده فيه وعدد أجزائه وقيمته، وقبل تحقيق الكتاب ذكر المحقق أهمّ المحطات التي عرج عليها والمتمثلة في:

قراءة الكتاب - مراجع التحقيق - تنظيم الكتاب - أسقاط الكتاب - النسخ المعتمدة - تيسير الانتفاع بالكتاب، وأمور أخرى من صميم الفائدة قبل الشروع في تحقيق متن النص (الجزء الأول الحيوان).

ويقول المحقق في هذا المجال: " لقد عنيت جهرة من المستشرقين عناية خاصة بوضوح الفهارس لما ينشرون من كتب العرب، وابتدعوا ذلك ابتداء فلهم فضل سبق، ولا ريب أنّ الفهارس للكتب العربية ولاسيما القديمة منها، هي بمكان الحب للأرض الطيبة به توتي نفعها وثمرتها، وبخاصة في هذا العصر الذي أصبح الوقت فيه نهبا مقسما بين مطالب المدينة وتعقيدات الحضارة..."¹

ومن الحديث: ديوان مصطفى صادق الرافعي الذي أشرنا له من قبل حيث نشره شقيقه محمد كمال الرافعي لأول بإذن من الناظم، فقدّم له، وقام بشرح مناسبات بعض

¹ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون الجزء الأول - دار الكتاب العربي - بيروت لبنان 1388/3 هـ - 1969م، ص36.

القصائد، مع التعليق على بعضها وشرح البعض الآخر، في إسهاب وإيجاز¹ ويرى حلمي محمد القاعود أنّها جاءت وفقا لرؤية ذاتية قامت أساسا على الاحتفاء بالشاعر وشعره، وأنّه افتقر إلى الفهرسة.

ويبدو أنّ الناقد محمد حلمي القاعود وإن أبدى إرتياحا واستحسانا على صدور الديوان لأول مرة احتفاء بالرافعي الأملعي، فقد أبدى كذلك امتعاضا من مساوئ تجلت فيه كافتقاره إلى الفهرسة، وعدم استدراك بعض أشعار الرافعي التي ظلّت خارج الديوان. ونحن بالمناسبة كنّا نعرف - في الغالب - مصطفى صادق الرافعي ناثرا لا شاعرا.

في مجال تحقيق الشعر الحديث دائما قام العربي دحو بجمع وتحقيق و شرح وتقديم ديوان الأمير عبد القادر الجزائري ، طُبع للمرة الثالثة، تصدّره قلم الأستاذ الشاعر عبد العزيز سعود البابطين حول شخصية الأمير المتعدّدة الجوانب، " و كيف نظّم في سلك واحد بين الإمارة والفقّه والجهاد والشعر و السيف والصوفية؟"² وقد جمع المحقّق كل أشعار الأمير وما كان متناثرا في بطون مؤلفاته بكلّ أمانة وصدق " رغم ما بدا فيها من ملامح الضعف الفئّي، فلم يسقط المحقّق منه شيئا، التماسا للموضوعية، وتصديقا للهدف الأساسي من إعادة طبعه وهو "الجمع و التحقيق"³. وبعد أن قدّم ترجمة للناظم بقلم ولده الأمير محمد، أشار إلى النسخ المعتمد في هذه الطبعة، وهي:

أ - نسخة محمد بن الأمير " نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر " رمز لها بحرف الألف (أ)

¹ - ينظر حلمي محمد القاعود " شعراء وقضايا، قراء في الشعر العربي الحديث" دارالعلم والإيمان للنشر والتوزيع ط/ 2009. ص173.

² - الأمير عبد القادر الجزائري " ديوان شعر الأمير عبد القادر"(1807م - 1883م) جمع تحقيق - شرح و تقديم العربي دحو، منشورات تالة، ط3/2007ص5.

³ - المصدر نفسه، ص 6.

ب - نسخة ممدوح حقي تحت عنوان "ديوان الأمير عبد القادر" ورمز لها بالحرف حاء (ح)، وقد جعلها المحقق أصلاً في التحقيق.

ج - نسخة زكريا صيام الإصدار الثالث لديوان الأمير بعنوان ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، "ورمز لها بالحرف (ص).

د - منتخبات محمد ناصر منتخبات من ديوان الأمير المطبوع سنة 1984، و رمزها بالحرف "ن".

ج - نسخة تحفة الزائر في تاريخ الجزائر الأمير عبد القادر ورمز لها بالحرف (ت).

ح - كتاب المواقف الأمير عبد القادر الجزائري، رمز له بالحرف (م).

هذه النسخ اعتمدت في الجمع والتحقيق، وقد أبدى المحقق في نهاية كلمته ما قد يقع فيه من خطأ يستدرك لأنّ الكمال لله وحده، ويبقى الجهد البشري معرضاً لذلك.

3. اهتمام المستشرقين بالتحقيق ونسبة التفاوت بينهم:

أ - اهتمام المستشرقين بتحقيق النصوص:

الظروف السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي أحاطت بالمجتمع العربي من محيطه إلى خليجه بسبب التسلط العثماني في أواخر عهده، و الهيمنة الغربية لمعظم البلاد العربية بعده كلّ ذلك وضع الأمة في ظروف صعبة للغاية؛ تأخر في جانب الثقافي، تناقل في جانب الإبداع والتأليف، في حين كان الغرب ينعم في مختلف المجالات، وقد ساهمت وسائل الطباعة والنشر المتاحة في انتشار الكتب و الصحف والمجالات، وشجعت على الترجمة والتأليف، كما لفتت المستشرقين إلى الآثار العربية حيث قاموا بتحقيقها وترجمتها، و الاستفادة منها في تطوّر مجتمعاتهم ومعرفة العقلية العربية، هذا كلّه بالإضافة إلى دوافع مقصودة جعلت الغرب يولون وجهتهم نحو الآثار والمؤلفات العربية، وأحياناً كان بإيعاز من الدّول العربيّة حين فتحت لهم مجال التواجد في مدارسها ومعاهدها، وانتدبتهم في جامعاتها ومجامعها العلميّة واللّغوية، كان ذلك بسبب نقص التأطير في مختلف الأسلاك، ولكونهم ألموا بمختلف المناهج الحديثة التي ركب

الغرب موجتها قبلنا وقام بتطبيقها على تراثنا، لكن هذا لا ينفي جانباً علمياً متمثلاً في اهتمامهم الشديد بالمخطوطات العربية، وحبهم لاكتشاف مكنوناتها.

أسرّ أحد المستشرقين للدكتور إحسان عبّاس وقد طلب منه مساعدته في قراءة نص أدبي استغلق عليه وصعب، وبعد أن نظر إحسان عبّاس في الأفق، قال: "لو كان الأمر إليّ لنصحت المستشرقين في كل مكان أن يكفّوا عن مزاوله التحقيق للنصوص والكتب العربيّة لأنّ ذلك مهمّة لن يستطيعوا الاضطلاع بها أو الوفاء بمطلباتها"¹

لقد شقّ علي هذا المستشرق تحقيق الكتاب وصعب عليه سلوك هذا الدرب، كيف لا وقد صعب على أهله وهم الذين وُلدوا في رحم الضاد.

ثمّ قال إحسان عبّاس : وسكت صاحبي وهو يدرك أنّه وضعني في موقف حرج، نعم كنت أعرف بعض الحواجز التي أملت عليه الجهر بذلك الرأي.

ولكنّه تساءل فيما بينه وبين نفسه أترأه يحاول أن يستخلص منه اعترافاً مطمئناً - كما أشار- فما المسألة إذن ؟

المسألة في نظر إحسان عباس ليست مفاضلة بين عربي ومستعرب، فالثاني إذا توفّر له الاطلاع الضروري، وأضاف ذلك إلى ما يميّز به من صبر وأناة ودربة فإنّه جدير بتحقيق التفوّق، لأنّ محض الانتساب إلى اللّغة و إتقان القواعد النظرية في التحقيق لا يصنعان محقّقاً² فلا بدّ من الموهبة و الرغبة، والصبر والأناة والدّربة، كما تتحقّق مع العربي قد يكون للمستشرق الحظ الأوفر منها، هذا من جهة.

¹ - إحسان عبّاس: "أوراق مبعثرة - بحوث ودراسات في الثقافة و التاريخ و الأدب و النقد" جمعها و علّق عليها الدكتور عبّاس عبد الحليم عبّاس عالم الكتاب الحديث للنشر و التوزيع الطبعة 1- 2006، ص 235.

² . المرجع نفسه، ص 236 .

من جهة ثانية " لعلّ الفرق الكبير بين المستشرقين والعرب في هذا المجال هو أنّ الذين يزاولون هذا النشاط من المستشرقين مهيوون له فنسبة العجز بينهم فيه معدومة أو ناذرة جدا، أمّا العرب فإنّ قلة منهم هي التي تستحقّ أن توصف بالقدرة أو بحسن الاستعداد له أو بلزوم المثابرة عليه"¹

وهذه الحقيقة التي أشار لها إحسان عباس نلمسها واقعا عندما نحصي نسبة المخطوطات المحقّقة من طرف المستشرقين بتلك التي حقّقا غيرهم من العرب، سيما في زمن انتشار هذا الفنّ في العصر الحديث، " وإنّ المرء ليعجب من غزارة ما طبعوه من تراثنا، وكأنّ هذا الاختراع العظيم إنّما جاء لخدمة التراث وحده، وإذاعته ونشره، وكأنّه لم يكن بين أيدي النّاس في تلك الأيام من تراث الإنسانية، إلّا تراثُ العرب."²

وربّما يرجع ذلك إلى كون المستشرقين سبقونا في التحقيق والأخذ بالمناهج الحديثة التي طبّقوها آنفا على مخطوطاتهم، ورأوا بأنّ من السهولة بمكان أن يطبّقوها على النصوص العربيّة، لكن على الرغم ممّا يوجد من اختلاف بين النصوص العربيّة والنصوص الأجنبيّة وآليات التعامل مع كل واحد منهما، فلا يمكن تغييب - بكل حال من الأحوال - تلك الجهود المضنيّة التي قام بها المستشرقون في تحقيق الكتب العربيّة، ولو لم يكن لهم إلّا فضل التنبيه للتراث أو كما قال عبد السلام هارون: " كنت لا أزال أتحدّث بجهد إخواننا في العلم المستشرقين الذين بادروا إلى انقاد الكنز فكان لهم بذلك فضل التنبيه."³ لكن مع ذلك لا نخفي دوافع كانت وراء هذا الكمّ الهائل من التحقيق، و المسؤولية التي كانت ملقاة على عاتقهم.

¹ - المرجع السابق، ص 236

² - عبد الكريم غلاب عبد الكريم غلاب " العرض التمهيدي " مجلّة المغرب في الدراسات الاستشراقية - سلسلة " الندوات " مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية مراكش شوال 1413هـ/أبريل 1993م ، شارع الإمام مالك - الرباط المملكة المغربية.ص213.

³ - عبد السلام هارون " نوادر المخطوطات " (مجموعة من المخطوطات النادرة قام بتحقيقها عبد السلام هارون) ج1 دار الجليل بيروت ط1411/1هـ - 1991م، ص7.

ب - نسبة تحقيق المخطوطات عند المستشرقين:

التحقيق عند المستشرقين تفاوتت نسبته لتفاوت ثقافتهم واستيعابهم وتمكنهم من التراث بل لنسبة تحطّيتهم الحواجز اللغوية* وفهم النصوص، وقد لاحظ هذا التباين محمّد شاعر كما في صدر الطبعة الأولى لكتاب " الشعر والشعراء لابن قتيبة" والذي نشره قبله المستشرق "ذي غويه"¹ إذ يقول: "و المستشرق ذي غويه - كما يبدو لي من عمله في الكتاب - من أوسط المستشرقين ليس من أعلينهم أمثال ريبط الذي حقق كتاب الكامل للمبرّد وبيغان الذي حقّق نقائض جرير وفرزدق، وليال الذي حقّق شرح المفصّليات لابن الأنبري، ولا من ضعافهم أمثال اللورد مرجليوت ولكنّه بيّن بيّن فإنّه حقّق الكتاب تحقيقاً لا بأس به، ولكنّه أخطأ في مواضع ليست بالقليلة."¹

أنطوان بيغان هذا الذي يقال عنه أنّه حين عثر على خلل في وزن أحد الأبيات في الكتاب السالف الذكر بعد نشره اغتمّ له واعتاز له اغتياظاً شديداً.

لقد أولى المستشرقون أهميّة في تحقيق كتب الأدب ودواوين الشعر، وإن كان انشغالهم منصباً من قبل على التاريخ والجغرافيا " على أن القول بأنّ المستشرقين اهتموا بالتاريخ والجغرافيا أكثر من العلوم الأخرى، قد يكون مقصوراً على مرحلة معيّنة في تاريخ اهتمامهم بالتحقيق."² و لعلّ هذا الاهتمام ساير كذلك توجهاتهم وغاياتهم وأهدافهم ومخطّطاتهم التي لم تكن منفصلة عن النزعة السياسيّة، وليس الأمر متعلّق بالنكهة، أو المتعة أو السهولة، وإن كان هذا

* أقصد بالحواجز اللغوية: علوم اللغة من نحو وصرف وإملاء، وبلاغة وعروض، وغيرها ممّا يُشَقّ على العربي تجتوزها فكيف بالمستشرق؟

* . ميخيل يوهنا دي خويه (1327 - 1252) هـ / 1836 - 1909 م) مستشرق هولندي.

¹ - زكرياء عنّابي وسعيد محمّد رمضان " في مناهج تحقيق النصوص " ص 172 نقلاً عن كتاب الشعر والشعراء ص 44.

2 - إحسان عبّاس: " أوراق مبعثرة - بحوث ودراسات في الثقافة والتاريخ والأدب والنقد" جمعها وعلّق عليها الدكتور عبّاس عبد الحليم عبّاس عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع الطبعة 1 - 2006 ص 240 .

شيئا طبيعياً كما صرّح به إحسان عبّاس بقوله: "و من الطبيعي أن نجد - لدى عرض ذلك الشريط الطويل من المنشورات التي قام بها المستشرقون - أكثر الاهتمام متجها منذ البداية نحو التاريخ والجغرافيا ممّا كان يسمّى علوم الأوائل، فالمستشرق يجد راحته في هذا الاتجاه لأنّ التوجه نحو المصادر الفقهية والحديثية و ما أشبهها يتطلّب منه ثقافة خاصّة، وسلسلة مترابطة متداخلة من الثقافات."¹

الحديث عن تفاوت المستشرقين في ثقافتهم ناجم كذلك عن قدرة بعضهم على التحمّل والأثأة والضبط والاتقان، وما إلى ذلك من الخلال التي لا يوجدها الأدب وحده أو غيره من العلوم من الوهلة الأولى بقدر ما توجدها الموهبة الفطرية والمران والدربة، وقد لا يجيدها بعض المستشرقين وحتىّ العرب فينصرفون عن البحث منذ بدايته أو في أثناءه. وقد ألفينا بعضهم لشدة إتقانه يجمع بين العلم و الممارسة أو بين التنظير و التطبيق، كما فعل المستشرق برجستراسر الألماني في محاضراته "أصول نقد النصوص ونشر الكتب" التي جمعها في مؤلّف محمد حمدي البكري.

والفرنسيان بلاشير وسوفاجيه في مؤلفهما: "قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها" وسأطرق للأوّل لاحقاً.

4. منهج التحقيق عند المستشرقين في العصر الحديث:

لا تُذكر مناهج تحقيق النصوص عند المستشرقين إلّا ويُذكر معها مؤلفان كان لهما فضل السبق في تحقيق المخطوطات العربية؛ فالأول هو محاضرات المستشرق برجستراسر التي ألقاها بجامعة الملك فؤاد الأولى لجامعة القاهرة بين سنتي 1931 و 1932م في أصول نقد النصوص ونشر الكتب"، وعُرض للتداول في سنة 1969م، و قدمه له الدكتور محمد حمدي البكري والثاني "نحو قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها" ألفه بباريس كلّ من رچيس بلا شير وجان سوفاجيه سنة 1953م.

¹ - المرجع السابق، ص 238-239.

لا يمكن لدارس مناهج المستشرقين في تحقيقهم للنصوص العربية عموماً والحديث خصوصاً أن يغفل تلك جهود التي شملت مجالات عدة منها: تحقيق المخطوطات وفهرستها "الفهارس هي التي تفتح السبيل إلى محتويات الكتاب"،¹ ونشر المخطوطات في مختلف العلوم بل تعدت ذلك إلى التأليف المعجمي والموسوعي، ولم تقف عند حدود الذخيرة العربية القديمة بل اجتازتها إلى دراسة مؤلفات المحدثين الأدبية واللغوية.

غير أن هذه الجهود من المؤكد أنها لم يكن لأصحابها نفس الأهداف والغايات لاختلاف التوجّهات والنوايا والخلفيات، وبالتالي الاختلاف أمر حتمي، "لأن الاستشراق كظاهرة ثقافية نمت في ظروف تاريخية كان الصدام قويا وعنيفا بين ثقافتين يشكّل كل منها كيانا متميّزا، وكان الاستشراق وليد ذلك الصدام لمعرفة الغرب بحقائق الإسلام ومكوناته لارغبة في المعرفة العلمية المجردة، وإنما للتعامل معه بطريقة ميسرة هادئة".²

انطلق الاستشراق - كما لا يخفي - من الكنيسة، والدليل على ذلك نجد أن معظم طلائع الاستشراق الأولى كانوا قسيسين وراهبانا، فقد تربوا في أحضان الكنيسة تعدّتهم بالرعاية والحماية، وبعضهم عمل تحت مسؤولية وزارة خارجية بدانهم، وبعضهم تقلّد مناصب عليا حكومية، ودرّس في معاهد وجامعات عربية وأجنبية.

أ - برجستراسر وتحقيق المخطوطات:

الكتاب عبارة عن محاضرات ألقاها برجستراسر على طلاب كلية الأدب بجامعة القاهرة عام 1932م ولم يتح لها النشر إلا بعد ثلاثين عاما، و يرجع معظم رواد تحقيق النصوص

¹ - محمد بن معمر " منهج ليفي برونفسال في تحقيق تراث العربي الإسلامي " مجلة الحضارة الإسلامية . دار الغرب الإسلامي ال عدد7 ط1422هـ . 2001م، ص 318.

² - محمد فاروق النبهان- مجلة شهرية تعني بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر العدد 329 ربيع 1 1418/ يوليو 1997 - الرباط وزارة الأديان والشؤون الإسلامية.

الفضل لهذه الدراسات في إبراز هذا الفنّ في العصر الحديث، بعد أن كان مغموراً، وإن كانت معالمه راسية في التراث العربي مند القدم.

وعن المؤلّف يقول الحلوجي: "ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن هذه الدراسة مادة عزيزة يعرضها المؤلّف في تواضع ويدعمها بأمثلة ونماذج واقعية من المخطوطات العربية المنشورة"¹، والكتاب الوحيد الذي يرى الحلوجي أنه يمكنه مقارنته به هو "تحقيق النصوص ونشرها" لعبد السلام هارون فهو يتفق مع ما يعرضه برجستراس من أفكار كمعايير تفضيل النسخ، وتقسيم النسخ في حال الكثرة إلى عشائر، وعدم جواز التلفيق بين النسخ، ولكن يختلف عنه في النماذج الرائعة التي انتقاها من بين المخطوطات العربية لتذليل كل فكرة يقوم بتوضيحها، كما أنه يناقش كل نموذج يقدمه، فلا يكتفي بعرضه.

بالإضافة إلى فكرة نشر الكتب عن طريق الطبع المخطوطات بالصور الشمسية والتي يعود له فضل السبق في ذكرها، وغيرها من المحامد التي جعلته يكتسي مكانة سامية. والحقيقة أن اعتبار هذه الدراسة أدقّ وأوفى فيما كُتب في مجالها فلنا فيه نظر؛ فأما أوافاها فهذا صحيح إذا ما بحثنا عن هذا الفن في زمانه.

وأما أدقها: فقد نختلف معه لأن برجستراس يساوي بين القرآن الكريم وأي نص بشري آخر في تطبيقه للمنهج، وقد نبه على ذلك الحلوجي نفسه عندما ذكر ملاحظاته على الكتاب بقوله: "النص القرآني ليس ملكاً لمؤلف من المؤلفين ولأننا نخشى على القارئ الآية محرفة في المتن ولا يقرأ الصواب في الحاشية."² ووجه الصواب أن تُضبط الآيات القرآنية ضبطاً تاماً و يُشار في الهامش إلى ما وجد فيها من تحريف.

¹ - برجستراس "أصول نقد النصوص ونشر الكتب" إعداد وتقديم محمد حمدي البكري (التوطئة) دار المريخ للنشر الرياض، ط 1402 هـ. 1982م، ص: ح. (محاضرات برجستراس ألقاها بكلية الآداب بين سنتي 1932/31 م)

² - المرجع نفسه، ص: ح.

ب - منهج المستشرقين في تحقيق المخطوطات ونشرها :

بدل المستشرقون جهودا في تحقيق المخطوطات ونشرها، وتنظيمها ووضع فهرسها والتعريف بها، ويتّضح دور المستشرقين في مجال تحقيق النصوص العربيّة في نظر أحمد سمايلوفيتش فيما يلي :

- نشر المخطوطات العربيّة وإجادة طبعها.

- بذل العناية في تصحيحها ومقابلتها بالنسخ الأخرى رغبة في إحياء أصحّها.

- بيان الاختلاف بين النسخ.

- ضبط الأعلام والأماكن.

- التعليق على عباراتها الغامضة.

- تدليلها بوضع فهرس المواضيع والأعلام و الأماكن والمدن.

يشكّك بعض العلماء منهم الدكتور شوقي ضيف في ريادة المستشرقين للطرق العلميّة في البحث عن المخطوطات ونشرها على أسس علميّة توثيقية، ولكنه لا يستطيع أن ينكر الجهد الذي بذلوه في اكتشاف كثير من المخطوطات النادرة التي لم يهتم بها كثير من العلماء العرب، ولا بمفرداتها وقيمتها العلميّة،¹ أو أنّ اكتشاف بعضهم لها كان متأخرا.

يضرب لنا عبد الكريم غلاب نماذجين حيّين؛ ما قام به المسنشقان "روني باس" الذي وضع فهرس مخطوطات مكتبة فاس، وفهرس مكّتبات الزوايا، و"مرسيي" الذي له بحث عن مخطوطات عربيّة في "الرباط وسلا"، وغيرهما ممّن بحثوا في تراث المغرب الأقصى الشقيق.

1- ينظر عبد الكريم غلاب "العرض التمهيدي" مجلّة المغرب في الدراسات الاستشراقية "المرجع السابق، ص 213.

ج - التحقيق الاستشراقي من المنظور العربي :

يقول علي جواد الطاهر: أجل لقد صار التحقيق علما، وصار مع التحقيق "نقد التحقيق" ومن ذلك في العصر الحديث على مراحل من التاريخ، منها مرحلة اختراع الطباعة في الغرب وطبعهم عددا من مخطوطاتهم طبعا فقط على النسخة الميسرة، ثم طبعا طبعا محققا ثم استقر للتحقيق عندهم قواعد"¹، وعن دور المستشرقين في التحقيق يقول:

" وتلقّف المستشرقون (والمستعربون) الطباعة والنشر والتحقيق وقواعد التحقيق عن أبناء قومهم فأفادوا منها في نشر مخطوطات شرقية (عربية). والذي فعله المستشرقون لتحقيق الكتاب العربي كثير، فهياًوا للدارسين - والقارئين - من أمهات المصادر ما كان يستحيل عليهم الوصول إليه وعلى هذه الدرجة من الاتقان."² وعن فضل المستشرقين والمستعربين يقول:

"والأمر معروف، ويجب أن يذكر بالخير حتى مع الاعتراف بأخطاء معينة تلازم المستعرب ترجع إلى طبيعة كونه غير عربي أو ومع الاعتراف بوجود المستشرق الذي قدم غير المهم على الأهم أو حذف ما كان يجب أن يبقى... وما عدا ذلك مما يخرج صاحبه عن العلم وعن الأمانة"³.

ولكلّ من عبد السلام هارون* ومحمود محمد شاکر* وجهة نظر تكاد تكون مختلفة حول منهج المستشرقين في تحقيق النصوص، حيث يذهب محمود محمد شاکر إلى تبيان ما قد يقع

¹ - علي جواد الطاهر. "فوات المحققين - نقد الكتب محققة"، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ط1/ 1990، ص6.

² - المرجع نفسه، ص 6.

³ - المرجع نفسه ص 6.

عبد السلام هارون توفي سنة 1988م، لقب الأول بشيخ المحققين.*

* محمود محمد شاکر توفي سنة 1997 م، ابن عمّة عبد السلام هارون أطلق عليه العقاد المحقق الفنّان، ولقب الثاني بفارس العربية. " وهما قرينان عجيبان ولدا في نفس السنة 1909م وفي نفس البلد، ونشأ نشأة أزهريّة وزهدا كلاهما في الشهادات الجامعية، وأصبحا علميين في التراث ". (ينظر د/ محمد الطناحي " أسرار العربية في الكتاب والسنة" محمود الطناحي في سطور. (من الإحالة)، بقلم إياد أحمد العوج. دارالفتح للدراسات والنشر ط1/ 1482هـ 2008م ص23).

فيه هؤلاء من مزلق، مع ما لهم من حقّ في بعض الجونب، بقوله: "ومع ذلك فهم على حقّ في بعض ما يقولون، ولكنّه ليس كلّ الحقّ، فإنّ المستشرقين لم يذهبوا هذا المذهب، و لم يقفوا هذا الموقف من اختلاف النسخ، إلّا لعجزهم عن ترجيح بعض الكلام العربيّ على بعض، وذلك لعلل بيّنة"¹ في إشارة إلى الذين بالغوا وأسرفوا في تعظيم المستشرقين في هذا مجال.

ويرجع القصور الذي وقع فيه هؤلاء المستشرقون إلى مايلي²:

أولاً: جهلهم بالعربية على التمام، فإنّ تمام العربية هو السليقة التي لا تكتسب، كما أنّ تمام الإنجليزية والفرنسية هو السليقة والنشأة والاندماج في الوسط الإنجليزي أو الفرنسي من بدء المولد والحضانة.

ثانياً: أنّه قلّما يوجد فيهم المتخصص في فقه علم بعينه حتّى يكون حجّة فيه اللّهمّ إلّا أن تكون عندهم جمع نصوص كثيرة في موضوع واحد من كتب شتى، ولكنّهم لا يدعون أبداً أنّهم أصحاب رأي في البيان والتأويل والترجيح

بينما يتثنى عبد السلام هارون على المستشرقين، ويشيد بصنيعهم في مجال البحث وإثبات الأصول في التحقيق إذ يقول: "وأمامنا جهود المستشرقين ناطقة بمدى تقديرهم لهذه الناحية التاريخية الفنية، فلا تكاد تجد كتابا نشره إلّا وقد أثبتوا أصله أو أصوله إن كان ذا نسخ مختلفة"³. واختلاف وجهات النظر بين العلماء العرب في هذا الفنّ مردّه - في اعتقادي - إلى قناعات شخصيّة، وطبيعة نفسه بغض النظر عن الحلفية الثقافية المتشعبة بالتراث - على تفاوتهم - فلا يستثنى منها أحد.

1 - محمود محمد شاكر "جمهرة مقالات محمود محمد شاكر"، جمعها وقرأها وقدم لها، د/ عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1/2003، ص124.

² - المرجع نفسه، ص124.

³ - عبد السلام هارون "قطوف أدبية حول تحقيق التراث . دراسة نقدية في التراث العربي". مكتبة السّنة الدار السلفية لنشر العلم "ط1/1409هـ. 1988م، ص 217.

المبحث الثالث: تحقيق النسبة الجماعية.

1. الجهود الجماعية في تحقيق التراث.
2. المجامع اللغوية العربية وتحقيق التراث.
3. المستشرقون والمجامع العربية.
4. بين الجهود الجماعية والفردية.

المبحث الثالث: تحقيق النسبة الجماعية.

1. الجهود الجماعية في تحقيق التراث:

برزت الجهود الجماعية في التحقيق عندما تطور منهج التحقيق وظهرت معالمه عربيا عندما عهد الجمع العلمي العربي بدمشق للجنة من العلماء وضع قواعد عامّة تتّبع في تحقيق مجلدات التاريخ ، وأعظم عمل كان نشر " تاريخ مدينة دمشق " * الموسوعة التي تضمّ ثمانين مجلدا وكان من بين أعضائها المحقّق صلاح الدين المنجد ¹ وقد أخرج الجمع جزءا إلى النور.

و قامت كذلك وزارة المعارف المصرية بتكليف لجنة سنة 1949م بتحقيق كتاب "الشفاء" لابن سينا، حيث أسندت العمل إلى عدد من العلماء منهم إبراهيم مذكور والأب قنواقي وأحمد فؤاد الأهواني، وعبد الرحمان بدوي وغيرهم وقامت هذه اللجنة بجمع ما يمكن جمعه من أصول والارتكاز على النص "النص المنتقى"، لقد آثرت طريقة النصّ المختار لما تقوم عليه من تصرف وحرية، وتسمح به من تفضيل وموازنة وهي لهذا - لا شك - أدق وأعقد ولكنها أصح وأنفع ².

"المفضليات" * للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي.

حققه وشرحه كلّ من أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ويقول شيخ المحقّقين عن الطبعة الثانية بعد أن لقيت الأولى رواجاً واهتماماً من الأدباء: " ولقد لقيت الطبعة الأولى

* تاريخ مدينة دمشق للإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى سنة 571هـ).

¹ - ينظر صلاح الدين المنجد "قواعد تحقيق المخطوطات" دار الكتاب الجديد بيروت لبنان، ط 7 / 1987، ص 9.

² - ينظر ابن سينا "الشفاء"، تصدير طه حسين، تحقيق الاب قنواقي ، محمد الحضيرى، فؤاد الأهواني، مطبعة الأميرية القاهرة ج1، 1371هـ - 1952م ، ص 38-42.

المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو 168هـ) *

من إقبال الأدباء وتقديرهم ما أوجب علينا أن نقابل إقبالهم وتقديرهم بمضاعفة الجهد في هذه الطبعة الممتازة¹

أما الطبعة الثالثة والتي قبض الله لها عبد السلام هارون وتعمّد شريكه أحمد شاکر برحمته الواسعة، فيقول عبد السلام هارون: هذه الطبعة الثالثة، ولست أملك وقد اختار الله لجواره شريكه وأستاذي المعفور له أحمد شاکر الذي قاسمني بذل الجهد والعناية بهذا الكتاب، فكان نعم المرشد لست أملك إلا أن أستمطر رحمة الله عليه ومغفرته ورضوانه".

والجميل في الأمر أنّ عبد السلام هارون حفظ الأمانة العلمية بعد أن خلا المجال للجهد الفردي، أمانة العمل الجماعي فكفل جهد رفيقه حق كفالة بقوله: "وقد حفظت له أمانة المشاركة، فلم أزد في صلب هذا العمل شيئاً وما عنّ لي من تعليق إضافي أو استدراك أفردته في نهاية النسخة منسوباً إلي، وقد امتازت هذه الطبعة بزيادة في الفهارس التي صنعتها وهي فهرس الألفاظ اللغوية الواردة في الشعر."²

وإن ذلك على شيء فإنما يدل إضافة إلى أمانة التحقيق، أمانة الجهد الجماعي، وإعطاء لكلّ ذي حقّ حقّه، بما يحقّق للأجيال اللاحقة حفظ الأمانة العلمية، وبها يقتدي الخلف وقد نوّه بما قدمه في تحقيق الحيوان بقوله: "وإني لأسجل له (ويقصد بذلك أحمد محمد شاکر) شكراً صادقاً واعترافاً مما أسدى وأرشد، وما أعان وعضد، فجزاه الله خير ما يجزى به عالم فاضل."³

¹ - المفضل بن محمد بن يعلى الضبي: المفضليات - تحقيق أحمد محمد شاکر وعبد السلام هارون - دار المعارف القاهرة ط2010/10. ص7.

² - المرجع نفسه، ص7.

³ - المرجع نفسه، ص7.

كتاب "فصل المقال في شرح كتاب الأمثال" لأبي عبيد البكري حققه إحسان عباس بالاشتراك مع الصديق عبد المجيد عابدين، وصدر عن جامعة الخرطوم طبعته الأولى تمت سنة 1958م. الناشر: مؤسسة الرسالة، دار الأمانة، الطبعة الثالثة 1983 م - 1403هـ.

لقد بذل المحققان جهداً كبيراً في تحقيقه، ومع حسن صنيعهما إلا أنّ وسائل الطباعة كانت غير مسعفة لهما إذ يقول إحسان عباس: "مع قصور الطباعة في الخرطوم، مليئة يومئذ بالأخطاء التي عجزنا عن تبرئة الكتاب منها مع تصحيحه عدة مرات"¹

وإن تحقيق النصوص ليس انتساباً للمناهج و القواعد فحسب، بل هو كذلك مراسم و ذرية و مران، وقد لا يكفي ذلك كلّ بل مجالسة أهل العلم والتخصص والنباهة، يقول إحسان عباس: لا أنكر أن أخي محمود محمد شاكر الذي توثقت روابط الصداقة بيني وبينه على مر الزمن قد شجعني صراحة على ولوج دنيا التحقيق ولكني حين تقدمت منه أنا والصديق الدكتور ناصر الدين الأسد نستشيريه في تحقيق "جوامع السيرة" لابن حازم، سر بالاقترح وأذن لنا أن نعيش في مكتبته، ونلجأ إلى رأيه وتوجيهاته حين لاتسعفنا المصادر..."²

وهو ما شجع إحسان عباس وزميله ناصر الدين أسد على المضني في التحقيق رغم المشاق، كاعتماد نسخة واحدة وهي كثيرة التحريف والتصحيح، ومع ذلك يقول إحسان عباس " فلا أعرف شيئاً عن اليأس والتردد حاصرنا يومئذ إذ كان من أهم ما نحرص عليه أن نفور بثقة أستاذ كبير،"³ لقد اجتمع في الرجلين إرادة التحقيق بوجود الوسائل المساعدة أقصد المكتبة، والمحرك الرئيسي محمود شاكر الذي إليه يلجؤون لاستشارته عند الملمات وما يعترض سبيلهما، وهو كما عُرف حجة في اللغة والأدب.

¹ - إحسان عباس "أوراق مبعثرة جمعه وعلق عليه د/عبد الحليم عباس (مرجع السابق) ص 258.

² - المرجع نفسه، ص 242

³ - المرجع نفسه، ص 243.

- "البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب" لابن عذارى المراكشي قام بتحقيقه المستشرق الإسباني الأستاذ أمبروسيو أويثي هوسي ميراندا المختصّ في الدراسات الاندلسية، بمساعدة الأستاذين المغربيين المشهورين في التحقيق محمد بن تاويت، ومحمد إبراهيم الكتّاني، وطُبع بتطوان المغرب سنة 1960م.

وقد سبق وأن تعاون كلٌّ من الفرنسيين جورج كولان و ليفي بروفنسال في تحقيق مخطوطة من مجلدين لنفس المؤلف.¹ و الجهد الأكبر حقّقه العالم الإسباني المذكور سابقا.

فما أحوجنا إلى العمل الجماعي الذي يقوم بمعية رجالا ثقة أكفاء يوجّهونه ويسهرون عليه، لا في يد من يتغون به عرض الدنيا ولا في حوزة جهلة يعبثون به.

عندما أقارن جهود هؤلاء المحققين بغيرهم من أصحاب البحوث العلمية، أقدر جهودهم ومايقدمونه لهؤلاء إذ يهيئون لهم النصوص مصحّحة منقّحة، ويضعونها في متناول الباحثين ينتفعون بها، شأنهم شأن محقّقي الأحاديث الشريف الذين يهيئون المتون والأسانيد ليحدها أهل العلم صائغة دون عناء.

2. المجامع اللغوية العربية وتحقيق التراث:

مما لا شك فيه أنّ العمل المؤسّساتي في أي مجال من مجالات الحياة يسهم في بناء صرح المجتمع لأنّ قوى مجتمعة متمكّنة تشدّ عَضُدَه، وجهود مادية ومعنوية تُأزره، والأمر كذلك مع المجامع العلمية واللغوية. ولقد سعت تلك المؤسسات البحثية جاهدة إلى الحفاظ على التراث من الاندثار، واللغة من التضييق والانحسار أمام موجات التغريب، ودعاة العاميّة.

¹ - ينظر ابن عذارى المراكشي - "البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب" تحقيق أمبروسيو هوسي مراندا، مع مساعدة الأستاذين محمد بن تاويرت ومحمد بن إبراهيم الكتّاني ط./ نطوان 1960. صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد" يصدرها معهد الدراسات الإسلامية في مدريد - إسبانيا - المجلد 9 و 10. مجلد يضم مجلدين 1961. 1962، ص 378.

يرى علماء اللغة و الأدب وأخصائيو الجامع أنّ " الهدف الأساسي الذي من شأنه تأسست الجامع هو إحياء مخطوطاتها، والنظر في أوضاعها العصرية ونشر آداب اللغة العربية وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون من اللغات الأوروبية، إلى تأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد، والمساهمة في تعريف المصطلحات التي طلبتها مصالح الحكومات والأفراد والمؤسسات الصناعية، والمشاركة في وضع الكتب المدرسية.."¹ بالإضافة إلى مهام أخرى منوطة بها، وما يهمننا هنا ما قامت به الجامع في مجال تحقيق المخطوطات.

لقد اضطلعت نخبة من العلماء والباحثين بمهام هذه الجامع ، و أسهمت في مجال البحث والتنقيب عن التراث، وبدلت جهودا مضيئة في سبيل خدمة اللغة وتطويرها لصالح الأمة ويمكن حصر هذه الجهود في "دراسة وتنقية (التراث) وضبطه وتحقيقه بعد اختيار ما يحقق بمنهج علمي حديث، وتنصيب مؤسسات مختصة تتولى النظر في هذا التراث الزاخر."² بالإضافة إلى تنظيم دراسات علمية في اللهجات العربية.

أنشئت على غرار الجامع العريقة الرائدة كمجمع القاهرة ودمشق وبغداد مجامع في مختلف البلاد العربية، أسهمت بنسب متفاوتة في تحقيق التراث، وكل ذلك " وفاء بحق الأمة في أن تستضيء بتراثها لتستكمل وعي ذاتها وفهم تاريخها، ومعرفة مواقع خطاها من ماض إلى حاضر"³

لقد بدلت بعض هذه الجامع العلمية واللغوية - سيما المشرقية منها - الشيء الكثير في وضع المصطلح والحفاظ على اللغة وتحقيق المخطوطات رغم ما كانت تعانيه الأمة من نكبات إلا أنّها كانت ملتقى النخبة العربية من مشارقها إلى مغربها.

1 - صالح بلعيد "مقاربات منهجية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط/2004، ص 163.

2 - المرجع نفسه، ص 163.

3 - عائشة عبد الرحمان(بنت الشاطيء) " تراثنا بين ماض وحاضر" دار المعارف بمصر ط/1968/2 . 1970، ص 197.

3 . المستشرقون والمجامع العربية:

لقد ضمّت المجامع العربية مجموعة من المستشرقين أسهمت في نشر المخطوطات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: في مصر الفرنسي لويس ماسنيون، و الإنجليزيين دافيد صموئيل مارجرىوت، وهاملتون جيب، و أ.ج فنسينيك الهولندي الذي لم يدم طويلا في الجمع وانظم إلى مجمع دمشق. وكارلو نلينو الإيطالي الذي كان عضوا في مجمعين(دمشق وبغداد). ولعل مالك بن نبي كان يقصده مبلغهم هذا عندما تحدث عن التأثير الاستشراقي بقوله: "إن الأعمال الأدبية لهؤلاء المستشرقين قد بلغت في الواقع درجة خطيرة من الأشعاع لا نكاد نتصوّرها وحسبنا دليلا على ذلك أن يضمّ مجمع اللغة العربية في مصر بين أعضائه عالما فرنسيا.¹" بقصد لويس ماسنيون.

يجب الإشارة هنا إلى أنّ بعض هؤلاء المستشرقين الذين مُنحت لهم عضوية المجامع عُرفوا بتطرفهم وعدائهم للإسلام واللغة العربية، ومع ذلك نجد لهم موطئ قدم في مجمعين أمثال: ماسنيون ومرجرىوت وفنسينك.

4 . بين الجهود الجماعية والفردية:

أحيانا تفتقر الجهود الجماعية إلى لمسة طرف آخر من غير تلك الجماعة المؤكّلة بالتحقيق ربّما لقصور بعض أطرافها أو خفوت روح المثابرة فيهم، فحتاج لصاحب همّة يتتبع أثرها ويشدّ أزرها، وإن لم يكن منتميا لها كما هو الشأن مع محقق رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد المتضمنة في كتاب الذخيرة لابن بسّام (الأندلسيا) فقد ذكر طه حسين في مقدمة كتاب الذخيرة* أن الجامعة المصرية كلفت المستشرق ليفي بروفنسال مع طائفة من شباب قسم اللغة

¹ - مالك بن نبي "الظاهرة القرآنية" ، ترجمة عبد الصابور شهين، تقديم محمد عبد الله دراز، محمود محمد شاكر، دار الفكر دمشق سورية، ط4/1987م، ص 45.

*الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة -" لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني الندلسي أثبت رسالة الزوابع والتوابع -في القسم الأول من مؤلفه المذكور .وقد طبع في مجلدين بالقاهرة ج 1 سنة 1939م

العربية في كلية الآداب أن يهيئوا نص كتاب الذخيرة للطبع، معارضين ما اجتمع لهم من النسخ، مصححين ما لا بدّ من تصحيحه.

واللجنة المراقبة للعمل تضم: طه حسين، وأحمد أمين، ومصطفى عبد الرزاق وعبد الحميد العبادي، وعبد الوهاب عزام، و ليفي بروفنسال. تنظر فيما أعدته اللجنة الأولى في تحقيق النصّ تقرأه منفردة ومجتمعة، حتى إذا أقرته، أذنت بطبعه، وعلى هذا النحو أُخرج القسم الأول من الذخيرة مصححاً ومطبوعاً طبعاً جميلاً.¹

هذه اللجنة كما هو معروف وُكِّل لها تحقيق ونشر كتاب الذخيرة لابن بسام الأندلسي لكن "رسالة التوابع والزوابع" لابن شهيد كانت متضمنة فيه ولم تعثر على الرسالة (النسخة الأصلية).

وقد تولى أمرها بطرس البستاني، إذ يقول: "على أننا عندما حملنا النفس على نشر رسالة التوابع والزوابع وجدنا أن اللجنة (ويقصد اللجنة السالفة الذكر) لم تُعن بشرح الألفاظ الغريبة والاصطلاحات الأندلسية بل أرجأت ذلك إلى أن تنتهي من نشر بقية الأقسام فتولينا شرح الغريب من اللفظ، وفتح المغلق من المعنى وتعريف أسماء الأعلام، وإيضاح التلميحات التاريخية تسهيلاً على عامة القراء و تخفيفاً عن خاصتهم، ووقفنا على خطأ غير قليل في الشكل يحسن بنا أن نردّ معظمه على الطابع، فأصلحناه و قومنا مُنَادِه* دفعاً للالتباس و التشويه."²

إنّ هذا العمل إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على قيمة الجهد الفردي ودوره في إكمال العمل الجماعي وسدّ الثغور التي قد تقع فيها الجماعة. ويواصل البستاني قوله: "ولم يقف عملنا عند هذا الحد في إخراج هذه الرسالة، فإنّ الجهد الذي بذلته اللجنة في معارضة نسخ الذخيرة

1 - ينظر ابن شهيد الأندلسي "رسالة التوابع والزوابع" صحتها وحقق مافيها، وشرحها وصدرها بدراسة تاريخية بطرس البستاني. دار صادر بيروت لبنان ط1387/1هـ-1416هـ 1967م-1996م ص 63-64 (بتصرف).

* منادّه: ما شدّ منه، ونذت الكلمة: شدّت.

²- المرجع نفسه، ص 64.

وتصحیح النصّ، لم يبلغ إلى ما أرادته من ردّ الكتاب إلى الصواب كما يقول طه حسين في المقدمة¹ مقدمة كتاب الذخيرة الجزء الأول.

ولذا من الأشياء التي جعلت بطرس البستاني يعيد النظر في رسالة التوابع والزوابع ويحققها إتماماً للفائدة، إضافة لما سبق ذكره، وجود بعض الألفاظ التي وقع فيها الغلط من تصحيف والتحريف، ولم تُصحح بالرجوع إلى أصولها، لقصور في اللجنة المحقّقة، وافتقارها للتدقيق.

يقول البستاني: "عجبنا كيف جاوزتها اللجنة دون أن تدقّق في معانيها، أو تراجعها في مظاهرها ورأينا أن نستدرك مافاتنا فقمنا و صححناه بتتبع المعنى، وتقريب صور الألفاظ بعضها إلى بعض"².

ومن الألفاظ التي استدرکها على اللّجنة: كلمة **الجودان** (بالدال المعجمة) بدل الجودان أي ليس كما هي في النسخة إذا بالدال لا معنى لها في البيت وبالذال يراد بها نَبْتُ نُورِهِ أصفر كما في قول أبي عامر في وصف الصيد:

نُمَسِّحُ بِالْجُودَانِ مِنْهُ أَكُفُّنَا *** إِذَا مَا اقْتَصْنَا مِنْهُ غَيْرَ قَلِيلٍ

أي مسح اليدين بهذا النبات بعد الانتهاء من أكل لحم الطرائد.

الجهود الجماعية مطلوبة في مثل هذه الأعمال سيما إذا كانت مدونات أو مجموعة أصفار أو مجلدات، مما يستدعي تضافر الجهود في تحقيقها، وبالجهود الجماعية تقوى العزائم ويحقق التكامل ويطوى الزمن، هذا إذا كان العمل الجماعي يقف على أسس متينة ونوايا سليمة، وإلا فإن الجهود الفردية أحيانا تضاهي الجماعة أو تتعدّها، وبالتالي يقاس الفرد بالجماعة، وقد رأينا من المحققين من كانت جهوده تعادل عمل الجماعة، كذلك كان محي

¹ - المرجع السابق، ص 64.

² - المرجع نفسه، ص 64.

الدين عبد الحميد، لقد قدّم وحده للمكتبة العربية ما لم تقدمه هيئة علمية مدعومة بالمال والرجال على حدّ قول محمود الطّاحي.

المبحث الرابع: نقد التحقيق

1. نقد التحقيق وأهميته.
2. دواعي نقد التحقيق ومزاياه.
3. نماذج من نقد نشرات محققين عرب.
4. نقد نشرات مستشرقين.

المبحث الرابع: نقد التحقيق

1. نقد التحقيق وأهميته:

هذا الفنّ له اتّصال مباشر بعلم التحقيق، اطلع به العاملون في مجال نقد التحقيق لما لديهم من دراية وبصيرة في اكتشاف الخطأ والصواب، " فإنّ (نقد التحقيق) علم يقوم بنقد علم (التحقيق) بقواعد وأصول، مؤدّاه المصادرات التي يرجع إليها المحقق الناقد، لثّعينه في عمله كي يصمي * مفصل الحقيقة ويصيب محرّها*."¹

ما يوجب على المحقق من شروط سبق أن ذكرناها في حديثنا عن التحقيق تلزم كذلك ناقد التحقيق، بل ينبغي أن يكون هذا الأخير أكثر حنكة ودراية ومراس، إذ يفترض أنّ تكون النشرة المنقودة أقرب إلى الصواب وأهدى إلى الأصل الذي وُضعت له، وإن اطلع بها الناقد المحقق فليست بالمهمة السهلة، وهي في الوقت نفسه عمل جليل إن أحسنت فيه النوايا.

" لذا ظلّت النقود تلاحق الأعمال المنشورة وهذه علامة صحّة ودليل ملاحقة وتتبع"² على هذا النحو قام عبد السلام هارون بنقد "ديوان البحري" الذي قام بتحقيقه حسن كامل الصيرفي، حيث نقد الجزء الأول نقدا مفصّلا في مجلّة " المجلّة " ثمّ جمع هذا النقد في كتاب مستقل تحت عنوان "حول ديوان البحري"³.

* يصمي : يُصيب.

* المخز: موضع الخزّ: أي القطع، تكلم فأصاب المخز: تكلم فأقع .

¹ - عباس هاني الجراخ "مناهج تحقيق المخطوطات . توثيق ودراسة" . المكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1/1431هـ 2010م، ص56.

² - عباس هاني الجراخ "تحقيق المخطوطات مناهجه . قواعده . أعلامه" . دار الكتب العلمية، بيروت ط1/1435هـ 2014م، ص37.

³ - ينظر محمد زكريا عناني وسعيدة محمد رمضان " في منهج البحث وتحقيق النصوص، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، ط1/1999م ص179.

وبعض هذه الأعمال بُذلت في نقدها جهود جماعية من خلال الجامع العلميّة والكليات ومجالاتها، و من أبرز هذه المجالات "مجلة معهد المخطوطات العربيّة بالقاهرة" ثمّ الكويت، ومجلة "المورد" العراقيّة و"عالم الكتب" السعوديّة و"عالم الكتاب" القاهريّة، و"مجلة العرب" التي يصدرها الشيخ حمد الجاسر، وما تقوم به نشرة أخبار التراث التي تصدر عن معهد المخطوطات¹

2. دواعي نقد التحقيق ومزاياه:

نقد التحقيق والتحقيق لا يختلفان في الأهداف والغايات لكن قد يختلفان في دواعي و مزايا القيام بكلّ فنّ.

* فأما دواعي نقد التحقيق فنجملها في مايلي:

- أهميّة الكتاب وقيّمته العلمية.
- ضياع أو نذرة التحقيق الأوّل.
- توقّر النسخ للمحقّق الثاني (الناقد) التي لم تتحقّق مع المحقّق الأوّل.
- الأمانة العلمية (الحفاظ على حقوق المؤلّف).

* وأما مزاياه فتتمثّل فيما يلي:

- تصويب ما وقع فيه المحقّق الأوّل من مزلق وأخطاء.
- التسريع على البحث باكتشاف نسخ أخرى غفل عنها المحقّق الأوّل وقد تكون الأصلية.
- إضافة تقنيات جديدة في التحقيق لم يتسن للمحقّق الأوّل أو الثاني الاطلاع عليها بحكم الزمن وتطور العلوم.

¹. ينظر زكريا عناني (المرجع السابق)، ص. 179.

وتبقى الجهود الأولى في مجال التحقيق لها قيمتها، وهي بحق إرهاصات أولية رائدة ولو تعلق الأمر بعلماء الاستشراق.

الحديث عن نقد التحقيق أو تحقيق التحقيق أصبح لزاما الآن بعد أن اتّسع مجال التحقيق وتعدّدت وسائله والتي لم تكن متوفرة من قبل، كما أنّ المخطوطات التي حقّقها المستشرقون لها ما لها وعليها ما عليها، وبعض هذه المخطوطات مليء بالأخطاء والمغالطات والأوهام، لذا وجب ونقدها و تقويمها.

مجال نقد التحقيق واسع و من الأهمية بمكان، إن أحسن استغلاله وخلصت فيه النوايا أذى دوره بحقّ و المتمثّل في تقويم النصوص المحقّقة، وتنقيتها من الشوائب التي علقت بها بفعل عمد أو نسيان.

3. نماذج من نقد نشرات محقّقين عرب :

أ- نقد علي توفيق الحمد لنشرة محمد بن أبي شنب الجزائري:

حقّق محمد بن أبي شنب كتاب " الجمل " للزجاجي و إن كان في مجال النحو فإنّ الذي يعيننا هنا هو نقد التحقيق الذي ظهر جليا كفنّ في العصر الحديث، فبعد ما اعتني بتصحيح الكتاب السالف الذكر وشرح أبياته لأوّل مرة محمد بن أبي شنب الجزائري وطبعه بمطبعة "جول كربونل بالجزائر سنة 1926م، أعاد تحقيق الكتاب والتقديم له علي توفيق الحمد و طبع في مؤسسة الرسالة ببلنات 1984.

اعتمد محمد بن أبي شنب في نشرته على ثلاث مخطوطات في حين اشتغل علي توفيق الحامد بالإضافة إلى النسخ الثلاثة التي انطلق منها ابن ابي شنب، أربع نسخ أخرى وجدها موزعة في مصر استدرك بها التحقيق الأوّل ليصبح عدد النسخ المعتمدة لديه تسعة.

وفي هذا المجال يقول علي توفيق الحمد: " أمّا الدواعي العلمية، فأرى أنّها على جانب كبير من الأهمية، وهي أنّ محقّقه المرحوم الشيخ محمد ابن أبي شنب لم يطلّع على ما توافر لديّ

من النسخ المحفوظة عند نشر الكتاب، وقد اتّضح لي أنّ فروقات وزيادات ذات أهميّة سيرها القارئ الكريم في مواطن كثيرة من هذا الكتاب¹

فالعامل المكاني و البعد الزمني بين الناشرين والتغيّرات الطارئة، والظروف المختلفة التي التي نشأ فيها توفيق الحمد الذي جاء فيما بعد، غير تلك عاشها محمد ابن أبي شنب، ضف إلى ذلك الوسائل المتاحة للمحقّق الثاني غيرتلك التي وجدت مع الأول.

وبالتالي توقّرت نشرة علي توفيق الحمد على إضافات قيّمة بفضل تعدّد النسخ وتنوعها

ومع ذلك فأسبقية ابن أبي شنب لا تُنسى، وفضله لا يمحي، فقد بدل الشيخ جهده في تخريج الكتاب بما أتيح له في زمانه من مؤلفات (أجواء الاحتلال)، وكان رجاءه أن يحقّق مراده، إذ يقول: "ونرجوا من الله تعالى أن يكون هذا الكتاب، جامعا في هذا الباب، مغنيا الطلاب عن التطلاب، كافيا جميع الشواهد العربية، وافيا لما يحتاج إليه في الكتب العربية"²

ب- نقد تحقيق البيان والتبيين والحيوان للجاحظ:

فقد حقّقه وقدم له فوزي عطوي، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني بيروت سنة 1968م. و أعاد تحقيقه وشرحه عبد السلام هارون مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة سنة 1985م. ثمّ أعاد التقديم له وتبويبه وشرحه، علي أبو ملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت سنة 1992 م.

وهو الشأن مع الحيوان الذي نشره وشرحه عبد السلام هارون، تم نقد نشرته فوزي عطوي، تمّ يحيى الشامي.

1 - أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق الزجاجي " كتاب الحمل في النحو" تحقيق علي توفيق الحمد، مسسة الرسالة بيروت ، دار الأمل الأردن، ط1/1404هـ، 1984م ص42،41

2 - أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق الزجاجي " الحمل" اعتنى بتصحيحه وشرح أبياته محمد ابن أبي شنب، مطبعة حول كربول الجزائرط/1926، ص16

وإن دلّ هذا على شيء فإتّما يدل على أنّ هناك إحساس ومتابعة لما يُنشر، وأنّ أمانة التحقيق تقتضي أمانة النقل والضبط والاستقصاء والنقد.

جهود بعضها يكمل الآخر، فقد يؤتّى محقق من الوسائل والإمكانات، والقدرة على البحث والاستقصاء ما لا يسعف غيره، وأحيانا مع توفرها قد يغفل المحقق عن أشياء ولأنّ الغفلة والنسيان موكلان بالانسان، ونقد التحقيق ما هو في الحقيقة إلا استدراك وتصويب وتحسين للكتاب، وتيسير وتبسيط لفهمه. ونأسف لبعض النقود التي لا جدوى منها، و ما هي إلا إعادة لطبعات سابقة، لاجديد تحملها.

ت- نقد حلمي محمود القاعود لنشرات ديوان مصطفى صادق الرافعي:

كتب حلمي محمود القاعود مبحثا بعنوان " ومازال شعر الرافعي يحتاج إلى تحقيق " في كتابه: " شعراء وقضايا، قراء في الشعر العربي الحديث " أشار فيه إلى ديوان شعر مصطفى صادق الرافعي وإلى النشرات التي أتيح لها أن تظهر، وكانت الأولى نشرة محمد كامل الرافعي في ثلاثة أجزاء الذي قدم له، " وقام بشرح مناسبات بعض القصائد مع التعليق على بعضها وشرح بعضها الآخر، في إسهاب وإيجاز¹ ويرى حلمي هذا الباحث أنّ هذه الدراسة جاءت وفقا لرؤية ذاتية قامت أساسا على الاحتفاء بالشاعر وشعره.

والثانية نسخة من شعر الرافعي بعنوان " الأغاريد " قام بجمعها وتحقيقها الأديب العراقي مصطفى نعمان البدرى وكان شغوبا بالرافعي. والثالثة طبعة ياسين الأيوبي الذي قام بتحقيق وشرح الديوان والتقديم له، ولكنّ الطبعة الأخيرة لم تضيف جديدا أو كما قال: " فقد وجدت الديوان مجرّد إعادة نشر ما طبعه محمد كامل الرافعي دون زيادة أو نقصان، فضلا عن رؤية حادّة وقاسية لم تبرز قيمة شعر الرافعي أو شاعريته."² وقد أشار إلى مجموعة نقاط ذكرها

¹ - حلمي محمد القاعود " شعراء وقضايا، قراء في الشعر العربي الحديث "، دارالعلم والإيمان للنشر والتوزيع ط/2009، ص173.

² - المرجع نفسه، ص 174.

الأيوبي في تحقيقه ودراسته بعضها وافقه حلمي محمد الرأي فيها، واختلف معه في البعض الآخر وهي مدونة في كتابه "شعر وقضايا قراءة في الشعر العربي الحديث"¹

ويخلص الكاتب إلى أنّ ما يأمله حقا هو البحث عن أشعار للرافعي التي لم تنشر في الأجزاء الثلاثة أو في الاغاريد للرافعي، كما يتمنى أن يكون بحثا جادا يبرز شاعريته في إطار زمانه وجيله، ويتضمّن إيجابيات شعره وسلبياته في حدود علمية منهجية، لا يجعل من مسيرته انطلاقا ولا تعترا.

4. نقد نشرات مستشرقين:

أ - نقد مصطفى السقا لنشرة المستشرق "فرناند وستنفلد"

"معجم ما استعجم" للبكري قام بتحقيقه المرة الأولى المستشرق "فرناند وستنفلد"

وقد أعاد تحقيقه الشيخ مصطفى السقا رحمه الله. يقول هذا الأخير معلقا عن محققه الأول بعد أن أثنى عليه: "أما المستشرق وستنفلد (1808م - 1899م) * صاحب الفضل على المكتبة العربية بما نشر من نفائسها وذخائرها (فإنّه حين) اتجهت عنايته إلى نشر معجم (معجم ما استعجم) راح يجمع له الوثائق ويقابل نسخته التي كتبها بالنسخ المفرقة في مكاتب ليدن وكمبرج ولندن وميلان، واستخلص بالاعتماد على هذه النسخ الأربعة صورة كتبها بخطه وأذاعها بمطبعة الحجر في مجلدين كبيرين من القدر المتوسط..."² وقد رأى في هذا العمل جهدا يستحق التنويه به لما فيه من تعب ومشقة في البحث والتحري، رغم ما قد يتخلله من أخطاء إذ يقول: "فقد بذل قصارى جهد العالم الضليع والتحري ومقابلة النسخ والاستيقاق

¹ - ينظر المرجع السابق "هذه النقاط مدونة من ص174 إلى ص181

² - إحسان عباس "أوراق مبعثرة" نقلا عن "معجم ما استعجم" أبو عبيد البكري تحقيق مصطفى السقا (القاهرة 1945) مقدّمة المحقّق ص: ح

* فرناند وستنفلد: قام بتحقيق وفيات الأعيان لابن خلكان، عجائب المخلوقات للقزويني، معجم ما استعجم للبكري السيرة لابن هشام، الاشتقاق لابن دريد، معجم البلدان للحموي.

من الأصول وأضاف إلى الكتاب فهرست شاملة للمواضع التي وردت قصداً في أماكنها وعرضاً في غير أماكنها.¹ و يستفاد هذا المستشرق هو الذي حقّق "معجم البلدان لياقوت الحموي". يقول إحسان عبّاس في هذا الصدد: "ولكّني حين أنظر إلى معجم البلدان فأراه على حاله دون تحسين كثير على ما خلفه و يستفاد يزداد تقديري، لذلك المحقق المجتهد، مهما يكن حجم الأخطاء التي وقع فيها."²

ب - نقد عبد السلام هارون لنشرة ليفي بروفنسال:

باب الكتب: نقد وعرض عنوان المقال "سير المكتبة الأندلسية والمغربية جمهرة أشعار العرب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الأندلسي تحقيق عبد السلام هارون الطبعة الثانية نشر دار المعارف القاهرة 1962م.

"جمهرة أنساب العرب لإبن حزم القرطبي من الكتب القيمة التي سبق أن نشرت من قبل فقد اضطلع بتحقيقه لأول مرة المستشرق الفرنسي الأستاذ ليفي بروفنسال وطبع بالقاهرة سنة 1948م، غير أن الأستاذ عبد السلام هارون رأى أن يعيد نشره وتحقيقه مرة أخرى بعد أن استطاع الاعتماد على عدة مخطوطات أخرى لم يتح للأستاذ بروفنسال مقابلة نصه عليها على الرغم من علمه بوجودها"³.

يعد هذا المؤلّف من خيرة ما ألّف في مجال أنساب العرب، واشتغال الأستاذ عبد السلام هارون على المؤلّف والعناية به وتحقيقه يعدّ مكسباً للمكتبة العربية إذا يعد من بين خيرة المحققين في العالم العربي والإسلامي.

¹ - المرجع السابق، ص 240.

² - المرجع نفسه، ص 240 .

³ - ابن حزم الأندلسي "جمهرة أنساب العرب" - نقد و غرض الكاتب، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد يصدرها معهد الدراسات الإسلامية في مدريد - إسبانيا - المجلد 9 و 10 - مجلد يضم مجلدين/ 1961 و 1962 ص 374 .

وقد قدم المحقق للكتاب بترجمة لابن حزم وقال عنه: "تعد جمهرة أنساب العرب من أوسع كتب التّسب وأحفلها وأدقّها، مع الإيجاز والاستيعاب، فقد أتيح لابن حزم فرصة الاطلاع على ما سبقه من كتب الأنساب والرجال والتاريخ والتراجم ونحوها، فاستطاع أن يعصرها ليستخلص منها هذه الصورة المتكاملة المترابطة"¹

ثمّ ذكر المزالق التي وقع فيه المحقق الأول بروفنسال في تحقيقه للمخطوط ممّا يخلّ بالمنهج العلمي إذ يقول: "ولكننا مع ذلك لا نجد أثراً ظاهراً لاعتماده على تلك النسخ، فليس في الحواشي ما يشير إلى المقارنة أو إلى عرض الاختلاف بين النسخ والقراءات."² وهذا ما جعله يحكم على عمل بروفنسال بأنّه عمل ملفق تلفيقاً صامتاً لا يتساير مع مقتضيات منهج التحقيق العلمي الحديث، "غير أننا كنا نود مادام الأستاذ عبد السلام هارون قد اضطلع بهذا العمل أن يستكمّله بحيث لا يدع فيه بقية أو مجالاً للاستدراك، ونحن نعني بذلك مقابلة نصه على جميع النسخ التي عرفها فرونسال من قبل وإن لم يعمل هذا الأخير على استخدامها والانتفاع بها."³ غير أنّ هذا الانتقاد لم يسلم منه عبد السلام هارون نفسه.

والانتقاد الموجّه لهذا الأخير من باب اعتماد النسخ، فالمستشرق بروفنسال اعتمد على ثلاث مخطوطات في تحقيق كتاب "الجمهرة" وذكر في مقدمته بوجود عشر نسخ بينما لم يعتمد عليها كلها، و اعتمد عبد السلام هارون على نسخ بروفنسال.

ويبدو أنّ عبد السلام هارون كان مُطالباً في نشرته هو كذلك باستيفاء جميع النسخ التي أعلن عنها في مقدمة تحقيق الكتاب لكنّه "لم يجد بأساً في أن يعتمد على تلك "النشرة الملفقة" و يتخذها أصلاً من أصوله على الرغم من خلوها من المقابلة، وعرض الاختلاف في القراءات ولكنه زاد عليها بالاعتماد على ثلاث مخطوطات أخرى، إحداهما مخطوطة ليفي بروفنسال

¹ - ابن حزم الأندلسي (384. 456) "جمهرة أنساب العرب" تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف القاهرة، ط 5 / د ت ط، ص 13.

² - المرجع نفسه، ص 17.

³ - ابن حزم الأندلسي "جمهرة أنساب العرب" صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المرجع السابق، ص 374.

نفسه، و اثنين آخرين هما مخطوطات المكتبة التيمورية ومخطوطة المكتبة الشنقيطية، ومعنى ذلك أن هناك خمس مخطوطات أخرى للجمهرة لم يرجع إليها الأستاذ عبد السلام هارون في نشرته الجديدة،¹ ومع أنه أشار إلى ما تضمنته نسخة بروفنسال من عيوب أو تلفيقات فقد اعتمدها كما صرح بذلك من باب أمانة النقل إذ يقول: "فقد عنيت بضم حواشي هذه النسخة وتعليقاتها محتفظاً بأمانة العزو إلى صاحبها المستشرق الفاضل بروفنسال،..."²

وبالتالي يبقى العمل يفتقر إلى الاطلاع على الخمس الباقية ومع ذلك فعمل الأستاذ عبد السلام هارون لا يستهان به وقدره لا يضاهي، بالإضافة لنقده نشرة بروفنسال فقد امتازت نشرته باستيعاب أنواع مختلفة من الفهارس، وقد يضاعف عمله لو استكمل باقي النسخ، ولكن متاعب التحقيق كبيرة، وجهوده مضيئة.

كما أن جهود بروفنسال تقدر بقدرتها مهما ضعفت أو قلت، وأقل ما يمكن أن يقال أنه حافظ على إحدى مخطوطات المؤلف في مكتبته، والحاجة ماسة إلى جهد ثالث يستكمل جهد الطرفين وإضافة وتصويب وتدارك ما لم يتم تداركه.

رغم الانتقاد الذي وجهه عبد السلام للمستشرق بروفنسال، إلا أننا نجد في موضع آخر يشيد بصنيع المستشرقين بقوله: "وقد ألفينا هؤلاء المستشرقين ينشرون عيوننا من التراث العربي قبل أن تظهر هنا في الشرق العربي بعشرات السنين، في أمانة علمية دقيقة اقتبسوها من أسلافهم مقرونة بعناية خاصة بالفهارس الفنية"³

إننا إذ أثبتنا جهود المستشرقين في خدمة التراث العربي فإننا نؤكد في الوقت ذاته أن كثيراً من تلك الجهود كانت بمعية مثقفين عرب لا شك في ذلك، ويذكر الزركلي في "الإعلام"

¹ - ينظر المرجع السابق، ص 375.

² - ابن حزم الأندلسي (384. 456) "جمهرة أنساب العرب" تحقيق عبد السلام هارون (المرجع السابق)، ص 18.

³ - المرجع نفسه، ص 68. 69.

في ترجمته لمحمود شكري الألوسي وكتابه " بلوغ الأرب في أحوال العرب " ألفه إجابة لاقتراح لجنة اللغات الشرقية في استكهولم، وفاز بجائزتها.¹

فقد تعاون المستشرق الإسباني الأستاذ أمبروسيو أويثي هوسي ميراندا المختصّ في الدراسات الاندلسية، في تحقيق كتاب "البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب" لابن عذارى المراكشي مع الأستاذين المغربيين المشهورين في التحقيق محمد بن تاويت، ومحمد إبراهيم الكتّاني. واستعان شارل بيلا بمحمد طالبي التونسي في تحقيق نصّ من نصوص الجاحظ.

ثمّ إنه لا بدّ من الاعتراف بالجهود التي بذلها المستشرقون في التحقيق، يبقى جانب تطبيق المنهج والتدقيق في المسائل التحقيق، فهذا يتوقّف على مدى دراستنا لأعمال المستشرقين كلّ على حدة و الوقوف على أخطائهم و هنّاتهم.

يقول أحمد سميلوفتش "وعلى الرغم من أنّنا لا نخفي إعجابنا بما قام به الاستشراق في هذا الميدان، فإنّنا نشير في هذا المكان إلى أنّه كثيرا ما أخطأ فيما قام بتقديره، لأنّ علماءه لم يتمكّنوا من النفاذ إلى روح التراث الذي نحن بصدد دراسته"² ومن تمّ طالب بإعادة النظر فيما طرحه الاستشراق، وما علّق عليه للصبغة التي انطلت عليها أحكامه، كما طالب بإعادة النظر في كلّ طرحه لتقويم التراث، "لأنّ أحكامه كثيرا ما كانت تصدر على أساس التعصّب والافتراء والإنكار، علاوة عن الريبة والتشكيك والعداوة أيضا"³

ما من شك أنّ أحمد سميلوفتش يدعو الأمة العربية لأنّ تستلم زمام المنهج، وتحمّل أعباء تراثها، بدل الجلوس على موائد الاستشراق دون النهوض به، والإحساس بقيمته، فإذا كان الاستشراق أدّى من عليه نحو هذا التراث إيجابا أو سلبا فقد آن الأوان لاستلامه ومراجعته.

¹ - خير الدين الزركلي "الأعلام" دار العلم للملايين - بيروت - لبنان، ج7 - ط5 / ماي 1980، ص173.

² - أحمد سميلوفتش "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدبي العربي المعاصر، ص712.

³ - المرجع نفسه، ص 712.

و مهما يكن من نقد النصوص سواء تعلق الأمر بعلماء عرب أم مستشرقين، فإنّ ضروريّ و من شأنه أن يكشف هفوات و أوهام أصحاب النصوص و محققها، ويستدرك فواتهم، و يوفّر لهم وقتا وجهدا كبيرين، و يسير بعملية البحث العلميّ في الاتجاه القويم.

الفصل الثالث

قراءة في كتابات شارل بيلا

الفصل الثالث: قراءة في كتابات شارل بيلا

- توطئة
- المبحث الأول: مدرسة الاستشراق الفرنسي.
- المبحث الثاني: بيلا وإسهاماته في الأدب العربي.
- المبحث الثالث: شارل بيلا والمنهج الأدبي.
- المبحث الرابع: بيلا وتحقيق النصّ.

توطئة:

أسعى جاهدا في هذا الفصل الأخير - هو مجال تطبيقي - أن أقدم ما أمكن قراءة واعية لبعض كتابات وأبحاث شارل بيلا (إنجازات و تحقيقات نصّية) والتي تشكّل قمة عطاء الكاتب، وتكشف عن أبعاد هذه شخصيته وتوجّهاتها تجاه الأدب العربي وشخصياته وبعض قضاياها، باعتبار الرجل ثقف اللّغة العربية، وتعمّق في دراسة الأدب العربي سيما القديم منه وكوّس حياته لفهمه، ومارس سلطته، وفرض آراءه في الأوساط الأدبية وبين محبّيه، مراعيًا في ذلك المناهج الأدبية و تحقيق النصوص، التي مهدت لها في الشقّ النظريّ.

قراءة فيما توفّر لديّ من آثار هذا الأديب الناقد، والتي تمثّل الخلفية الفكرية للاستشراق الفرنسي والوصول إلى معرفة حقيقة لهذا الأديب الذي أفنى عمره في دراسة اللغة و الأدب العربي، كما يؤكّد ذلك العديد من المثقفين العرب . والحكم على أعماله إن هي اتّسمت - في تطبيق المنهج - بالنزاهة و الموضوعية و ما يخدم الإنسانية، و إن هو أقرّ مبدأ التأثير والتأثر الذي - للأسف - غاب عند كثير من المستشرقين، وحتّى الفاعلين منهم حيث اصطبغت ذواتهم بصبغة الأنا والمركزية واستهوتهم الذاتية والنرجسية، وطابع الحقد والكراهية. وتجلّت بشكل ضمني أو علني فيما خلفوه من آثار، ومن خلال تفسيرهم للظواهر العربية تفسيرًا قيصريًا وإسقاطهم للأحكام إسقاطًا واهيًا، غير مؤسّس يفتقر للأمانة العلمية، وأخلاقيات المنهج.

المبحث الأول: مدرسة الاستشراق الفرنسي.

- 1- بداية المواجهة بين فرنسا والمد الإسلامي.
- 2- الاستشراق الفرنسي والمخطوطات مدرسة العربية.
- 3- ريادة الاستشراق الفرنسي للمخطوطات العربية.
- 4- الاستشراق الفرنسي الأكاديمي الحديث.

المبحث الأول: مدرسة الاستشراق الفرنسي.

1. بداية المواجهة بين فرنسا والمد الإسلامي:

لم يكن الاستشراق الفرنسي يوماً بمنأى عن التراث الأدبي للأمة العربية الإسلامية ومستجداته بحكم القرب الجغرافي المتوسطي، والصلة الثقافية التي تأسست دعائمها الأولى بفضل الحضارة العربية الإسلامية التي انتقلت إلى أوروبا عبر منافذ الأندلس وصقلية و تركيا و وصلت إلى مشارف جبال البيريني بفرنسا. غير أن الحروب الصليبية التي شنها الغرب المسيحي على العرب و المسلمين كان لها دور في إضعاف التواجد الإسلامي، لكن المد الحضاري لم يتوقف لقد أخذ الغرب ينهل من تلك الثقافة التي أرسى معالمها أولئك البواسل الذين لم يكتفوا بها في بيئتهم بل حملوها إلى غيرهم، لإنسانيتها وعالميتها.

وكانت نقطة الصدام الأولى بين جيوش الإسلامية والجيوش الفرنسية بين عبد الرحمان الغافقي وشارل العاشر التي صدته عملياً بالقرب من مدينة بواتيه الفرنسية في موقع بلاط الشهداء سنة 732. والموقعة الثانية "رونسيفو" سنة 778 بين المسلمين والفرنسيين بقيادة "رولان" ابن أخ الإمبراطور شارلمان¹

وأين كانت النتائج فقد ألفت الحضارة الإسلامية بظلالها على المنطقة، حيث جعلت أهلها يقبلون عليها بشغف و يؤسسون من خلالها لانطلاق حضارتهم الجديدة، ولكن هل رُعي لأهل الفضل فضلهم؟

لقد أعقبها فيما بعد احتلال الغرب للعديد من الدول العربية والإسلامية في فترات متفاوتة اتسمت بالقوة تارة وأخرى باللين والمهادنة، وكان الاحتلال الفرنسي أكثر نفوذاً، وأشدّ أطماعاً وتوسّعاً من غيره.

¹ - ينظر أحمد درويش "الإستشراق الفرنسي في الأدب العربي، (المرجع السابق) ص 18 - 19.

مد والجزر خلف واقعا مريرا أثر سلبا على لغة وثقافة الكثير من الدول العربية حيث حاول المحتل إحلال ثقافة بديلة تنسجم وتوجهاته وتطلعاته، غايته في ذلك تغيير الفكر وتهجين اللسان العربي. " لقد عاش المسلمون في حالة حرب مع مجتمع لم يكن يدين بمعتقدهم وأبى الاعتراف بسيادتهم سرّا كان أو علانية. "1 إنّ مثل هذه العلاقة المتوترة يصعب معها حسن تصوير حقيقة الطرف الآخر (الغربي)، والإقرار بجهوده حتى ولو أحسّ بواجبنا إليه، واستفادتنا منه، ونهلنا من حضارته.

2 . الاستشراق الفرنسي والمخطوطات العربية:

أ- تفوّق مدرسة الاستشراق الفرنسي:

يعدّ القرن الثامن عشر فترة ازدهار وترعرع الاستشراق الفرنسي حتى قيل أنّ هذه المرحلة اصطبغت بصبغة فرنسية حين ظهر سلفستر ذو ساسي* وأصبحت باريس عام 1795م مزارا للمستشرقين يأتونها من مختلف أنحاء أوربا، واستمر الاستشراق الفرنسي عقودا من الزمن ظهرت خلالها شخصيات كان لها دور كبير في البحث والتنقيب والتحقيق في سائر الفنون العربية منهم: سلفستر ذي ساسي و لويس ماستون، رجيس بلاشير، ماكسيم رودنسون، جاك بيرل شارل بيلا وأندري ميكال وغيرهم.

و يرجع يوهان فوك* سرّ نجاح فرنسا و تفوقها في مستهل القرن العشرين إلى شجاعتها في خصوصية التفكير و رفض كل معتقد غيبي، و في تحليل التاريخ تعليلا نسبيا وتحرير الفكر الأوروبي من معتقدات الكنيسة السلطوية التي كبلت الدراسات العربية بقيود لاهوتية ممنهجة

¹ - يوهان فوك " تاريخ حركة الاستشراق . الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين"، نقله عن الألمانية عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي بيروت لبنان، ط 2 / 2001، ص 15.

* أنطوان سلفستر دو ساسي: (1253 - 1172هـ / 1758 - 1838 م) مستشرق فرنسي، لقبه عبد الرحمان بدوي "شيخ المستشرقين الفرنسيين"، مؤسس مدرسة اللغات الشرقية في باريس ورئيسها.

* يوهان فوك 1894 - 1974م مستشرق ألماني.

وفق توجهاتها¹ و هو بالطبع ما يخدم مصالحها التبشيرية و التوسعية. كما أنّها رمت بثقلها السياسية و الاقتصادية و العلمية في الشرق، و قد جعلت من مؤسساتها العلمية ميدانا لدراسة اللغات الشرقية و ذلك " بإنشاء ثلاثة كراسي للغات العربية و الفارسية و التركية في كل من باريس و مارسيليا."²

وقد تضاعف عدد هذه الكراسي، و شملت لغات أخرى كالقروايتية و المالوية وغيرها من اللغات، تولاهها أساتذة ذوا خبرة و إلى جانب التعليم بهذه اللغات، فقد كان الطلبة يتلقون دورسا في السياسة و الاقتصاد.

والحقيقة أن تغير الموقف الفرنسي لا يعني البداية الأكيدة والتوجه الحقيقي نحو الدراسة الموضوعية و الجدّية التي لا يخامرها شك في صدقها ونزاهتها خصوصا، لأن النظرة التوسعية استمرت بعد المرحلة اللاهوتية و حتى حملة نابليون وبعده، وإن بدت للبعض علمية بما حملت من وسائل واهتمامات.

ب - مدرسة الاستشراق الفرنسي المخطوطات العربية:

يرجع اهتمام الفرنسيين بالمخطوطات العربية إلى سقوط طليطلة إحدى معاقل الدولة الإسلامية في الأندلس، مما شجّع كثيرا من الفرنسيين في البحث عن المؤلفات والمخطوطات العربية لترجمتها والاستفادة منها على نحو ما فعل ريمون لول Ramon Llull الفرنسي و زاد هذا الاهتمام مع الحروب الصليبية والتي كانت بمثابة نقطة صدام بين الشرق والغرب كما أشرت سابقا، وما انجر عنها من استيلاء الغرب على كثير من المخطوطات العربية وقد أشار إلى ذلك أسامة بن منقذ (1095-1188) في كتابه "الاعتبار" حين استولى الصليبيون على كتب كانت في حوزته رفقة أهله وهم في رحلة من مصر إلى الشام يقول: "فهوّن علي

¹ - ينظر يوهان فوك " تاريخ حركة الاستشراق . الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين " (المرجع السابق)، ص 141.

² - المرجع نفسه، ص 141.

سلامة أولادي وأولاد أخي وحرماننا ما ذهب من المال، إلا ما ذهب من الكتب، فإنها كانت أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة فإن ذهبها حزاة في قلبي ما عشت"¹.

مدرسة الاستشراق الفرنسي - كما لا يخفى - هي إحدى أهم مدارس الاستشراق التي ارتبطت بالدول العربية، روابط كانت في معظمها كولونيالية تهدف إلى تحصيل اقتصادي توسعي نفعي، ومعرفة كونية لدول الشرق خاصة والإسلام عامة، وإن سلفستردى دي ساسي الذي ذكر سابقا يعد من الرواد الأوائل الذين وضعوا أسس الاستشراق الحديث، وقد ألمَّ بمختلف لغات الشرق كالسريانية والكلدانية والسومرية والعبرية والعربية والآثيوبية، وكونه أستاذا للغة الفارسية في كولييج دو فرانس (college de France)² فقد كان له دور كبير في تكوين وإعداد نماذج استشراقية فرنسية وغربية، وكان له نشاط حافل طيلة حياته العامة المخارقة للعادة.

لقد نبه طيلة نصف قرن في جريدة العلماء والجريدة الآسيوية إلى كل ما كتب حول تاريخ الشعوب الإسلامية وقيمه وصححه أحيانا، وكمله واكتشف مجاهل المخطوطات العربية والوثائق العربية في الأرشيفات وأبلغ عالم العلم والمعرفة مما عثر عليه"³ في نظر دنيال ريغ و الكثيرين.

لكننا عندما نقلب صفحات هذا الرجل المشرقة بما يوسمه هؤلاء نجده هو من ترجم نشرة نابليون بونبارت التي ألقيت على مسامع المصريين لحظة دخوله مصر، وأنه كان وراء البيان الذي ألقى على الجزائريين غداة احتلال فرنسا للجزائر حسب ما ذكره أبو القاسم سعد الله في موسوعته "تاريخ الجزائر الثقافي".

¹ - أسامة بن منقذ "الاعتبار"، تحقيق فليب حني، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1/1927، ص 25

² - كولييج دو فرانس: معهد لتعلم اللغات في فرنسا نسبه إلى فرنسوا الأول (1494-1547)، اهتم بدراسة اللغات الشرقية المختلفة.

³ - دانيال ريغ "رجل الاستشراق. مسارات اللغة العربية في فرنسا"، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط/2008 نقلا عن كتاب

وليم ماوسيه 1938، ص. 84.

انتشرت حرفة الترجمة والتأليف وازدادت الحاجة إلى البحث عن مؤلفات جديدة ليتم الاستفادة منها، وقد ذكر أحد المستشرقين أن بعض هذه المخطوطات تم شراؤها من الدولة العثمانية وغيرها من البلاد العربية لملء المكتبات الفرنسية العامة والخاصة.

ويرى روبر متران أن فرنسوا الأول عرف كيف يتفهم ضرورة الاطلاع على العالم التركي وفوائد التعرف عليه وعلى العالم العربي الاسلامي بشكل أعم من خلال عقد مع السلطان سليمان القانوني بموجبه يتم التعرف على العالم التركي وبالطبع العالم العربي الذي كانت تشده صلة وطيدة به، الأمر الذي أدى إلى إنشاء الكلية الملكية الفرنسية ثم المكتبة الوطنية.

الكلية التي عُهد إليها دراسة اللغات الشرقية، " استمرت الدروس في الكلية الملكية فترة طويلة جدا وظلت المكان الوحيد الذي يمكن فيه تعلم هذه اللغات، والتعمق فيها، فكانت بذلك نقطة الانطلاق للاستشرق الفرنسي كما اعتبر ذلك فيما بعد."¹

أما عن التراث و المخطوطات العربية التي كانت تعجّ بها العاصمة التركية والبلاد العربية الشرقية فقد "سمحت الكلية الملكية في باريس في الفترة عينها، بالحصول على مخطوطات شرقية والمحافظة عليها، بحيث مازالت تشكل حتى اليوم مجموعة من أغنى مجاميع المخطوطات الشرقية لا سيما بعد أن أصبحت المكتبة الوطنية الوحيدة في فرنسا"²

لقد كثرت المخطوطات العربية في المكتبات العامة والخاصة في فرنسا في القرن الثامن عشر مثل مكتبات لويس الرابع عشر وكولبير ومازاران وجالون وقد وصل عدد هذه المخطوطات سنة 1828م إلى 1682 مخطوطة، ومع تزايد الإحساس بأهمية هذه المخطوطات

1- روبر متران " الاستشراق الفرنسي أصوله، تطوره، آفاقه"، ترجمة د/ يوسف حبي " الاستشراق " سلسلة كتب الثقافة

المقارنة، أعظمية بغداد، العراق، العدد الثاني شباط 1987، ص.33

2- المرجع نفسه، ص 33.

فكر لويس السادس عشر فيما بعد في مشروع طموح يهدف إلى ترجمة كل هذه المخطوطات العربية إلى الفرنسية لكنه مات قبل أن يحقق خطته¹.

يبدو أن فرنسا في هذه المرحلة كانت تحرص على جلب أكبر عدد من المخطوطات العربية للاستفادة منها بأيّ وسيلة كانت ولو باستغلال الظروف التي كانت تحيط بالعالم العربي والإسلامي يومئذ.

3 . ريادة الاستشراق الفرنسي للدراسات العربية:

تعتبر فترة احتلال البلاد العربية والإسلامية نعمة على الدول الغربية خاصة فرنسا في مجال جمع المخطوطات باعتبارها أكثر الدول الغربية توسّعا و نفودا في المشرق والمغرب العربيين. "فقد نجح قنصل فرنسا في مصر "أسلان دي شرفيل" وحده أن يجمع 1500 مخطوطة، وكذلك فعل شارل شيفر من خلال موقعه في السفارة الفرنسية في اسطنبول فأهدى للمكتبة الوطنية بباريس la bibliothèque nationale مجموعة كاملة من المخطوطات العربية والفارسية والتركية ما تزال تحمل اسمه حتى الآن..."² و لم يقتصر الأمر على التهافت المتزايد على الكتب العربية بل تعدّاه إلى القيام برحلات، و وصف للمدن العربية، وتتبع أحوال سكانها وثقافتهم.

ريادة الاستشراق الفرنسي للدراسات الشرقية في مختلف فروعها يرجعه البعض إلى اهتمامه بالتراث العربي و "احتكاكهم المتواصل بالبلدان العربية، ومكوث بعضهم (المستشرقين) في هذه الدول ردحا من الزمن، ومولد آخرين بها... (وأنّ) السبب الأهمّ هو حصولهم على عدد كبير من المخطوطات التي لا تزال المكتبات الفرنسية تزخر بها إلى الآن."³

¹ - أحمد درويش " الاستشراق الفرنسي والأدب العربي" المرجع السابق، ص 22.

² - المرجع نفسه، ص 22.

³ - رمضان حينوني "الأدب العربي القديم في كتابات المستشرقين الفرنسيين". مجلة التواصل الأدبي (نصف سنوية محكمة)

تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)

العدد 5 ، ديسمبر 2015، ص163.

طبعاً كان ذلك بإيعاز من الخارجية الفرنسية، و مسؤولي المستعمرات في المشرق والمغرب.

قدم إدوارد سعيد وصفاً ممتازاً للمراحل المختلفة لهذا السياق القائم على استملاك الشرق الأوسط من قبل أعلام الاستشراق، بدءاً بالأوصاف والقصص وكتب الرحلات التي قدمها الأب لوماسكرييه والعمدة قولني والدكتور لين، حتى أعمال رينان وساسي وبالمر ودوزي وموير و كان التدخل المتزايد من قبل الفرنسيين والانجليز في شؤون السكان.¹ ورغم أننا نمقت مثل هذه التصرفات التي ذكرها إدوارد سعيد والمخالفة للطبع السوي، مع ذلك نقول "ربّ ضارة نافعة." و"لعل نشاط الجانب الأوروبي ودأبه على نبش الكنوز العربية والشرقية، كانا من الحوافز التي زادت من يقظة إخواننا العرب، وتحمسهم لهذا الإحياء إذ كان يرون أنهم أحق وأجدر.."².

إنّ كثيراً من هؤلاء المستشرقين درّسوا في المدارس والجامعات العربية وبعضهم انتسب إلى مجامع علمية ولغوية، وهذا الاحتكاك الدائم والمستمر بالفئة العربية و التراث العربي أدى بمعظمهم إلى التخصص في فنّ معين من الفنون أو في شخصية من الشخصيات التاريخية واشتغل بها نشراً وتأليفاً، وقد لمسنا ذلك في دائرة المعارف الإسلامية.

4 . الاستشراق الفرنسي الأكاديمي الحديث:

خطا الاستشراق الفرنسي خطوات كبيرة بفضل مؤسساته العلمية التي أنشأها منها كليات الدراسات الشرقية، أو المدارس الوطنية للغات الشرقية الحيّة، وسار المستشرقون

¹ - خوان غوتيسلو "في الاستشراق الاسباني دراسات فكرية"، ترجمة كاظم جهاد- نشر الفنك للترجمة باللغة العربية - الدار البيضاء - المغرب، دط/1997.

² - عبد السلام هارون "قطوف أدبية حول تحقيق التراث-دراسة نقدية في التراث العربي"، مكتبة السنة الدار السلفية لنشر العلم ط 9 /1 ع/م، 1988 ص 68-69.

الفرنسيون وفق منهجية صبغت الحركة الاستشراقية العالمية بصفة عامة، انصبّت حول التراث العربي جمعا و دراسة ، وانحصرت اهتماماتهم في المجالات التالية:

- تتبّع مواقع المخطوطات وجمعها في مراكز بحث جامعية أو في مكاتب خاصة.
- ترجمة النصوص الأدبية والتاريخية والجغرافية والعلمية وأمّهات الكتب ونشرها والتعريف بها .
- وضع المعاجم، والاهتمام باللّسانيات.¹

وهو ما أشار إليه هنري ماسيه حين تحدّث عن اهتمامات الاستشراق الفرنسي في الجزائر بقوله: " إنّ المجالات التي عاجلها المستشرقون في الجزائر، من خلال رحلتهم هي: المعاجم واللّسانيات، والمخطوط، والتاريخ والدين، وتحقيق وترجمة النصوص الأدبية والتاريخية والجغرافية والفقهية والعلمية، ثمّ الدراسات الأنثوغرافية والفلكلورية، وأخيرا الكتب المدرسية"².

- اهتمام الاستشراق الفرنسي كذلك بالأشكال السردية والشعبية منها خاصة أكثر من اهتمامهم بالشعر العربي بمعنى "أن المستعربين من الفرنسيين يولون عناية كبرى للأشكال السردية و يترجمونها ولهم حولها دراسات كثيرة تفوق بكثير دراستهم حول الشعر..³ وهم بذلك يختلفون عن غيرهم من المستشرقين، فالألمان مثلا كانت توجهاتهم منساقة أكثر نحو التراث اللغوي والشعري.

¹ - محمد بسكر "اصوات الشمال" اهتمامات الاستشراق الفرنسي وتوجهاته في المغرب العربي قراءة أمّودجية في التراث الجزائري - مجلة عربية ثقافية اجتماعية شاملة" إلكترونية جزائرية. الثلاثاء 21 ذو الحجة 1438 هـ الموافق ل: 11 سبتمبر 2017.

<http://www.aswat-elchamal.co>

² - أبو القاسم سعد الله " تاريخ الجزائر الثقافي" 1930. 1954، دار الغرب الاسلامي، ط1/1998، ص61

³ - محمد أمين "قراءة النص التراثي سؤال المنهج ومنطق الخطاب"، مجلة جذور " النادي الأدبي الثقافي بجدة - العربية -

السعودية العدد 37 شعبان 1435 هـ/ يونية 2014م ، ص 17.

وربما مرّد ذلك لقصور في فهم الشعر أو لصعوبة في فك رموزه أو لصعوبة في الترجمة "ذلك أن مكانه السرد في الأدب الفرنسي سواء تعلق الأمر بالرواية أو القصة أو غيرها، مكانة مقدمة على غيره من ضروب القول، بل إن الفرنسي عندما يقول إنه يقرأ كتاباً أو يكتبه دون أن يخصص موضوعه فالغالب أنه يقصد جنس الرواية."¹

ولعل ما يميز الاستشراق الفرنسي المتأخر هو الطابع الأكاديمي وتطبيقه للمناهج الحديثة بخلاف الاستشراق القديم الذي ميزه السطحية والارتجالية.

- ثمّة فروق بين مدرسة الاستشراق اللاتيني و المدرسة الأنجلوساكسونية تعود لطبيعة كلّ مدرسة ويمكن حصرها في مايلي:²

- المدرسة الفرنسية (اللاتينية) اعتمدت على الترجمة، بينما أهملت ذلك (الترجمة) المدرسة الألمانية (السكسونية).

- بنت المدرسة الفرنسية قواعدها على مجموعة من النصوص، بينما قام جهد المدرسة الألمانية على عدد متنوع من المصادر التي تنتمي إلى ميادين مختلفة، وما تزال المدرسة تُلحّ على اختيار نسخة واحدة إن وجدت نسخ متضاربة، و تعتمد واحدة منها مستبعدة التلفيق في النسخ.

- ومن الأمور التي توصي بها المدرسة الفرنسية في ظل تعدد وجهات النظر "ومع مواقف متزامنة هنا، وهناك لدى هذه المدرسة فإن فيها اقتراحات جيدة تقلل من شكلائية الجهاز التنفيذي التي لا فائدة منها من إثباتها في توجيه النص"³.

- أما بالنسبة للتفسير المطول للنصوص أو ما دس فيها وهو ليس من الأصل، ترى (هذه المدرسة) أنه إذا جاء التفسير لأحد النصوص طويلاً مسهباً فمكانه الصحيح هو الملحق

¹ - المرجع السابق، ص 17.

² - ينظر احسان عباس أوراق مبعثرة ص 250-251

³ - إحسان عباس: أوراق مبعثرة (المرجع السابق) ص 252.

كما توصي باستبعاد النصوص المدسوسة في المتن وتحويلها إلى الحاشية، وإذا كانت النصوص المدسوسة بالغة الطول حولت إلى الملحق كذلك...¹.

مدارس الاستشراق اختلفت في أحكامها لا ختلاف توجهاتها وميادين تخصصها و أحيانا لارتباطها بمصالح سياسية واقتصادية، فالمدرسة الألمانية مثلا نجدها أكثر المدارس موضوعية في طروحاتها، لماذا؟

أولاً: لم يكن لها نفوذ في البلاد العربية والإسلامية، فلم تحتل هذه البلاد.

ثانياً: معظم المستشرقين الألمان لم يرتبطوا بمؤسسات احتلال خاضعة لوزارة الخارجية وجهودهم كانت معظمها فردية، وإن كانت منضوية تحت لواء الاستشراق.

¹ - المرجع السابق، ص 375.

المبحث الثاني: بيلا وإسهاماته في الأدب العربي.

1- ترجمة شارل بيلا.

2- آثاره العلمية.

3- بيلا والمعجمية.

4- نشاطات بيلا وإسهاماته المتعددة.

المبحث الثاني: بيلا وإسهاماته في الأدب العربي.

1. - ترجمة شارل بيلا: ¹pellat charles

- مولده و وظائفه:

ولد في سوق أهراس (الجزائر) بتاريخ 28 سبتمبر 1914م وتلقى دروسه الثانوية في ثانوية ليتوني بالدار البيضاء، وحصل على البكالوريا الجزء الأول (1931) وعلى الثاني رياضيات (1932م)، ثم حصل على الليسانس في اللغة العربية من جامعة بوردو (1933-1935م) وشهادة العربية من معهد الدراسات المغربية العليا بالرباط (1935م) وشهادة التبريز من كلية الآداب بجامعة الجزائر (1938م). وإجازة الأستاذية أجريجاسيون* بالعربية، ثم الدكتوراه في الآداب بجامعة الجزائر (1938م).

تقلد شارل بيلا عدّة مناصب داخل وطنه وخارجه جعلت مساره المهني حافلا وثرنا منها:² "أستاذًا في معهد مراكش (1934-1935م)، و متبعا بوزارة الخارجية (1946-1947م) وأستاذًا في ليسيه لوى لي - جران (1946-1951)، وفي مدرسة اللغات الشرقية (1951-1956) وفي السربون (1956). ومديرا لقسم الدراسات الإسلامية في جامعة باريس - السربون (1972) ثم صار فيما بعد أستاذًا في معهد الدراسات الإسلامية الذي هو قسم من كلية الآداب بجامعة باريس رقم 03 واصبح مديرا لهذا المعهد. كما انتُخب عضوا في أكاديمية النقوش والآداب الجميلة فرع من فروع معهد فرنسا³.

¹ - نجيب الحقيقي "المستشرقون" الجزء الأول- دار المعرف- القاهرة، ط4، ص353 (بتصرف).

* أجريجاسيون كلمة معرّبة من (Agrégation) شهادة الأجرجاسيون في اللغة العربية، هي الشهادة التي التأهيل لتدريس اللغة العربية في المدارس الثانوية الفرنسية.

² - المرجع نفسه ص 353.

³ - عبد الرحمان بدوي "موسوعة المستشرقين" دار العلم للملايين للترجمة والنشر والتأليف ط3/1993، ص 117.

كما عُين مدير لدائرة المعارف الإسلامية في نشرتها الفرنسية (1965م)، وعضواً في مجمع علوم ما وراء البحار (1973)، وفي مجلة الإسلام والعصر الوسيط الصادرة في دلهي باللغة الإنجليزية (1970م).¹

يبدو أن تعدّد نشاط بيلا واسهاماته والتزاماته خارج فرنسا جعله كثير التنقلات في البلاد العربية والإسلامية و الأجنبية، فقد انتدب لبعثات علمية وإلقاء دروس ومحاضرات (معظمها بالعربية) في السنغال وموريطانيا والمغرب وتونس وليبيا والأردن وسوريا والعراق والعربية السعودية، والهند وباكستان، ثم إلقاء دروس بجامعة برستون². كما أشرف على أطروحات الدكتوراه في العديد من الدول العربية كأطروحة المغربي حسن لمنيعي بجامعة السربون سنة 1970م حول المسرح المغربي وقد طبعها مؤلفاً تحت عنوان "أبحاث في المسرح المغربي" سنة 1974م، و الذي عدّه البعض في الأوساط الأدبية الغربية رائداً للمسرح المغربي الحديث. كما حُظي باهتمام العديد من الهيئات الأكاديمية في الشرق والغرب "اختارته أكاديمية اللغة العربية للهند كمراسل لها في أوروبا نظراً لإمامه باللغة العربية³، ونال عديد الأوسمة من تلك الهيئات. توفي شارل بيلا فجر يوم الأربعاء 28 أكتوبر سنة 1992.

2 . آثار بيلا العلمية:

انصب جلّ اهتمام بيلا العلمي في دراسة الجاحظ ومؤلفاته وصرف له معظم حياته⁴.

¹ - نجيب العقيقي "المستشرقون" ص 351.

² - حورية الخميليلي "ترجمة النص العربي القديم وتأويله عند رجيس بلاشير" - الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت لبنان ط1/1431هـ - 2010م، ص:

³ - نقلاً عن تقرير ندوة 30 أكتوبر 1992 حول حفل تأبين الأكاديمي شارل بيلا، إلقاء رئيس الأكاديمية الفرنسية جاك مورفان Jacques Mourfin في 20 أكتوبر 1992.

⁴ - عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط3/1992، ص 117.

أ/ فقد كرس له رسالتي الدكتوراه، والكبرى منها عنوانه: "الوسط (العلمي) في البصرة وتنشئة الجاحظ."*

ب/ كتب عنه خلال حياته العلمية العديد من الدراسات كما نشر بعض رسائله. ومن الدراسات الجزئية:

- "الجاحظ في بغداد وسر من رأى" .." rso المجلد 27 روما سنة 1952م.
 - "الإمامة في مذهب الجاحظ" Studia islomica، ج15، باريس سنة 1961م.
 - "ردّ الجاحظ على النصارى" St. islomica ج 31، باريس 1970م.
 - "الجاحظ ومذهب الخوارج" folia orientalia، ج15، فرسوييا سنة 1970م.
 - "الجاحظ والأمم المتحضرة والعقائد الدينية" "المجلة الآسيوية 18"، عدد 255، باريس 1973م.
 - "الجاحظ والهند"، (الكتاب التذكري المقدم إلى بارينغا في سن الثمانين، لندن سنة 1974م).
 - "تنويعات على موضوع الأدب" (France d'Orients corespond 5.6) بروكسل سنة 1965م.
 - "عبادة معاوية في القرن الثالث الهجري" وهي دراسة على أساس نص للجاحظ Mica Stidia Isla ج6، باريس سنة 1956م.
- ساهم بيلا في إثراء دائرة المعارف الإسلامية واختصّ بكلّ ما تعلّق بالجاحظ، كما حقق

* le milieu basarien et le formation de gahiz, paris 1953

- بعض رسائله كما أشرت من قبل - منها:¹
- "كتاب الترييع والتدوير" أو ما عرف برسالة الترييع والتدوير في دمشق سنة 1955م.
- "تصويب علي في تحكيم الحكمين" (مجلة المشرق سنة 1953م).
- "رسالة في نفي التشبيه" مجلة المشرق سنة 1953م.
- "القول في البغال" (القاهرة سنة 1955م).
- وترجم إلى الفرنسية "رسالة في النابتة" أو أنصار بني أمية «(نشر الترجمة في مجلة AIEO الجزائر سنة 1952م).
- "كتاب التاج" المنسوب إلى جاحظ.
- وله إسهامات في العمل الموسوعي والمعاجم العربية منها أنه كان من المشرفين على دائرة المعارف الإسلامية كما أشرت، وتولى مادة الجاحظ في هذه الموسوعة. "دائرة المعارف الإسلامية التي صدرت في أربعة أجزاء، وأردف بها ذيلًا، وبُدئ بطبعها في ليدن سنة 1913م لتنتهي عام 1943"²
- أمّا ما تعلق باللغة والأدب العربي وقد مارسهما خلال تدريسه في المدارس والمعاهد والجامعات فله دراسات متعدّدة ومهمّة منها:³
- "اللغة والادب العربيان" باريس 1952، 224ص.
- "الشاعر ابن المفرج وإنتاجه" دمشق 1957 مستخلص من Melanges Massioin، ص (195 - 232).

¹ عبد الرحمان بدوي "موسوعة المستشرقين" (المرجع السابق) ص 118

² - جان سوفاجيه "رائد التراث العربي" اقتبسه صلاح الدين المنجد، دار العلم للملايين، دع ط/1943، ص9. (وهو مسرد نقدي جامع لكل ما ألفه علماء المشرقيات عن التراث العربي في مختلف العصور والموضوعات) -

³ - عبد الرحمان بدوي "موسوعة المستشرقين" (المرجع السابق) ص 118

- مدخل إلى اللغة العربية الحديثة باريس، سنة 1974¹ 250 ص.

- "اللغة العربية الحيّة" باريس سنة 1984م، 695 ص، وهو كتاب يجمع المفردات العربية تحت أبواب حسب المعنى. وله مسائل في النقد الأدبي، و له في علم الاجتماع الإسلامي "البصرة و طن الواقعية و العقلانية"¹

3 . بيلا والمعجمية:

ولادة بيلا ونشأته في بيئة عربية وإتقانه للعربية نطقا و كتابة مكّنه من البحث والتأليف فيها وفي لهجاتها، منها دراسات معجمية في لهجات شمال إفريقيا من بربرية وغيرها. ولشارل بيلا "معجم من تأليفه ضمّنه مفردات الأكثر استعمالا وشيوعا، ويحتوي على 2700 كلمة " قاموس عربي فرنسي على غرار معجم جون باتيست بولو (1822. 1904م). ورجيس بلاشير (1900. 1971 م) الذي ضمّنه المواد الثلاث: العربية والفرنسية والإنجليزية بالاشتراك مع مصطفى الشومبي وكلود دنيوزو (Denizeau)."² وقد أسهم بعد وفاة بلاشير في تحرير هذا الأخير أثناء طبعه.

كما ساعد كلّ من جوزيف شاخ و برنارد لويس في نشر الطبعة الجديدة من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.³

4 . نشاطات بيلا ومساهماته المتعددة:

تولى بيلا تدوين "مادة الجاحظ" في دائرة المعارف الإسلامية - كما أسلفت - و قد أثر عنه قوله في الجاحظ: "و كل ما نعلمه أنه (الجاحظ) عاد إلى البصرة بعد أن أصابه الفالج

¹ - ينظر نجيب العقيقي " المستشرقون " ج1. المرجع السابق، ص354،353.

² - ينظر بوشتي العطار " المعاجم العربية رؤية تاريخية تقويمية، منشورات جامعة شعيب الدكالي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء. المغرب. (بتصرف).

³ - ينظر نجيب العقيقي " المستشرقون " المرجع نفسه، ص359.

في جانبه وأنه توفي بها عام 255هـ أو عام 250 هـ وفي روايات أخرى أنه نيف على التسعين¹.

وله أعمال كثيرة وفي ميادين مختلفة منها: مشاركته في تأليف معجم اللغة البربرية وفي مجال الدراسات اللغوية واللهجات كما أشرت سلفا، وفي الأدب شعره ونثره، وفي الجغرافيا والرحلات والتاريخ والأديان والفرق شملت كتب ومقالات، ناهيك عن تحقيق المخطوطات العربية، وقد أحصي رصيده العلمي بخمسمائة واثنين وستين (562) ما بين كتاب وبحث تحقيق أو ترجمة، مما يدل على موسوعية هذا المستعرب. "وربما صرف شارل بيلا في دراسة وتعريب الجاحظ أكثر من أي اختصاصي عربي. وساعد جيلا كاملا من حملة الدكتوراه العرب من السربون، في مساعهم العلمي، وحقق - أجمل تحقيق - "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي. ووضع مرجعا عن "النثر العربي في بغداد" و "الأدب العربي في الأندلس والأدب العربي وقضايا الأدب المقارن."²

ولعلي أبادي تساؤلا طرحه الكاتب والصحفي اللبناني سمير عطا الله حين قال: "ولست أدري كيف تسنى لرجل واحد، عاش حياة واحدة (1914 - 1992) أن يأتي كل هذه الأعمال وأن تكون له هذه المساهمة في دراسة الحضارة الإسلامية بهذا الحجم، وإن لم أكن

¹ - شارل بيلا "مادة الجاحظ". دائرة المعارف الإسلامية

أصدر بالألمانية والإنجليزية والفرنسية و في الترجمة على العربية على الأصلين الإنجليزي والفرنسي يصدرها إلى العربية أحمد الشناوي-إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس- يراجعها من قبل وزارة المعارف د/محمد سعدي علام المجلد السادس دار الفكر 236 (دون طبعة و تاريخ الطبع) ص 238 .

² - سمير عطا الله "مستشرقون... آداب وإرهاب" - الشرق الأوسط جريدة العرب الدولية (إلكترونية) - السبت 4 رجب

1438 هـ، 1 أبريل 2017م رقم العدد 114004، ص1 <https://aawsat.com/home>

مخطئا أو مقصّرا، فإنّه كان أكثر المستشرقين الفرنسيين غزارة¹

لكنتي لم أتفاجأ كثيرا عند دراستي لمسيرة الرجل الذي ولد ونشأ ودرس في بيئة عربية وجمال في كثير من بدوها و حضرها، وتخصّص في لغتها، و درّسها و درّسها بين أهلها وغير أهلها، وأتقن عدّة لغات، و ثقّف عدّة لهجات عربية وبربرية مكنته من أن يُلمّ بثقافات حواضرها ويحاضر بلسانها واضطّلاعه بمسؤوليات ومهام لجهات رسمية أعانته على القيام ببحوث في مختلف البلاد العربية، إضافة لذلك أنّه كان يتمتّع بالإرادته و العزيمة وطول النفس، دون أن ننسى أنّه بالمقابل أنّ كان مدفوعا - ماديا و معنويا - من قبل الجهات الوصية بحكم ارتباطه و مسؤولياته. كتابه "حياة معرّب" " Une vie arabisante " أكثر تفصيلا لمسيرة هذا المستشرق.

¹ - المرجع السابق، ص1.

المبحث الثالث: شارل بيلا والمناهج الأدبية.

- 1- الاستشراق الفرنسي والمنهج التاريخي.
- 2- شارل بيلا دراسات في الأدب العربي.
- 3- بيلا و الدراسات اللغوية.
- 4- بيلا: دراسات ومتنوعة.

المبحث الثالث: شارل بيلا والمنهج الأدبية.

1. الاستشراق الفرنسي والمنهج التاريخي:

رَكَّز المستشرقون الفرنسيون على المنهج التاريخي في دراستهم للأدب العربي، ويؤكد المستشرق الألماني "يوهان فوك" أنّ أرنست ريتان (1833-1892) أول من مثل الاتجاه النقدي التاريخي من بين كل المستشرقين الفرنسيين، وتحت تأثير مؤلفات مدرسة توبنجن، ألق عن خطّته في أن يصبح رجل دين، وانبرى لدراسة الشرق وتاريخ الكنيسة.¹ ورينان كما هو معروف تبّى اتجاه تين في تفسيره للمنهج التاريخي، الذي ينطلق من العناصر: البيئة والجنس والعصر. وجعلها منطلقاً لحكمه السلي على الجنس السامي، ويبدو أنّه " قد وضع في مدخل رسالته الشهيرة (ابن رشد وفلسفته) (1855) النقد التاريخي، وفي الانتصار على أسلوب التأمل العقائدي، و من خلال المنهج النقدي تكشّفت له سمة عصره، وبذلك حلّت الصيرورة والحركة والتسبة محلّ الكائن والجامد والمطلق"²

صدر لرنان عام 1853م أهمّ كتاب في مجال الدراسات التاريخية "التاريخ العام وقواعد مقارنة اللغات السامية" وطبعته الثالثة كانت سنة 1863م، وله مؤلف ضخّم شمل دراسات حول الحلاج. ويرى يوهان فوك أن هذا المستشرق "حقّق بأسلوبه السلس وطرافته نجاحاً باهراً، وإن اعتمد في أغلب الأحيان نتائج تستند على تعميمات من التأمّلات المختلفة التي لا يركن إليها. وهكذا فقد منح الساميين استعداداً متميّزاً للتوحيد، وانساق على عادة الكثير من معاصريه بسبب الأحوال السائدة في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، خلف الاعتقاد بأنّ الإسلام لا مستقبل له."³ هذا الطرح الاستشراقي أُريدَ به تكريس النظرية التّينية

1- يوهان فوك " تاريخ حركة الاستشراق " الدراسات الغربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي - بيروت لبنان. ط2/2001 - ص 207.

² - المرجع نفسه، ص 207.

³ - المرجع نفسه ، ص 207

لأنّ التعميم الذي سقط فيه رينان أو تعمّده قد أحال الكثير من آرائه التعسّفية التّمييزية إلى ركام، لم يرضاه العقل العربي والغربي في زمانه ، ولا يحقّق التعايش السلميّ ويجيد بالبحث العلمي عن جادّة الطريق، وهو ما عبّر عنه "رجاء الله جارودي" بالنمو العربي الأحادي وغايته السيطرة على الشرق.

واهتمام المستشرقين الفرنسيين بالمنهج التاريخي في وقت مبكّر ارتبط بالتطوّر المعرفي أي النهضة التي عرفتها فرنسا، وما أفرزته من رواد سبق ذكر بعضهم في المنهج التاريخي، كما ارتبط بالقوة التي صنعتها هذه المعرفة فيما بعد، وهو ما أكّده إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق - المعرفة، السلطة، الإنشاء" في حديثه عن "الاستشراق الأنجلو فرنسي".

2 . شارل بيلا: دراسات في الأدب العربي:

أ- كتاب تاريخ اللغة و الآداب العربية: *Langue et littérature arabes*

يعتمد شارل بيلا المنهج التاريخي في معظم دراساته حول الأدب العربي، ويبدو ذلك جليا في كتابه "تاريخ اللغة والآداب العربية" من خلال تقسيمه الأدب حسب الحقب الزمنية أو حسب العصور، وهو مسلك دأب عليه معظم المستشرقين، ونخص منهم بالذكر الفرنسي رجيس بلاشير الذي حاول أن يربط بين تطوّر المجتمعات والوقائع الأدبية مخالفا للمستشرق الإنجليزي جيب الذي سلك منهجا إقليميّا زمنيّا. وكارل بروكلمان* *Carl Brockelmann* الألماني الذي يعدّ كتابه "تاريخ الآداب العربية" إحصاء وفهرسة للمخطوطات و المطبوعات العربية، ومواقع تواجدتها في مكتبات العالم وليس دراسة للأدب العربي كما يتوهّمه البعض من خلال العنوان. و أرخ للأدب العربي المستشرق الإيطالي كارلو نلليانو* *Carlo Alfoso Nallino* وكذلك فعل أندري ميكال فيما بعد متأثرا بأستاذه بيلا سائرا على خطى منهجه في تقسيمه للأدب حسب العصور، وعنهم أخذ معظم المؤرخين العرب في العصر الحديث.

* كارل بروكلمان (1868 - 1956) في مدينة روستوك الألمانية عرف بكتابه المشهور تاريخ الأدب العربي.

*كارلو ألفونسو نلّينو (1357 - 1288) هـ / 1872 - 1938 م مستشرق إيطالي.

ويرى مصطفى صادق الرافعي أن تلك العصور إذا صلحت أن تكون أجزاء للحضارة العربية التي هي مجموعة من الصوّر الزمنية لضروب من الاجتماع وأشكاله، فإنّها لا تستقيم بوضعها أبواباً لتاريخ آداب اللغة العربية التي جعل منها القرآن الكريم لغة إعجاز وبؤأها مبدؤ الخلود والرقّي والكمال.¹

وعن إسقاط المناهج المتبعة في الآداب الغربية على الأدب العربي ، أو قياسه وفق مقاييس أجنبية يقول: " إنّ تاريخ الأدب العربي ليس فنّاً من الفنون العملية التي يحدو فيها الناس بعضهم حدو بعض، ويأخذ الآخر منها ما أخذ الأوّل، وتتساروق فيها الأمم على وضع واحد، لأنّها لا تتغير على الجملة في تعرّف مادتها وتصرّف أداؤها حين يتعيّن علينا أن نجعل آداب لغتنا على آداب اللغات الأعجمية"². فالتاريخ في نظره ينبغي أن يُقرن بالحوادث لا بالزمن، " لأنّ تاريخ كل أمة يجب أن يكون مفصلاً على حوادثها الأدبية،"³ وتغير الزمن طبيعة الوجود، والحوادث تتغير، تعظم وتصغر، وفي ذلك تجدد التاريخ، والأمة التي لا حوادث لها ليس لها تاريخ.

وتقسيم العصور إلى عصور ازدهار وعصور انحطاط إنّما هو أسراف وسوء تقييم "فالممتنع حركة ذلك الفكر العربي، في عصوره المختلفة، يروعه ذلك الحشد الهائل من العلماء وطلاب المعرفة...، أمّا حركة العقل العربيّ من حيث هي فلم تحمد جذوتها، ولم تسكن حدّتها بتغيّر الحكام، وتبدّل الأيّام."⁴ والتفاوت النسبي من عصر لآخر لا أحد ينكره، بدليل ما ذكر محمود الطنّاحي أنّ القرنين السادس والسابع شهدا أعنف الهجمات الصليبية على الأمة العربية الإسلامية ومع هذا وُجد كبار العلماء والمفكرين في تلك الفترة.

¹ - مصطفى صادق الرافعي "تاريخ آداب العرب" دار ابن الجوزي للطبع والنشر و التوزيع، القاهرة، ط1/2010م ص 109.

² - المرجع نفسه، ص 10.

³ - المرجع نفسه، ص 10.

⁴ - محمود محمد الطنّاحي " مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة في التصحيف والتحريف " مكتبة الخانجي

بالقاهرة، ط1/1405هـ - 1984م، ص 20.

أرخ شارل بيلا في كتابه السالف الذكر للغة والأدب العربي بدءاً بالعصر الجاهلي وانتهاءً بالعصر الحديث أو ما أسماه عصر الانبعاث، تحدث فيه عن الشعر والنثر الأدبي والفني والكتاب اشتمل على علوم أخرى منها العلوم الدينية والفلسفة والتاريخ، وفن الرحلة والجغرافيا وغيرها من العلوم التي لازمت الحضارة الإسلامية في أوج عطاءها وازدهارها.

جمع شارل بيلا في كتابه السالف الذكر بين اللغة والأدب، قال عنه رجيس بلاشير في مقدمة كتابه "تاريخ الأدب العربي" بعد أن ساق أهم المؤلفات التي أرخت للأدب العربي قبل بيلا: "كتاب (اللغة والأدب العربيين) للسيد بلات Pellat الذي جمع أول مرة بين قضيتي اللغة والأدب، وهما قضيتان لا يمكن فصل إحدهما عن الأخر.¹"

أراد الكاتب بعمله هذا أن يعرف بصفات اللغة العربية وتطورها، و يقدم لوحة مجملية عن الأدب بإعطاء الأهمية الأولى للمؤلفات قبل المؤلفين، وقد حرص فيه على التعريف بتطور أساليب التعبير والأنواع الأدبية، مختصراً كل الاحتصار في ترجمة الأعلام، ومتجنباً أن يصبح عمله مجرد قائمة من القوائم.

والذي يجب تأكيده أنّ عمله هذا يعتبر دراسة تاريخية عامة، وليست ميدانية تطبيقية

و جاءت مقتضبة في كثير من جوانبها، لأن اللغة والأدب العربي لا يسعهما كتيب بحجم تأليف شارل بيلا. وللمؤلف اهتمام بالتطور الذي طرأت على اللغة العربية منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث ويرى أن كتب الأدب العربي تغافلت عنها.

لا ننكر - حقيقة - ما في الكتاب من فائدة فقد احتفى كاتبه بالعربية و الأدب و أعلامه، لكننا نجد أنفسنا أمام قضايا أثارها تستوقف كل ذي لب، وتستوجب إعادة النظر فيها حتى وإن كان يكتب للغرب لا للعرب طالما أنه يؤرّخ لأدبنا العربي ولغتنا الجميلة.

2 - رجيس بلاشير "تاريخ الأدب العربي" ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار الفكر دمشق سوريا ط/1419هـ . 1998م

مناقشة بعض طروحات الكتاب: الكتاب كما أشرت على ما فيه من مادّة تاريخية إلا أننا نصطدم أحيانا مع قضايا يحاول الكاتب ليّ أعناقها وفق رؤيته الخاصّة، ومن ذلك ما أوردها لنا عبد الفتاح كليطو في كتابه "لن تتكلم لغتي" فهو يقول أي بيلا عن كتاب الوزيرين للتوحيدى إنّه "كتاب هجاء تذكر بعض صفحات بلا بروبير".¹ أما كتاب (الساق للساق)* فهو "نقد لمجتمع الشرق الأدنى متأثر برابلي"²

يقول عبد الفتاح كليطو " كيف نفسر هذه الإحالات على الأدب الفرنسي؟ قد يقال أنّ شارل بيلا ينهج هنا سلوكا تعليميا، فهو يخاطب قارئاً عاماً، لا إمام له بالأدب العربي ومن الضروري أن يقدم إليه مالا يعرف من خلال ما يعرف"³

وفي حديث شارل بيلا عن رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ما يثير العجب فعلا عندما يقول عنه: "مثير للاهتمام لقربته من الكوميديا الإلهية." فالأمر يختلف كما قال كليطو إذ المقارنة هنا تتعدى الهدف البيداغوجي لتتحول إلى حكم قيمة، ليست رسالة الغفران مهمة في حد ذاتها و بمزاياها الخاصة، وإنما بفضل شبهها مع الكوميديا الإلهية، ثم يعقب على ذلك كليطو بقوله: " لا أحد ينكر أوجه الشبه بين الكتابين، ولكن أن يكون هذا العنصر هو ما يجعل كتاب المعري مثيرا"⁴ فهذا عجب عجاب.

ثم يطرح كليطو تصورا حكيما إيجابيا لا يتم إلا على احترام أدب الغير أو الطرف الآخر، يخالف طرح بيلا "لنتصور لحظة أنّي أقدم كتاب دانتي إلى قراء عرب لا يعرفونه

¹ - عبد الفتاح كليطو "لن تتكلم لغتي"، "دار الطليعة للطباعة والنشر" بيروت - ط1/ 2002، ص 19.

* "الساق على الساق فيما هو الفاريق" صدر في باريس عام 1855 لأحمد فارس الشدياق (1804-1887م) ماروني لبناني.

² - عبد الفتاح كليطو "لن تتكلم لغتي نقلا عن اللغة وآدابها (بالفرنسية) ص 139

³ - عبد الفتاح كليطو "لن تتكلم لغتي" المرجع السابق، ص 20.

⁴ - المرجع نفسه، ص 20.

هل من اللائق أن أقول: إنه مثير للاهتمام لقراءته من رسالة الغفران؟ لوفعلت هذا لنفيت فرادته وأهميته وصار وجوده عرضياً، أو وجوده بغيره لا بنفسه.²

ونحن نقول بالإضافة إلى الحقوق الفردية وأهمية المؤلف، بيلا في طرحه هذا يتجاوز العامل الكرونولوجي (الزماني) المرتبط بالأسبوعية، وكل محاولات سابقة تعتبر إرهاصات رائدة وإن اعترافها هفوات، و رسالة الغفران سبقت الكوميديا الإلهية لا مرأى ولا جدال في ذلك ومسألة تأثير وتأثر حُسمت مند مدّة، وقد حسمها الإسباني المستعرب إميغيل آسين بلاثيوس¹ في " كتابه أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية،" كما يعود الفضل فيها كذلك لمحمد بن أبي شنب الذي سبق الناطقين بلغة الضاد في مجال المقارنة بين رسالة الغفران لأبي العلاء المعري والكوميديا الإلهية لدانتي الإيطالي وإثبات تأثر الثاني بالأول، وذلك سنة 1919م وهي سنة اشتداد المناقشات الفكرية بين الرسالتين وعلاقة التأثير والتأثر، حيث أثبتتها قبل أن يتناولها فيما- بعد بالدراسة - قسطاقي الحمصي ومحمد مندور ومحمود الخضير، على حدّ قول ريد زيتيانو أستاذ الأدب العربي بجامعة باليرمو سابقاً.

وبالتالي أثبت أحقية وأسبوعية الهوية العربية الإسلامية على الغربية في وقت كان الغرب يسعى إلى طمس معالمها دينياً وثقافياً وسياسياً.

ومع ذلك فقد يُؤتَى "دانتي" من الجدّة والفنية الأدبية ما لم يسعف أبي العلاء بحكم الزمن والتطور، لكن يبقى مدين لأبي العلاء لأسبقيته في ظهور رسالة الغفران. ولا شيء هنا يسمّى المفاضلة أو المشابهة العكسية إن صحّ القول، إنّما هو تأثر أكيد، ولو قصد بيلا به المشابهة فالمشابهة عند البلاغيين تقتضي أن يكون وجه الشبه في المشبّه به أقوى منه في المشبّه وإلا فالتشبيه مقلوب، والمجال هنا ليس مفاضلة ولا مشابهة. ولا نرى بيلا إلا أنه عكس الآية للتمكين للشخصية الغربية و الفرنسية على حساب الشخصية العربية.

¹ - المستعرب إميغيل آسين بلاثيوس: أستاذ اللغة العربية في جامعة مدريد سابقاً صاحب كتاب " أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية".

المتتبع لطرح شارل بيلا في مسألة رسالة الغفران يلحظ أنه انطلق من خلفيات فكرية فرنسية يدفعها الولاء والمركزية، وهذا في حديثه عن الشخصيات الأدبية التي شرفت الأدب العربي وغير العربي عبر العصور ومقارنتها بشخصيات فرنسية وأوروبية في العصر الحديث.

وأقل ما يمكن قوله: " أن هذه المقارنة بين المعري ودانتي قد وهبت الحياة لكتاب المعري الذي لم يعره العرب القدماء اهتماماً يُذكر، فمعاصروا أبي العلاء ومن جاء بعدهم إلى بداية القرن العشرين لم يهتموا به، وهم يذكرونه بصفة عابرة ضمن قائمة مؤلفاته دون أن يتعرضوا لموضوعه أو يتطرقوا لجانب من جوانبه و بصورة عامة، فإن "رسالة الغفران"* لم تكن تتميز في نظرهم عن باقي رسائل المعري كرسالة الملائكة أو رسالة الإغريض ولم يحكموا عليها إيجاباً أو سلباً.¹

- عصر الانبعاث وحملة نابليون على مصر:

استهل بيلا الفصل الخامس (حركة انبعاث الأدب العربي مند 1800م) بالحديث عن حملة نابليون على مصر (1798-1799م) والتي كما قال: "كان لها من التأثير في حال البلاد العربية ما لا يقدر"² وقد أذكت في المصريين حب الاطلاع والإقبال الشديدين على العالم الغربي، وهو وأول ما يستوقفنا ونحن نستطلع هذه الفترة في الكتاب.

* أفضل تحقيق لهذه الرسالة نشرة عائشة عبد الرحمان " بنت الشاطيء" وقد استندت في تحقيقها إلى مخطوطات أهمها مخطوطة للشيخ الطاهر الجزائري السمعوني الدمشقي المولد والوفاء، مؤسس المكتبة الظاهرية في دمشق. وعضو الجمع العلمي السوري.

1- جهاد فاضل: " ما تأثير أبي العلاء على الغرب؟ رسالة الغفران «بين المعري ودانتي وملتن»: جريدة الرياض الأسبوعية ثقافة اليوم: الثلاثاء 27 رمضان 1436 هـ - 14 يوليو 2015م - العدد: 171 ص 1 .

www.alriyadh.com/106482

² - شارل بيلا "تاريخ اللغة والآداب العربية" دار الغرب الإسلامي بيروت ط1/1997، ص 235.

وهذا التوجه تأثر به كثير من الأدباء العرب، بحيث انطلقوا من أن نابليون كان أساس النهضة العربية الحديثة، و يرجع له فضل سبق في اليقظة التي شهدتها البلاد العربية في العصر الحديث ضارين بعرض الحائط كل محاولة سبقته.

يذهب حامد حنفي داود مذهب شارل بيلا إلى أن مصر كانت قبل الحملة الفرنسية في معزل عن الغرب، ومن بين ما أفادت منها: المطبعة وحروف الطباعة، والكتب المطبوعة والمنشورات والصحف، والتجارب العلمية في مختلف العلوم، والمسرح والتمثيل الذي كان الفرنسيون سباقين في مجاله وأصدرت الحملة نشرة باللغة العربية سموها (التنبيه) وهي أول صحيفة عربية صدرت في مصر على الإطلاق¹.

ويرى هذا الكاتب أنّ هذه المجلة كانت أشبه بالنافذة الواسعة التي أطلت منها مصر والشرق على معالم الحضارة والعلوم الحديثة التي أيقظت فيها موات النفوس التي تربيّت بها مند عهد الماغول، "ومنذ ذلك اليوم أخذت مصر وما انضوى تحتها من البلاد العربية تسعيد قوميتها وأمجادها في ثوب جديد يساير العصر الحديث."²²

ويستدلّ على ذلك بما ذهب إليه أحد المؤرخين الإنجليز Elgood من أنّ الاحتلال الفرنسي في مصر ترك أثرا لا يمحي فقد ظل المصريون معجبين بنابليون مند مغادرته البلاد، وظلت طرق الإدارة الفرنسية مهيمنة على حكومة مصر، وظلت عادات التفكير الفرنسية نفسها.

و إنّنا لنجد هذا الإعجاب أو الافتتان - حقيقة - متفشيا في أذهان كثير من المثقفين والأدباء العرب ممن انخدعوا ببريقها و اندفعوا يبتغون مظاهرها من أمثال: رفاة الطهطاوي في

¹ - ينظر حامد حنفي داود "تاريخ الأدب الحديث، تطوره، معالمة مدارسه" ديوان المطبوعات الجامعية ط 1983 / ص 18.

² - المرجع نفسه، ص 19.

كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" و عبد الرحمان الجبرتي في "عجائب الآثار في التراجم والأخبار"

لقد فنّد كثير من المؤرّحين والكتّاب ما ذُكر سابقا، من أنّ نابوليون أحضر معه الوسائل العلمية منها المطبعة لمصلحة بلده، لكن ما استفاد منها المصريون في شيء، يقول عنها محمود الطناحي نقلا عن معجم المطبوعات العربية والمعربة: "وكان نابليون قد جهّز مطبعته تلك بحروف عربية و فرنسية ويونانية، وطبع فيها إلى جانب المنشورات والأوامر، أمثال لقمان الحكيم، وبعض الرسائل في النصائح الطبية وغيرها، لم يزد على ذلك شيئا"¹، وبقي الحال بعد أن ارتدّ نابليون إلى وطنه خاسئا وهو حسير، واستمر الوضع في هذا البلد زهاء عشرين سنة وما فيه مطبعة إلى أن أنشأت المطبعة الأهلية على عهد محمد علي التي نقلت فيما بعد إلى بلاق وقد سمّيت بمطبعة بلاق أو الأميرية²

وهو ما يدلّ على أنّ المصريين لم يستفيدوا من المطبعة بعد رحيل نابليون لأنّه لم يخلّفها وراءه، وليس كما يتوهّمه البعض من أنّها استمرّت بعده، وأنّ هذه الحملة لم تكن علمية صرفه وإن بدت في ظاهرها كذلك.

إنّ حصر النهضة العربية في حملة نابليون اختزال لأشواط اليقظة الفكرية والتي ساهمت فيها عوامل كثيرة منها: حركة الاصلاح التي ظهر ملامحها في الأفق قبل حملة نابليون والتي تزعمها محمد بن عبد الوهاب (1703-1787)، حيث أثمرت ثلة من العلماء المصلحين منهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا (مصر) وعبد الرحمان الكواكي ورشيد رضا (سوريا) وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورائدها الشيخ عبد الحميد ابن باديس (الجزائر).

بيلا لم يُعر هذه الحركة أهمية كبرى في البداية، ولو أنّه استدرك بعد حين أثر تلك الحركة بقوله: "إلا أنه والحق يقال أن ندرك علامات تجديد قبل حملة بونايرت حين كان محمد بن عبد

¹. محمود محمد الطناحي "مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة في التصحيف والتحريف"، ص 31 - 32.

². ينظر المرجع نفسه، ص 32.

الوهاب (1703-1787م) يعد بالجزيرة مذهبا ينزع إلى التخلص من جميع مظاهر التجديد اللاحقة للقرن.¹ غير أنّ استدراكه هذا فيه نوع من الاحتقار لهذه الحركة التي تريد الرجوع إلى الماضي وبالتالي التأخر والتخلف، لا تمثل هذه الحركة في نظر بيلا سوى الرجوع إلى الماضي إذ يقول "وهو مجرد الرجوع إلى الماضي وبناء الإسلام على أصوله الأولى."²

يبدو أنّ بيلا ينقض أول كلامه بآخره، و هل يشيّد صرح بدون أساس؟ إنّ هذه الحركة تريد أن تضع الأسس المتينة لانطلاقة سليمة لهذه الأمة، حتى إذا واجهت تحديات قابلتها بعزم وثبات دون كلل أو ملل. ثمّ إنّ التجديد لا يُبنى من فراغ فلا بدّ أن ينطلق من التراث والثوابت، والأمة التي لا ترتبط بتاريخها كالشجرة التي اجتثت جذورها فهي معرضة للزوال في أيّ لحظة من اللحظات.

ورينان نفسه يقرر ويؤكد صفاء هذه الحركة حين يتساءل: "هل الحركة الوهابية رد فعل عن اليهودية و المسيحية؟ فيجيب بالتأكيد لا، مبررا ذلك بأن عقيدتها التوحيد أكثر نقاء و صفاء من الديانتين المذكورتين"³.

و لا يعني هنا أنه إذ أقر عقيدة التوحيد لهذه الحركة الإسلامية يرضاه كرسالة عالمية وهو الذي يتبنى فكرة العرقية وتفوق جنس الآري على السامي.

إن الرجوع إلى الماضي تجديدا في حد ذاته، فلا يُتصوّر تجديدا حقيقي دون الانطلاق من الماضي وتأصيله. "ففي كل مرة من تاريخ الإسلام الطويل شارك العنصر العربي وغير العربي في محاولة إبعاد الشوائب التي ربطتها الشعوب بالمعتقدات الإسلامية، كما حاولوا إعادة هذه المعتقدات إلى حقائقها الأولى كثورة الموحدين في بلاد المغرب، ومحاولات الوهابيين بشبه الجزيرة

¹ - شارل بيلا "تاريخ اللغة والآداب العربية"، ص 236.

² - المرجع نفسه، 236.

³ - محمد العربي معريش "الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الأسيوية، (1822-1872)" دار الغرب الاسلامي تونس ط1/2009، ص 225.

نقل عن: Renan nouvelles considération: J.A 1859 op cite p 215-216.

العربية¹ وغيرها من حركات البعث والإحياء التي قيّض الله لها رجالا أكفاء مذ عاشت هذه الأمة.

– **الأدب العربي و الفن القصصي الحديث:** لا شك أن الرواية العربية خطت خطوة جبارة في العصر الحديث بفعل التأثير بالرواية الغربية عن طريق الترجمة والتقليد والمحاكاة يقول بيلا: "إن الرواية والقصة والأقصوصة هي في الأدب الحديث إبداعات مهد لها تقليد الغرب غير أننا لم نعدمها في الصورة مخالفة منذ القرن الوسطى،"² لكن دون أن يبين مكانتها في التراث.

ولو تتبعنا مسار القصة التاريخي وجدناها متأصلة في الأدب مند القدم، بدءا بأيام العرب ومرورا بأحاديث ابن دريد، وما ذكره الجاحظ في الحيوان وابن المقفع في كليلة ودمنة، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري التي كان لها الأثر البالغ في الأدب الغربي، وكذلك قصة حي بن يقظان لابن طفيل، وكلها قصص تعتبر رائدة في زمانها وإن افتقدت لجانب من الجوانب الفنية للرواية الحديثة.

وقد يكون من العبث أن نحكم على تبعية القصة العربية للغرب دون معرفة كافية للتراث العربي والإسلامي، وما حواه من إرهاصات في هذا المجال.

وعن المقامة يقول: "ومن جهة أخرى فإن المقامة تتضمن جميع عناصر التمثيلية لكن لم يبلغ أي فنّ من الفنون غاية تطوره."³ فالمقامة مثّلت عصرها أحسن تمثيل من خلال الألوان الرائعة لبديع الزمن الهمداني، و محمد الحريري التي عكست قمة الترف الفكري واللغوي اللّذين شهدهما العصر، والظواهر الاجتماعية السّلبية لدى فئة من الناس، ليعود هذا الفنّ مجددا

¹ – محمد العربي معريش "الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية" المرجع السابق، ص 225.

² – شارل بيلا "تاريخ اللغة والآداب العربية"، ص 265.

³ – المرجع نفسه، ص 265.

في العصر الحديث ممثلاً "في مجمع البحرين" لليازجي ومقامات عيسى بن هشام للمويلحي هذا عن القصة و الرواية، و الأقصوصة و المقامة.

و بالتالي لا يمكن اختزال هذه الأشواط والانتقاص من تلك الجهود لأنها حملت روح عصرها، ومهدت الطريق نحو الرواية الحديثة بأنواعها المختلفة.

أما عن المسرح فخلافاً لذلك، يقول بيلا "وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى المسرح وهو مستورد من الخارج".¹ و يقول كذلك: "لقد كان في الغرب منطلق المسرح الحديث".² لا أحد ينكر أنّ المسرح نقلناه من الغرب عن طريق الاحتكاك و البعثات العلمية، والأشواط التي قطعها مبدعوه من ترجمة واتباع، ومحاكاة وتقليد وإبداع كبير جداً، غير أنّ المسرح العربي في كثير من البلاد العربية لم يجد طريقه بعد إلى الشهرة والعالمية إلى الآن.

لم يتأثر العرب من قبل بالمسرح الأجنبية، ولم يترجموا لأيّ منها، لجملة من الأسباب ذكرها المؤرخون، مع أن فنونا كثيرة تأثروا بها، وبعضها يونانية وإغريقية كالطب و الهندسة الفلسفة وأخرى من بلاد فارس كأنظمة الحكم، ومن هذه الأسباب:

- أنّ المسرح الإغريقي كان وثنياً.

- أنه يتطلّب استقراراً، ويحتاج جمهوراً، والعرب قديماً لم يعرفوا الاستقرار بل اعتمدوا

الحل والترحال.

- انشغال العرب والمسلمين بالفتوحات.

- اهتمام العرب بالشعر أكثر من غيره من الفنون، فلقد كان شغلهم الشاغل وللشاعر

قيمته في القبيلة، ولا يمكن أن تستغني عنه، ولهذا لا نجد أمة على مرّ العصور احتفت بالشعر كاحتفاء الأمة العربية به.

¹ - شارل بيلا "تاريخ اللغة والآداب العربية"، ص 265.

² - المرجع نفسه، ص 265.

ب – مقال: "تباين الآراء حول مفهوم الأدب عند العرب" بقلم شارل بيلا ترجمة أكرم فاضل - المركز الفلكلوري - بغداد.

تأخذ الألفاظ أحيانا دلالات محدّدة في زمان ومكان معيّنين، لكنّها سرعان ما يتغيّر ويتبدّل تبعاً لهذين العاملين كما تتغيّر العلوم وتتجدّد، وأحيانا ييلجأ الانسان إلى وضع معان لما جدّ من ألفاظ أو " أن ينقل ألفاظاً من معانيها اللافلة إلى هذه العاني الماثلة التي تدلّ عليها"¹ والظروف المحيطة به، كلفظ أدب الذي كثر الجدل حول مفهومه وماهيته، مدلوله وتطوّره وأدلى فيه المستشرقون بدلائهم.

ألقي شارل بيلا هذه محاضرة في بروكسل بدعوة من المستشرق أرموند لايبيل (label Armand)* البلجيكي حول مفهوم كلمة أدب بالعربية وتطوّر مدلولها عبر التاريخ.

ومن خلال البحث عن ترجمة المحاضرة اهدت إلى ترجمتين، الأولى بعنوان: " تباين الآراء حول مفهوم الأدب عند العرب" بقلم شارل بيلا ترجمة أكرم فاضل - المركز الفلكلوري - بغداد، والثانية بعنوان: تنويعات على معنى الأدب للمستشرق الفرنسي: شارل بلا. تعريب: رمزي رمضاني ناقد وأكاديمي من تونس.

¹ - شوقي حمادة " معجم عجائب اللغة . مواد ودقائق ومدهشات علمية وبتضمن الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية" . دار صادر بيروت . د ت ط، "، ص9.

* أرموند لايبيل(1903. 1973) Armand Frédéric Charles Valère Abel أستاذ الإسلاميات بجامعة بلجيكا.

وهي فرصة كما أشار بيلا لإحلال النظام في صفوف أفكار ما برحت مشوّشة، وقد رأي أنّ هناك طرّقا عدّة لتناول هذا الموضوع. وهو موضوع سبق وأن طرّقه المستشرق الإيطالي كارلو نلليو وغيره.

وعن اختياره الطريقة الأنسب لتناول الموضوع، يقول " سأختار الطريقة التي تسمح لي بسلوك الدرب الخلزوني، الملائم بعض الملاءمة، على كلّ حال، لنهج الأدب، وذلك بأنّ أتبّه صوب قلب المشكلة، حيث سنلاقي صديقي الجاحظ، وهو القطب الذي تدور حوله بشكل حاسم رحي الأدب على حدّ قول العرب " أمّا العلوم التي استعان بها في توضيح معاني المصطلحات التقنية للفظ الأدب هما علمي اللغة والدلالة.

وقد ارتكز شارل بيلا على الجاحظ أكثر من غيره في تفسير معنى الأدب ورغم مكانة الجاحظ في مجال الأدب، وقوته وعبقريته في إضفاء معانٍ قيّمة لمعنى الأدب إلا أنّه لا يمثّل إلا حلقة من حلقات تاريخ هذا الأدب، ولأنّ مفهوم الأدب أو ومدلوله ضارب الجذور في التراث العربي.

يروى عن ابن خلدون متحدّثاً عن علم الأدب: قوله سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربع كتب هي: أدب الكاتب لابن قتيبة، كتاب الكامل للمبرد كتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب الأمالي لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبّع لها وفروع منها . فلم يستثن ابن خلدون المؤرّخ الثبت الجاحظ، ولم يفردّه دون الثلاثة الآخرين.

بيلا انطلق في تفسيره لمدلول كلمة الأدب من دراسات المستشرق الإيطالي كارلو نلليو بعد أن أشاد بجهوده وقيمتها الأدبية، وجهود فولرس في تفسيرهما للكلمة، وكيف فسّرت انطلاقاً من الجاهلية التي عدّلت معناها من كلمة جمع في آداب، و " أدب " بدورها مأخوذة من كلمة " دأب"، ويرى بيلا أنّ طروحات نلليو لا تحتاج إلى إعادة النظر، إذ يقول: " فإنّ الفصل المدخلي لكتاب نلليو المنشور بالإيطالية ثمّ الفرنسية يحتفظ بكلّ قيمته، ولا يحتاج

إلى إعادة النظر في بعض نقاطه.¹ بينما يؤكد شوقي ضيف أنه لا يوجد دليلاً على أن كلمة أدب استُخدمت بالمعنى الخُلقي الذي ظهر بعد هذه الفترة.

وما افترضه نللينو من أن كلمة أدب مقلوب دأب، فقد جمع العرب دأبا على آداب وبتراً على آبار ورأيا على آراء، ثم عادوا فتوهّموا أن آداباً جمع أدب، فدارت في لسانهم كما دارت كلمة دأب بمعنى السنّة والسيرة ودلّوا بها على محاسن الأخلاق والشيم.

ويرى شوقي ضيف أن ما ذهب إليه نللينو فرض بعيد (بجانب للصواب)، وأقرب منه أن تكون الكلمة انتقلت من معنى حسّي وهو الدّعوة إلى الطعام إلى معنى ذهني وهو الدعوة إلى المحامد والمكارم، شأنها في ذلك شأن بقية الكلمات المعنوية التي تُستخدم أولاً في معنى حسّي حقيقي، ثم تخرج منه إلى معنى ذهني مجازي.

كما ذكر بيلا أن كلمة دأب وردت في القرآن الكريم بمعنى عادة، ديدن، و في الحديث الشريف " فإنه دأب الصالحين قبلكم"² بينما لفظة أدب لم ترد أو لم يعثر عليها في القرآن الكريم.

وكلمة أدب أخذت بعد ذلك معنى العلم، بينما بقيت كذلك إلى يومنا هذا دون أن تكتسب معنى تقني أو كما قال.

وقال بيلا: " ويلاحظ نللينو بعدئذ أن لفظ أدب في حالة الإفراد، يدقّ معناه، انطلاقاً من عهد بلوغ العرب درجة حضارة أرفع، وذلك لتعيين القواعد التي تسهم في تكوين أخلاقيات عملية لم يتضمنها القرآن ولا السنّة"³.

¹ - شارل بيلا " تباين الآراء في مفهوم الأدب عند العرب " ترجمة أكرم فاضل . مجلة المورد . دار الحرية للطباعة بغداد تصدرها وزارة الثقافة والفنون الجمهورية العراقية، مج8 - العدد1، ربيع 1399هـ . 1979م، ص129.

² - شارل بيلا " تباين الآراء في مفهوم الأدب عند العرب " ترجمة أكرم فاضل . (المرجع السابق) العدد 1، ص129.

³ - المرجع نفسه، ص 130.

والحقيقة أنّ كلمة دأب وردت في القرآن الكريم، وفي قوله تعالى: ﴿مَثَلُ دَابَّهِ قَوْمٍ نُورِجٍ وَنَمَادٍ وَتَمُودٍ﴾* بمعنى: فَعَلْ ذَلِكَ بِكُمْ فَيُهْلِكُكُمْ، "﴿مَثَلُ دَابَّهِ﴾" مثل سُنَّتِهِ فِي ﴿قَوْمٍ نُورِجٍ وَنَمَادٍ وَتَمُودٍ﴾ [وَفَعَلِهِ بِهِمْ]"¹

يرى بيلا أنّ معنى الأدب بالمنظور الواسع ينتشر على ثلاثة أصعدة وهي:

1. الصعيد الأخلاقي.

2. الصعيد الاجتماعي.

3. الصعيد الثقافي.

هذه الأصعدة متداخلة ولا حدود واضحة بينها لارتباطها بما تحويه من أسس متأصلة في المجتمع.

و "يتألف محتواها من قواعد السلوك الموروثة عن الأجداد عربا كان هؤلاء أو فرنسا أو حتى من الروم."

استوقفتني هنا عبارة "عربا كان هؤلاء أو فرنسا" والمحاضرة أُلقيت في العاصمة البلجيكية (بروكسل). القياس كان يقتضي أن تكون العبارة "عربا أو عجمًا" أو "شرقا وغربا"، في سياق الأفراد أو الجمع من ناحية العربية، وبيلا يَعْرِفُ علومها جيّدا، من تضادّ وترادف، واحتراما للبلد المضيف من الناحية المعنوية، وكأنّه يساوي بين الأمة العربية برمتها وفرنسا.

وهكذا يكرّس بيلا - في اعتقادي - المركزية و الولاء لفرنسا كقوة أنداك، وينحو منحى العرقية، وهذا التصوّر في حال طغيانه على الدراسات الإنسانية يخلّ بها إخلالا، ويخلّ العمل محلّ الشبهة سرا كان فكيف بمن يجهر به علنًا أمام الحضور؟!

* سورة غافر الآية: 31.

¹ - ابن جعفر محمد بن جرير الطبري " تفسير الطبري ". " جامع البيان في تفسير القرآن"، في 10 ربيع الثاني 1337هـ ص533 .

المقال في الحقيقة ليس فيه ما يدلّ على تباين الآراء في مفهوم الأدب لأنّ بيلا وإن تحدّث في بدايته عن اختلاف الآراء حول كلمتي أدب ودأب معتمداً كلّ الاعتماد على طروحات كارلو نلليو، عدا ذلك فالمقال في مجمله يدور حول الجاحظ و بعض المؤرّخين والأدباء العرب و الدعوة إلى امتثال طريقة الجاحظ في أسلوبه، وطريقة عرضه، في جدّه وهزله، وملحه وطرائفه والابتعاد عن الطّرق المملة.

كان وجه التدبير أن يعرض بيلا أقوال وآراء العلماء العرب و غيرهم حول الأدب قديماً وحديثاً ويناقشها بدل الاستناد إلى ما جاء به المستشرقين (كارلو نلليو، و فوللرس)، و يقرّ أنّ تفسير نلليو للفظ "أدب" ما بعده تفسير.

وخلاصة القول أنّ كلمة أدب في الجاهلية ارتبطت بالمأدبة أو الدعوة إلى الطعام، التي تعدّ من صميم العادات والتقاليد، ولها ارتباط بالجانب الروحي القبلي. لما جاء الإسلام أعطاهما بُعداً آخر أكثر توسّعاً تمثّل في مكارم الأخلاق، لكن بقيت متصلة دائماً بالجانب الروحي المجتمعي والعلم، و منه المؤدب الذي يعلم الناس العلوم التي بها تُهدّب الطباع، وبالطبع كلّما اتسعت البلاد توسّعت الدلالة لفظ الأدب في العصر الحديث أصبح أكثر دقّة، و يعبر عن الفنون الشعرية والنثرية، ويشمل جانبيّ المبنى والمعنى.

ج - "الجاحظ في البصرة و بغداد و سامراء" شارل بيلا ترجمه إلى العربية إبراهيم الكيلاني

يرى كثير من الأدباء أنّ عمله هذا يعدّ من أحسن ما ألف في حياته في مجال الدراسة الأدبية والتاريخية. استهله المترجم إبراهيم الكيلاني بقوله: "هذه دراسات قيمة للمستعرب شارل بيلا أستاذ الأدب العربي في جامعة السربون عن الجاحظ وأثر الوسط البصري في تكوين عقله وأدبه..."¹

¹ - شارل بيلا "الجاحظ في البصرة، بغداد و سامراء" ترجمة د/إبراهيم الكيلاني - ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر

أثنى إبراهيم الكيلاني على مؤلفه وعن دراسته هاته، وما حوته من جوانب متعددة، "وقد اشتملت هذه الدراسة الموضوعية عن الوسط البصري على كل ماله علاقة بمدينة البصرة منذ القرن الأول الهجري حتى زمن الجاحظ من الناحية الأدبية والفكرية والاقتصادية..."¹

ومعروف أن أصل المؤلف هو "الوسط البصري وتكوين الجاحظ"^{*} إلا أن المترجم ضم إليه بحثاً آخر كان قد كتبه شارل بيلا عن الجاحظ في بغداد وسمراء عشر عليه في روما، ومحاضرة ألقاها بيلا في المغرب تحت عنوان "أصالة الجاحظ" وقدمه تحت عنوان عريض سبق ذكره.

ومما جاء في كلمة إبراهيم الكيلاني (المترجم) كذلك: "وتجدر الإشارة إلى أن في بعض

فصول الكتاب آراء ونظرات واستنتاجات عبر المؤلف (بيلا) من خلالها عن وجهة نظر

استشراقية معروفة قابلة للنقد والمناقشة فهو المسؤول عنها وعليه تبعتها"².

قدّم بيلا لمؤلفه بتمهيد خصّ به الجاحظ وأثر البصرة في تكوينه العقلي والأدبي، ذكر في مستهله: "إن معايشة طويلة الأمد لأثار الجاحظ المطبوعة منها أو المخطوطة قد وثقت الألفة بيننا وبين هذا الكاتب الخطيب الأصيل..."³ حيث أثنى على الجاحظ وثمن آثاره الأدبية.

و نذكر هنا أن شارل بيلا لازم أثار الجاحظ قرابة ثلاثين سنة حتى لقبه البعض بصاحب الجاحظ لكثرة ولعه بهذه الشخصية الفريدة في عصرها وبعده، و امتد أثرها إلى عصرنا هذا. وامتدحه ومن شقّ طريقه في موضع آخر بقوله: "وأثر الجاحظ في الأدب العربي عظيم جدا وممن نهجوا نهجة تلميذه البرد صاحب كتاب "الكامل"، وابن الفقيه صاحب تقويم

¹ - المرجع السابق، ص 5.

^{*} الموضوع الأصلي لأطروحة دكتوراه شارل بيلا:

« Charles pellat : « le milieu Basrien et le formation de gahiz »

² - ينظر شارل بيلا "الجاحظ في البصرة، بغداد وسمراء" ترجمة د/إبراهيم الكيلاني، (المرجع السابق طبعة الجزائر)، ص 6.

³ - المرجع نفسه، ص 6.

البلدان، والثعالبي من أصحاب المطولات، والبيهقي في "كتاب المحاسن والمساوي" و"كتاب المحاسن والاضداد وغيرهم"¹.

ثم ذكر المؤلف أهم المصادر والمراجع التي اعتمدها منها: "مروج الذهب" للمسعودي و"الفهرست" لابن النديم، "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان "ميزان الاعتدال" لابن حجر العسقلاني، ومن المراجع الحديثة: أدب الجاحظ للسندوبي والجاحظ لشفيق جبري، والجاحظ خليل مردم بك. ومراجع أخرى لمستشرقين كدائرة المعارف الإسلامية ومقالات الجاحظ التي أشرف على تدوين مادتها في الموسوعة المذكورة، و ركز على كتاب تاريخ الأنساب العربية للمستشرق "مستفد"

وهذه المصادر والمراجع مع تنوعها بين القديم والحديث، إلا أنها غير كافية لوضع استنتاجات دقيقة حول الجاحظ والبصرة مسقط رأس الجاحظ.

يرى بعض الباحثين أنّ بيلا كان "دقيقا جدا في أصول البحث المجرد عن الهوى، منصفاً جدا في طلب الحقيقة العارية من الغرض، بعيدا جدا عن الميول الفانية التي تبعث بالحقائق التاريخية اتباعا لميولها."²

غير أنّ بيلا يفاجئنا بكلام يثير الدهشة ويدعو إلى الاهتمام عندما يقوله: "ويعتري القارئ بصورة عامّة الملل عند قراءة الآثار العربية مهما كان موضوعها وعنوانها مغريين فيعجز بريق الألفاظ عن إخفاء فقر الفكرة تارة، على الرغم من غناه في قالب مستكره

¹ - شارل بيلا "دائرة المعارف الإسلامية" مادة الجاحظ". أصدر بالألمانية والإنجليزية والفرنسية و... في الترجمة على العربية على الأصلين الإنجليزي والفرنسي يصدرها إلى العربية أحمد الشناوي-إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس-يراجعها من قبل وزارة المعارف محمد سعدي غلام المجلد السادس دار الفكر (دون طبعة وتاريخ الطبع). ص 238.

² - خليل الهنداوي "عرض و تحليل: خليل الهنداوي الجاحظ للدكتور شارل بيلا ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني" منشورات دار اليقظة العربية للترجمة والتأليف والنشر - دمشق" - مجلة المعرفة - سوريا - العدد 7، 1 يوليو(جولن) 1962، ص 126.

بعيد عن الرشاقة تارة أخرى، أو يعرض المؤلف علمه جامعا الشواهد دون أن يطبع علمه بطابع شخصيته.¹

فكلمة "الملل" أو السامة التي تعتري القارئ عند قراءة الكتب العربية مهما كان موضوعها يرجعها إما لضعف الأسلوب أو الفكرة، بمعنى: إمّا أن تهتمّ هذه المؤلفات باللفظ وتهمل المعنى (فيعجز بريق اللفظ من إخفاء فقر الفكرة تارة)، وإمّا العكس أي (يكسب الفكر على الرغم من غناه في قالب مستكره بعيدا عن الرشاقة تارة أخرى) معنى ذلك أنّ الآثار العربية كلّها دون استثناء يقع فيها الخلل إمّا في المبنى أو المعنى.

إنّ كلاما كهذا يطرح تساؤلات لمن يكتب بيلا لفئة المستشرقين أم المستعربين؟ وهل درس أو بالأحرى قرأ الكتب العربية كلّها حتّى يقيم هذا الحكم التعميمي؟ أم أنّ الأمر لا يعدو أن يكون عملية إسقاط الجزء على الكلّ؟ وإن كان الحكم تعميميا فأية كتب قرأ؟ "فليس من النادر أن نسمع قراء يتبرمون من الفلسفة العربية مثلا ويتهامسون فيما بينهم أن لا فائدة ذات بال تُجنى من قراءة الكندي أو ابن سينا، من دون أن تكون لهم الجرأة على الإفصاح عن موقفهم،"² اعتبارا لقيمة الشخصية وقيمة الأثر الذي خلّفه.

هذا في شأن الفلسفة فكيف مع العلوم الأخرى؟

ومع ذلك فقد نعذر الكاتب أحيانا، و نجد معه الحقّ حيال مانراه من جهة غرابة الألفاظ فتحتاج إلى ترجمان يفتح مغلقها، ويجلو وجهها، أو طريقة عرض الأفكار التي لم تعد تسائر الأساليب الحديثة والمتطورة³

¹ - شارل بيلا "الجاحظ في البصرة وبغداد وسمراء" ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر دمشق سوريا، ط/ 1961، ص3، 4.

² - عبد الفتاح كليطو " لن تتعلّم لغتي" دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط1/2002، ص 16.

³ - ينظر عبد السلام هارون (ت 1408هـ - 1988م) " التراث العربي" مجلة الوعي الإسلامي، مجلة شهرية تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. دولة الكويت، الإصدار الثمانون ط1/1435هـ - 2014م، ص32.

وأحيانا أخرى طبيعة خط المخطوط أو الكتاب، أو طبيعة ورقه، أو غموض بعض معانيه أسلوبه، أو افتقاره للإثارة والجادبية، أو لأمر ما في نفوس النساخ فيزيدون الكتاب عُسرا إلى عسر، لكن ليست الكتب العربية كلّها على نسق و احدا.

إنّ أمرا كهذا يثير الرّيب حقا، وعلّة هذه الصعوبة فيما يبدو تكمن في "بُعد العهد بملايسات تلك الوقائع الأدبية وظروفها وأجوائها، وبدون معرفة هذه الظروف والأجواء قد يخفق القارئ في فهم تلك النصوص، ويقع القارئ في لُج من الحيرة والارتباب."¹ وهو ما حدث مع بيلا. نستغرب ذلك لأننا تتبعنا مسيرة بيلا التأليفية الحافلة بدراسات حول الجاحظ، ومجالات أخرى كثيرة و متعدّدة.

إنّ الحكم على كتب التراث كلّها بالضعف يبدو غير نزيه، رغم أنّ هذا التعميم انطلق من دراسة "بيلا" للجاحظ، إلاّ أنّه لم يستثنه هو كذلك من الوقوع في الملل ولو نسبيا (و الحقّ أنّ الجاحظ لم ينج من هذه العيوب).

إذا كان هذا حال الجاحظ الذي لا يُذكر أدب النُكت والملح والطرائف إلاّ ويُذكر معه مع الجدّ طبعاً، و قد امتدحه بيلا نفسه في مواطن كثيرة. فكيف بالناقد يعمّم القول في مؤلّفه هذا الذي نال به سيّادته أطروحة الدكتوراه، وتُحجب عن الألمانية "زغريد هونكة" بسبب مؤلّفها "شمس الله، أو الشرق تسطع على الغرب" لثمنّحها بعد فترة طويلة وما أقرّت إلاّ حقائق و ما صرّحت باطلا.

يرى النقاد والمتبعون لأدب الجاحظ سلامة المبنى والمعنى والمزاوجة بينهما، وإن لم تخل بعض مقالاته من الإطناب والتكرار والحشو، ولكنّه ما فتئ يورد عنصر التشويق والطرافة والملح لدرء السّامة عن القارئ.

بيلا الذي قضى ما يقرب عن ثلاثين سنة مع آثار الجاحظ وقد أثنى عليه في مواطن عدّة - كما أشرت - فكيف يعترّيه الملل لما يقرأ؟" فلقد أفنى حياته وبدّد أيّامه في عمل لا تشدّه إليه

¹ - المرجع السابق، ص 33.

رغبة حقيقية ولا دافع قوي¹. ولم كلّ هذا التعب؟ فهل كان يقرأ لهؤلاء بتركيز و وعي، أم أنّه مدفوع لذلك، أم أنّه مجرد تأثر بالجاحظ وكفى؟ هذا الأخير الذي كان كثيرا ما يذكر الملل ويدعو الكتاب لأن يدرؤوه أو يدفعوه بما يناسب من مزاح ونكت وملح، وكذلك كان يفعل.

إنّ مثل هذه التصريحات دعوة صريحة لضعاف النفوس لكي يتربّصوا بالأدب العربي وتعزّز مقولاتهم المحطّمة للغة وعلومها، ومدعاة - ضمّنيا - لمفاضلة بين الأدب العربي والأدب الغربي؛ فالأوّل لا تهضمه العقول و لا تطمئنّ له النفوس والثاني مخالف له تماما.

إنّ من مخاطر المنهج التاريخي التعميم لأنّه يؤدّي إلى سلبية النتائج وهو الأمر الذي وقع فيه بيلا، ثمّ إنّ الحكم على الآثار العربية بالملل حكم غير مؤسّس يوقع أدبنا في مذمتين:

. أولا: احتقار الآثار العربية، وبالتالي الإساءة إلى الذات العربية عامّة.

. ثانيا: صدّ الغربي عن الاطلاع والاستفادة من الآثار العربية، والمستشرق أو المستعرب يفترض أن يكون واسطة أمان ينقل المعلومة و يحلّلها بأمانة وموضوعية.

وقد خصص بيلا فصلا للحديث عن البصرة في القرنين الأول والثاني للهجرة تحدث فيه عن تأسيس المدينة وأسباب توسعها، وموقع المدينة وضواحيها، وإقليمها المناخي، والمواصلات الخارجية و سكانها والقبائل التي شكلت الإقليم، وكذا تطور مدينة البصرة التاريخي.

أما الفصل الثاني: أفرد المؤلف للجاحظ في البصرة من حيث مولده، وأصله واسمه ولقبه وشكله وطفولته ويفاعته وتكوينه الديني والفكري.

ومن الكتب المعتمدة - كما ذكرت سابقا - في مجال التوثيق: تاريخ الانساب العربية للمستشرق "مستفدل" يقول بيلا: "وقد أمكننا تاريخ الأنساب العربية للمستشرق ومستفدل من الإفادة من هذه الوثائق المبعثرة"² وهو يقصد ما كتب عن تاريخ البصرة في المصادر العربية

¹ - عبد الفتاح كليطو " لن تتعكّم لغتي " المرجع السابق، ص 18.

² - شارل بيلا " الجاحظ في البصرة وبغداد وسمراء " ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر دمشق سوريا (المرجع السابق) ، ص 23.

كتاب عمر بن شبة، وتاريخ الفتوح لسيف بن عمر الأسدي التميمي، والوافدي والمدائني أو تاريخ البيوتات والقبائل لأبي عبيدة وأبي مختلف وأبي اليقظان وهشام الكلبي، وما كتبه المتأخرون الطبري وابن الأثير والأنساب للبلاذري (متوفي 279هـ) والجغرافيا للمقدسي (جغرافيا العرب).

إنّ كتاب المستشرق ومستفد الذي اعتمده بيلا في تاريخ بغداد يمثّل عصارة ما ذُكر من الكتب العربية - في نظره - و إنّنا ببساطة يمكننا الاستغناء عنها وعدم الرجوع إليها في حضرة هذا المؤلّف. فهل ندع المصادر والأصول العربية الصحيحة ونكتفي بالمراجع الأجنبية في توثيق تاريخنا؟

وإن كان بيلا استفاد من بعض المصادر كالجُمهرة لابن حرم في معرفة القبائل والأرهاب الممثلة في البصرة، و الطبقات لابن سعد في معرفة بعض الأسر والأفراد المستقرين في البصرة.

لا يمكن أن نثق في كلّ ما يرد في بعض هذه المؤلفات لأنّها جامعة للأخبار أكثر ممّا هي محقّقة لها، ودائرة المعارف الإسلامية نفسها تعرض نتاج المستشرقين وآراءهم، وتعبّر عن وجهة نظرهم، فلا تُفسح بين دفتيها مجالاً للنقد الخارجي، وأقصد النقد العربي، فالمستشرقون همّ الذين يتولّون كبرها، وأمّا الجهود العربية فلا تتمّ إلا عن طريق بعض المساعدات الفردية أو العمل في الجهاز التنفيذي، والذي سيرزّه بيلا في حديثه - لاحقاً - عن الشخصية التونسية حسن حسني عبد الوهاب.

وحول تأسيس مدينة البصرة مولد الجاحظ ومسقط رأسه يقول: "نلفت نظر المؤرخ الذي يحاول حل مسألة الاختلاف في التأسيس، ترجعه فئة إلى سنة (14) للهجرة، في حين تؤرخ الثانية لها بدءاً من سنة 16 أو 17 للهجرة. أضف إلى هذا التاريخ غير الثابت تناقضا في علاقات الوقائع وعرض الظروف التي تحيط بحادث التأسيس، فالزمرة الأولى من الأخبار تؤكّد أن مؤسس المدينة كان تحت إمرة بن الخطاب، في حين أن الثانية تجعله تحت إمرة القائد

العام للجيش الإسلامية سعد بن أبي وقاص، ويحيلنا بيلا إلى المصدر الموثوق بقوله: "راجع عن بطل حرب القادسية ومؤسس الكوفة دائرة المعارف الإسلامية 21030/4 مقالة زترستين.¹

ونحن لا نجد موضعاً للخلاف والتناقض الصارخ إذا كان الخليفة أمر بتأسيسها (البصرة) وقائد الجند نفذ المهمة، أو أن قائد الجند أمر بتأسيسها بعد استشارة قائده أمير المؤمنين والشورى كانت مجسدة بين ذلك الجليل، ولا نعتقد أن الأمر يصدر من أحدهما دون علم الآخر بذلك.

يقول شارل بيلا وكما أن تاريخ ولادة الجاحظ و وقائعه غير دقيق ومشكوك فيه فذلك أصله " ويعزو ذلك إلى الاختلاف الضارب بين مترجميه، إذ كل واحد منهم إذ يحاول أن يكون حيادياً بإيراد جملة من الأخبار المتناقضة فإنه يحاول أن (يضارب) بشهرة الجاحظ ليدعم نظريته العرقية، أو يشير إلى أصله المجهول ليحط من عبقريته ويقلل من حماسة المعجبين به،² لكن رغم الاختلاف الذي وقع فإنّ معظم المؤرخين اتفقوا على أنّ تاريخ ولادته كان حوالي سنة 160هـ (776م).³ ويشير بذلك إلى الخطيب البغدادي في كتابه "تاريخ بغداد وابن عساكر في مؤلفه "تاريخ دمشق".

ذكر المؤرخون أنّ الجاحظ أصيب بداء الفالج وقد ظلّ يصارعه، ولما سئل عن حاله قال "كيف يكون من نصفه مفلوج لو حرّ بالمناشير لما شعر به، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه"⁴، وأنّ وفاته كانت سنة 255هـ (868-869م) على حدّ تأكيد معظم المؤرخين.

¹ - شارل بيلا "الجاحظ في البصرة، بغداد وسامراء" ترجمة د/ابراهيم الكيلاني - (المرجع السابق طبعة جزائر) ص 28-29.

² - المرجع نفسه، ص 93.

³ - جميل جبر "الجاحظ في حياته وأدبه وفكره" دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت ط1/1429هـ. 2008 م، ص17.

⁴ - شارل بيلا "الجاحظ في البصرة، بغداد وسامراء" ترجمة د/ابراهيم الكيلاني، (المرجع السابق)، ص24.

وقد ذكر بيلا أن الجدل القائم حول أجداد الجاحظ فيقوت الحموي الوحيد الذي ذكر بأن أحد أجداد الجاحظ يدعى فزارة، ويطلق عليه السمعاني في الأنساب (ص 118 ب) اسم (محبوب) في حين تطلقه بعض المصادر (الأنباري النزهة 254) على جد الجاحظ وقال: "وهذا كل ما نعرفه عن أصله، وفي حدّ علمنا - إلا في حالات إهمال أو اكتشاف متأخر لأن الجاحظ لا يذكر أباه بحرا، وبهذا ينتهي نسبة إلى محبوب - ذلك إن كان جده حقا- ليتصل بعد ذلك بفزارة"¹

في اعتقادنا أنّ الجاحظ لو كان في حالة إهمال لما داع صيته في زمانه وزماننا، و كثر فيه البحث، واختلاف الآراء حوله دليل على حب العلماء له، واستقصائهم الجهد في ضبط تواريخه، ولأنّه جمع بين العلم والأدب، تمّ إنّ هذه الوقائع وغيرها تُدحض الحجج التي تقول أنّه نشأ في " في بيت من أجلّ بيوتات العرب ومن أعرقها في المجد والشرف " فالجاحظ من موالي كنانة نشأ يتيما، ميّلا إلى العلم كان يخالط المسجديين في البصرة مرّة ويختلف إلى الكتاتيب مرة.² و لأنّ الثّم والضياع كثيرا ما يكونان سببا في إهمال التواريخ الشخصية والعائلية.

وعن لون أو شكل الجاحظ فيقول: "ثم إن الخبر الذي يقول بأنه كان عبدا أسود اللون وأنه كان حمالا لعمرو بن قلع لم يؤيده خبر آخر."³

ويرى بيلا أن هذا الدليل الأول على أصل الجاحظ الإفريقي، "وهناك دليل آخر على أصل الجاحظ الإفريقي هو شكله، وليس لدينا برهان يثبت أن في شكل الجاحظ صفات

¹ - المرجع السابق، ص 94.

² - جميل جبر " الجاحظ في حياته وأدبه وفكره"، المرجع السابق، ص 17

³ - شارل بيلا "الجاحظ في البصرة، بغداد وسامراء" ترجمة د/ابراهيم الكيلاني - ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، المرجع

السابق، ص 94.

جسمية زنجية، ولكنه كان شديد السمرة.¹ ويلجأ إلى إثبات ذلك بنظرية 'مندل' بقوله: "ولو أننا أدخلنا نظرية مندل في الوراثة ونظرنا بعين الاعتبار إلى لون سكان البصرة الأسمر."²

يبدو أنّ بيلا على غرار كثير من الباحثين الذين تأثروا بالنظريات العلمية التي ظهرت آنذاك والتي ارتبطت بعلم الأحياء، وحاولوا تطبيقها في العلوم الإنسانية، وعلى شخصيات ماضية ولو كان البون شاسعا بينهما.

ليخلص إلى أنه من الراجح أن يكون لون جد الجاحظ الأسود قد خفّ على مر الزمن بتأثير الدم الأبيض الذي تسرب إلى الأسرة على مر الأيام.³

وعن علم بيلا بوفاة الجاحظ يقول "و كل ما نعلمه أنه (الجاحظ) عاد إلى البصرة بعد أن أصابه الفالج في جانبه، وأنه توفي بها عام 255هـ أو عام 250هـ وفي روايات أخرى أنه نيف على التسعين"⁴.

اللجوء إلى نظرية مندل في علم الوراثة الحديث وإسقاطها على زمن الجاحظ لاستخلاص أنه من أصول زنجية لا يفضي إلى دراسة معمّقة وأدلة قاطعة في ظننا.

- ثمّ إن الارتكاز على الكتب أو المراجع المؤلفة باللغة الأجنبية أو أنّ مؤلفيها أجنب في دراسة الجاحظ كدائرة المعارف الإسلامية وكتاب المستشرق ومستفد، واستقراء جوانب حياته منها قد يفوت كثيرا من الفوائد على بيلا وغيره من المستشرقين، "ويضيع على أعمالهم الموضوعية اللازمة لأنهم سينظرون إلى الشرق بأعين غريبة خالصة".⁵

¹ - المرجع السابق، ص 101.

² - المرجع نفسه، ص 101.

³ - ينظر المرجع نفسه، ص 101.

⁴ - دائرة المعارف الإسلامية "مادة الجاحظ"، أصدر بالألمانية والإنجليزية و الفرنسية و ... في الترجمة غلى العربية على الأصلين الإنجليزي و الفرنسي يصدرها إلى العربية أحمد الشناوي-إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس- يراجعها من قبل وزارة المعارف د/محمد سعدي علام المجلد السادس دار الفكر 236 (دون طبعة و تاريخ الطبع). ص 238

⁵ - حبيب بوزوادة "القراءة الإستشراقية للموروث لأدبي بين الموضوعية والإجحاف - مجلة جذور ص 313.

- إصدار الكاتب لبعض الاحكام الانطباعية العامة بسبب: التركيز على مواطن الخلاف و انتقاء المصادر، و التشكيك في بعضها، و هي أمور تتم عن ذاتية الأديب، وبالتالي مجازفة بالأدب العربي.

بيلا في دراسته هذه يبدو أنه طبق النظرية "التبينية" في المنهج التاريخي الذي يركز على تأثير البيئة والجنس والزمن في الشخصية، (الوسط الجغرافي، الوسط الأسري، التكوين الديني والأدبي، والبيئة السياسية والمذاهب المختلفة)، و أنّ هذه العوامل هي التي وَّجَّهت شخصية الجاحظ. هذا صحيح من جانب ولكنه أهمل جانب العبقريّة، أو أثر عبقريّة الجاحظ في البيئة التي عاش فيها، و لو أنّنا نجدّه يعترف بجانب منها في مقاله الذي سنتطرق له لاحقاً "أصالة الجاحظ."

- إنّ اعتماد المنهج التاريخي وحده لا يفي بالغرض كلّه لدراسة جميع جوانب الأثر الأدبي حتّى تستقيم أحكامه، كان لا يدرّ من المناهج السياقية التي تدرس النصّ من الداخل، الشيء الذي فوّت على بيلا فرصة تتبّع المسائل بدقّة متناهية، "وقد انتبه المستشرق نفسه فيما يشبه القراءة الداتية إلى خصائص منهجه الغالب على الكتاب المذكور (الوسط البصري...)" بـ«التحليق» (survol) ولم يفته أن يدعو المستشرقين من بعده إلى تجاوز هذا المنهج التاريخي الزماني (diachronique) تأسيساً لقراءة داخلية في نصوص الجاحظ خاصّة.¹

إنّ الناقد المدقّق الأكثر فاعلية هو الذي يرافع عن قضية كما يفعل المحامي بغض النظر عن صاحبها عربياً كان أم عجمياً، لا أن ينصبّ نفسه قاضياً يصدر أحكاماً تعميمية أو انطلاقاً من نظريات حديثة، البعد الزمني بينها وبين الشخصية المدروسة شاسع جدّاً، كنظرية ماندل في الوراثة، ولا أن يشكّك في التواريخ و الوقائع دون التأكّد واعتماد الراجح منها.

¹ - شارل بيلا " تنويعات على معنى الأدب " تعريب رمزي رمضاني - " مجلة «نزوى» مجلة فصلية ثقافية، مسقط سلطنة عمان، العدد 61 / يناير 2010. ص 134.

د - أصالة الجاحظ عند شارل بيلا:

تحت إطار "دفاتر شواطئ البحر الأبيض المتوسط" نشرت لجنة المغرب للتأليف والترجمة كتيباً وهو في الأصل مقال لا يتعدى تسع صفحات تحت عنوان "أصالة الجاحظ" من تأليف شار بيلا أستاذ الآداب العربية بالسوربون، "بعنوان أصالة الجاحظ"، واختيار مصطلح أصالة له دلالاته، إنما يدلُّ على دقة الاختيار، ونسبته للجاحظ لم يأتِ اعتباطاً بل جاء نتيجة دراسة معمقة لهذه الشخصية التي تنتسب إلى البصرة أصلاً ومنشأً، كما اتضح في المرجع السابق وهي يومئذ مهد الثقافة العربية الإسلامية. ولعله خير من مثلها في ذلك الوقت كما أشار شارل بيلا إلى ذلك، وقد ضمَّ إبراهيم الكيلاني هذه المحاضرة إلى الكتاب السالف الذكر لما لاحظته من تقارب في المحتوى.

ومع أن المقال لم يصل إلى تحديد تاريخ ولادة الجاحظ ولا اسم والده، ولا كيفية مكوثه في البصرة على الرغم مما توقرت لدى الكاتب من الآثار التي تكفي لضبط تواريخها إذ يقول: "فلا نعرف بالضبط السنة التي ولد فيها صاحبنا، ولا نعرف أباه ولا ندرى كيف عاش بالبصرة وعلى يد من درس وتعلم"⁽¹⁾ وهو الكلام الذي مابرح يكرره بيلا حول الجاحظ.

حاول الأديب الناقد في هذه المحاضرة أن يكشف عن بعض الأمور الخفية والحكم عليها من خلالها الظواهر المتعلقة بشخصية الجاحظ، والمشاكل التي قد تعترض سبيل الناقد الأدبي وهو مُطالب بفكِّ شفراتها مادام أثر الولوج إلى أعماق هذا البحر وسبر أغواره بما يمتلك من سلاح ظاهري إذ يقول: "لا يمكنني طبعاً أن ألمّ بكل ما يخص الجاحظ، وأن أتحدّث في نواحي إشارات المتفاوتة تدوم ساعة من الزمن لذلك سأقتصر على الظواهر التي تنبئ عن البواطن وتلقي شيئاً من الضوء على أهم المشاكل التي يجب على الناقد أن يحاول حلها."⁽²⁾

¹ - شارل بيلا "أصالة الجاحظ"، أصالة الجاحظ، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، دط، دت، ص 8.

² - المرجع نفسه، ص 8.

كما سلّط شار بيلا الضوء في هذه المحاضرة على شخصية الجاحظ وبعض آثاره معتمداً في ذلك على المنهج التاريخي، غير أن استيفاء جميع جوانب شخصية الجاحظ المختلفة الأطوار المتقلبة المزاج، والمتغيرة الأمصار، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يستوفيهما الباحث في ظرف قياسي وجيز، وقد اعترف هو نفسه بذلك إذ يقول: "وفي الحقيقة لا يمكننا ولن يمكننا أبداً أن نستخرج مما لدينا من النوادر والروايات والأخبار صورة واضحةً ترضينا تمام الإرضاء..."⁽¹⁾

إنّ الحكم على الظواهر كثيراً ما يوهم الباحث في حكمه، وقد أسس الكاتب منهجه على افتراضات وبعض كتب الجاحظ للاستدلال بالحاضر على الغائب، والظاهر على الباطن. ولتبرير الحكم الإجمالي المتعلق بحياة الجاحظ، والظروف والملابسات التي صاحبت نشأته.

ومع أن الكاتب لازم الجاحظ في كثير من مؤلفاته، و يبدو أنه عايشه من خلال مؤلفاته أزيد من عشرين سنة، وقد لقبه البعض بصاحب الجاحظ. إذ يقول عن ذلك " لما شرعت في دراسة الجاحظ منذ عشرين سنة ونيف فهمت أنه لا يمكنني أن أبلغ غايتي ولا تفضي جهودي إلى نتائج مرضية إلا بالاعتماد على النصوص لذلك نشرت ولو نشرها مؤقتاً غير نهائي كلما تيسر لي من المخطوطات الجاحظية وترجمت قسماً لا بأس من المؤلفات التي تساعدني في إدراك شخصية الجاحظ."⁽²⁾ ومهما يكن فقد حاول المحاضر جاهداً استقصاء الجهد في الكشف عن بعض جوانب حياة الجاحظ التاريخية والأدبية.

لم يمنع قصور شارل بيلا من أن ينحني إجلالاً وتواضعاً للجاحظ، ويقرّ بعدم بلوغه مراده في دراسته إذ يقول: "ومع ذلك لا أشعر بأنني قادر... على التكلّم فيه (يقصد الجاحظ) وبصفة شافية كافية."⁽³⁾

¹ - المرجع السابق، ص 8.

² - المرجع نفسه، ص 9.

³ - المرجع نفسه، ص 9.

الاعتماد على المنهج التاريخي وحدة غير كاف - كما أشرت سابقا - في الكشف عن خبايا فكر الجاحظ وميوله، دون دراسة نصوص الجاحظ وقراءة ما بين السطور، باعتماد مناهج أخرى كالمناهج النفسي و الاجتماعي و غيرهما، فالجاحظ كان موسوعيا متعدّد الموضوعات، ثمّ أنّه يصعب فصل البيئة الأدبية واللغوية في عهده عن البيئة الدينية والسياسية والاجتماعية. " فالأبحاث اللغوية التي نشطت عصر ذاك، و حركة جمع الشعر كانت توحىها مقتضيات سياسية أو دينية...، ناهيك بأنّ بعض القصائد تُظَمّ بوحى مواضيع دينية وسياسية معيّنة.¹" وفي الشأن الاجتماعي كما هو معروف اختلط العرب بالعجم، و تغيرت عادات و ظهرت أخرى وفيها الإيجاب والسلب.

أقول في الأخير أنّ الحكم على البواطن من خلال الظواهر كما أشار الناقد أراه أمرا نسبيا، فهناك الأثر وصاحب الأثر، والظروف والملابسات، ولو كان المنهج التاريخي وحده كافيا للحكم على الأدب والأديب لما تعدّدت المناهج واختلفت الرؤى، وظهرت عيوب كل منهج ورُغِبَ في المنهج التكاملي، وعيب بيلا أنّه لم يعدّد المناهج.

3 - بيلا و دراسات لغوية:

أ - مقال: "اللغة العربية و العالم الحديث" شارل بيلا الأستاذ بجامعة السربون

(باريس)

يتوقّف تطور المصطلح في أيّ أمة على مدى اهتمام أفرادها بلغتهم ونموها، وحبهم لها وحرصهم على سيادتها، ولقد شهد التاريخ لهذه الأمة تمكّنها في مختلف صنوف العلم والمعرفة في اللغة والأدب (الكتاب لسبويه، فقه اللغة للثعالبي، والخصائص لابن جني، والبيان والتبيين للجاحظ) وفي الطبيعة والحياة (الخيل والنبات والأنواء...) والطبّ والكيمياء وسائر العلوم والفنون. لقد كان علماؤنا حرصين كلّ الحرص على تطويع لغتهم واستغلال لغة غيرهم فأمكنهم ذلك من جمع مادّتهم في كل تخصّص من التخصّصات.

¹ - جميل جبر " الجاحظ حياته وأدبه وفكره" المرجع السابق، ص 13 - 14.

نشر شارل بيلا هذا المقال في مجلة اللسان العربي العدد الخامس، وهي مجلة يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي (جامعة الدول العربية) بالرباط المغرب الأقصى. المقال يتحدث عن اللغة العربية والواقع المعيش، وهل نحن قادرون على أن نكفل الأداء اللغوي في الوقت الحالي؟ وهل اللغة العربية قادرة على مواكبة روح العصر ومتطلباته من ناحية المصطلح العلمي والتقني؟

يحاول بيلا هنا تبيان معضلات اللغة وما تواجهه من صعاب في العصر الحديث و إمكاناتها الحالية، وهل هي جديرة حقًا بأن تكتسب وتوظف المصطلحات في التعليم العالي و التقني؟

تواجهه العربية مشاكل عويصة في ظلّ التحدّيات الراهنة ، تطور تكنولوجي هائل وسرعة انتشار المصطلحات العلمية، فما المخرج في نظر بيلا ؟ وما هي الحلول التي يقترحها ؟

يرى بيلا أن هذا باب من أبواب العلم بعيد المرام، صعب الطرق، دقيق الفتح لأن مكانة العربية وموقفها من العالم الحديث موضوع يبعث على المجادلة والمشاجرة، ويقدم نار الأهواء فيستوجب الخوض فيه بعض الاحتياطات والتحفظات.¹ ونحن نتساءل أيّ مجادلة ومشاجرة يبعثها البحث في اللغة العربية؟ هذه اللغة التي كانت فيما مضى لغة أدب وعلم - كما أشرت سابقا - ألت بمختلف علوم البلاد التي كانت متاخمة للأمة العربية، وأمّا نار الأهواء فذلك يرجع لحفوت جذوة العربية في النفوس، وتبّي غيرها من اللّغات، هذه اللغة التي استُحفظنا عليها فما رعايناها حقّ رعايتها.

ورغم ما يكتنف المسألة من صعاب كما صرّح بذلك بيلا إلا أنّه أدلى بدلوه فيها و الأمر كما يرى يتعلق بروح العربية لا بعقريها، ويقصد تواجد المصطلحات في التعليم العالي

¹ - شارل بيلا "اللغة العربية و العالم الحديث: مجلة اللسان العربي ، مجلة دورية للأبحاث اللغوية و نشاط الترجمة و التعريب في العالم العربي - يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي (جامعة الدول العربية) - الرباط المغرب الأقصى - العدد الخامس - ص 50

والتقني، ومع أنه ينفي وجودها إلا أنه يقرّ بإمكانية تحقيقها أو اختراع أغلب ما تحتاجه في هذا المجال.

أشار بيلا في هذا المقال إلى أن تغير أحوال الإنسانية وتبدلها، وإلى نقطة مهمّة وهي أن الحضارة ليست بنصيب أمّه من الأمم بل هي "نعمة عامة ينتفع بها من شاء و يتركها من شاء"¹

ويقصد بذلك تناوبها وتداولها بين البشرية، فهو يدعو ضمناً إلى تقارب الشعوب والحضارات في ظل القرب الجغرافي و المصالح الاقتصادية، و التطور الصناعي و المكتشفات العلمية الحديثة، ودور الدول الغربية الكبير في هذا المجال، و قوله: " فلا يخفى على أحد أن الدول الغربية لها اليد البيضاء في أكثر هذه المخترعات والمكتشفات."² لا ننكر ريادة الدول الغربية للتطور الحالي وفضلها على البلدان غير المتقدمة أو السائرة في طريق النمو كما يسميها البعض ومنها العربية.

انتقل بيلا إلى الحديث عن اقتباس المصطلحات العلمية والتكنولوجية المهمة والضرورية دون أن يفتح الباب على مسرعيه لخطورة الأمر كما أشار، وحاول إعادة الاعتبار للغة الفرنسية، و الشدّ من عضدها، والترغيب فيها، قوله: " فالصحف الفرنسية وبعض الكتب مشحونة بألفاظ إنجليزية أو أمريكية لا حاجة إليها اللهم إلا في الأوساط المفاجئة* المتنبئة"³، وهذا خطر على الفرنسية التي يشتكي أنصارها من هذا الوضع.

الفرنسية التي كانت في وقت لغة المثقفي جميع أقطار أوروبا ولم تزل كما قال في بعض البلدان لغة الدبلوماسية لوضوحها وبلاغتها. و جاء في سياق حديثه كذلك: " لغة عالمية

¹ - المرجع السابق، ص 51.

² - المرجع نفسه، ص 51.

* المفاجئة التكرّر، والنقّاج: الذي يُفخر بما ليس عنده.

* المتنبئة: من الكسل والبلادة.

³ المرجع نفسه، ص 51.

كالفرنسية التي كانت إلى عهد قريب لغة الأوساط المثقفة في جميع أقطار أوروبا ولم تزل في بعض البلدان لغة الدبلوماسية لوضوحها وفصاحتها.¹

يخشى شارل بيلا - فيما يبدو - اندثار الفرنسية بعد أن كانت اللغة الأكثر انتشاراً في العالم. كنا نود منه ولو بعجالة أن يبين لنا ما الذي أذهب يريق الفرنسية حتى تُزاح عن مكانتها التي تبوأتها من قبل؟ إن كثيراً من لغات العالم تحمل عوامل فنائها في ذاتها، إن لم تقم مجامعها اللغوية بإعادة النظر في بعض قواعدها فسيكون مصيرها الزوال، نحن لا نتحدث عن الفرنسية من حيث أنّها كانت ولا زالت لغة احتلال في بعض البلاد، بل كلغة في ذاتها يجد المبتدئ صعوبة في كتابة بعض حروفها وكلماتها دون وجود قواعد مضطربة واضحة تضبطها مثلاً كلمة السين والكاف (c) يجد المتعلم صعوبة التمييز بينها. وموضع كتابة الفاء بإحدى الشكلين (f = ph) ونطق بعض الحروف وكتابتها (s - z) وغيرها من الصعوبات.

حصر بيلا احتياجات اللغة العربية في العصر الحالي في مايلي:

- ألفاظ دالة على المدلولات الحسية، (ملبس مأكل مشرب) وسائل، راديو، تلفون إلخ)
- ألفاظ دالة على مفاهيم غير معروفة من قبل، ولها علاقة بالحياة الفكرية والإدارية والسياسية وغيرها من المجالات، وتوحيد المصطلحات بين مختلف البلاد العربية والإسلامية.
- المصطلح العلمي والتقني وحاجتنا الماسة إليه وهو من قبل الناطقين باللغة الضاد، وقد أضحى توحيدهم من المسائل التي تشغل بال الباحثين في مجال اللغة و المجمع العلمية. وقد مثل بيلا لذلك (دراجة عجلة) للدلالة على (bicycle).

أمّا لفظ عجلة للدلالة على الدراجة (bicycle) الذي أشار إليه بيلا فلا نرى فيه خلافاً، فإنّ دلالاته الحقيقية بالعربية هي درّاجة، والعجلة جزء من الدراجة، وقد نعبر مجازاً عن الدراجة بلفظ عجلة (من باب المجاز المرسل للعلاقة الجزئية الرابطة بينهما - أي جزء من الكل)،

¹ - شارل بيلا « اللغة العربية و العالم الحديث : مجلة اللسان العربي، ص51.

و العلماء اعتمدوا المجاز في وضع المصطلح وتوسيع اللغة، فأين الخلاف إذا كان المجاز وسيلة من وسائل ثراء العربية؟

الإشكال في تعدد المصطلحات العربيّة مدلول واحد، فنجد مثلا البعض يقول: تلفاز وتلفزة و تلفزيون و غيرهم شاشة التلفزيون، و جهاز التلفزيون، بسبب الترجمة و اختلاف المآخذ والمشارب والمجامع، إذا ما وحدنا جهودنا و راعينا في توحيد المصطلح: الدقة والإيجاز فقولنا: تلفاز أو تلفزة أكثر اقتصاد من شاشة التلفاز أو أفضل من الكلمة العربيّة حرفيا لتلفزيون. و الصحيح الفصيح: "المِرْنَاة" اسم آلة من الفعل رَنًا يَرْنُو (من الفعل نظر) على وزن مَفْعَلَة، وكذا مع لفظيّ هاتف و تلفون.

المصطلحات العلمية والتقنية مرهونة بالتطور والازدهار، واللغة العربية ثرية بالألفاظ الدالة، فالتصعيد مصطلح كيميائي، والجراحة مصطلح طبيّ، والتطعيم مصطلح زراعيّ.*

كما أنّ¹ "بعض الألفاظ العربية لا تعيّر وإنما تواكب مسار التطور" فالسيّارة في اللغة القافلة والقوم يسيرون. وهي في اصطلاح الفلكيين اسم لأحد الكوكب السيّارة التي تسير حول الشمس وفي الاصطلاح الحديث هي الأوتوموبيل (السيارة).² ولقد اهتمدى المجمع العلمي السوري إلى كثير من المصطلحات العربية في الطب والكيمياء والنبات وغيرها جمع بعضها. الأمير مصطفى الشهابي في كتابه "المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث." و بما أن الأمة العربية حاليا على غير ما كانت عليه في العصر العباسي عهد هارون الرشيد، فهي تحتاج إلى الاستزادة من المصطلحات العلمية والتقنية الجديدة المكتشفة في البلدان المتطورة.

* يراد به كذلك المصطلح الطبيّ التطعيم ضدّ الامراض المعدية.

¹ - الأمير مصطفى الشهابي "المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، دار صادر بيروت لبنان، ط3/

1416 هـ. 1995 م، ص6

² - المرجع نفسه، ص6.

يسوقنا شارل بيلا إلى موضوع التعريب واللهجات سوق المكرهين. فهو لا يرى مانعا مطلقا في اعتمادهما، غير أنه يستشين التّحت، بينما اللّغويون وأصحاب الجامع اللغوية لهم وجهة نظر أخرى فهم يميزون النحت و لا يميزون التعريب إلا عند الضرورة الملحّة.

ويسدّل بيلا على التعريب بأمثلة لمؤلفات عربية في الطب، وكيف استعانت بألفاظ أعجمية وهو أمر ضروري كما قال: "إذا أردنا أن تقوم هذه اللغة الجميلة العزيزة وتحل محلها بين اللغات الكبرى."¹ وسنفضّل القول بمجال التعريب لاحقا.

عدّد شارل بيلا الوسائل أو الآليات دون ترتيب منطقي لمن أراد الأخذ بها، وهي كالتالي:²

- الرجوع إلى اللهجات والعاميات المستعملة في الحياة اليومية عند الحاجة والاتفاق على بعض المصطلحات (أهل الصنائع).

- أخذ المصطلحات من اللغات الأجنبية كالتركية والفارسية كما أعتُمدت من قبل المصطلحات الطبية و العلمية و المؤلّدة التي لم تدوّن في المعاجم من قبل. والانتفاع باللغات الغربية كالإسبانية والفرنسية وغيرها، ومن الأمثلة التي يسوقها:

- في مجال التعريب: مثلا كلمة - (cheque) - العربية (شيك) وهي في الأصل صك - (التعريب).

- في مجال الاشتقاق: وضع كلمات جديدة " فلا يستنكر مثلا " مكتّاب على وزن مفعال " منشار " للدلالة على الآلة الكاتبة - " ونحّال " المرابي النحل.

¹ - شارل بيلا "اللغة العربية و العالم الحديث" : مجلة اللسان العربي، المرجع السابق ص 53.

² - ينظر المرجع نفسه، ص 53 - 54.

- استخراج معان شتى من مفردات قديمة للحاجة وما أسماه شارل بيلا بالتضمين، ودوره في توسيع اللغة. كما دعا إلى تثمين الجهود الفردية، وعدم الاعتماد إلاّ الجامع العلمية على الرغم مما تبذله من جهود.

تطرق بيلا إلى اللهجات و العاميات في المجتمعات العربية، و هنا ينبغي أن نفرق بين اللهجة و العامية واللهجة الفصيحة، و قديما كان يطلق على اللّغة لهجة، لأنّها تشتمل على قدر كبير من اللغة أو الألفاظ الفصيحة في حين أن العامية هي خليط من الفصحى و اللهجة واللغات الأجنبية و هي لغة العامة أو الشارع، و يطلق عليها السوقية و الدارحة لأنّ الناس درجوا على استعمالها، و يوضّح لنا الدكتور عبد الرزاق بن فراج الصاعيدي أستاذ بجامعة المدينة المنورة مفهوم اللهجات على أنّها ظواهر صوتية وحرفية ودلالية ونحوية تنشأ في لغة من اللغات و اللغة العربية انتخاب من مجموعة من اللهجات القديمة (نجد - الحجاز - اليمن،...) فاللهجة السورية غير اللهجة الجزائرية. أمّا مازن المبارك فبيّن أنّ اللهجة مجموع من الصفات الصوتية للغة من اللغات في بيئة من البيئات.

وبالتالي يجب أن لا نخلط بين اللهجة والعامية، لأنّهما ليستا شيئا واحدا، فاللهجة حقيقة خَلْقِيَّة لا غبار عليها - إن كانت بمعنى اللّغة - لا تفسد فصاحتنا ولا تفسد عُروبتنا ولا عرّبتنا ولا لغتنا، وما يُتداول من لهجات - حاليا - في الأقطار العربية، فلا يصحّ يُنعت باللّغة لأنّ اللهجة شيء واللغة شيء آخر.

ويرى محمد داوود أنّ العامية لغة* وليست لهجة ويمكن تقسيم العربية الحالية إلى ثلاثة أقسام:¹

الأول: العربية الفصحى.

* اللغة هي التي يتفاهم بها الناس عامة. و العامية يتفاهم بها الناس فهي لغة، و اللهجة صفة صوتية فقط (مازن المبارك).
1 - محمد داوود " بين الفصحى والعامية " مجلة اللسان العربي، العدد الثاني (2) رمضان 1384 هـ 1965 م، ص 16.

الثاني: العربية العامية المثقفة.

الثالث: العربية العامية الدارجة.

ومن العلماء من أوصى بهجر العامية، وحدد الشيخ الغزالي رحمه الله ثلاثة أشياء لإحياء لغة القرآن والحفاظ على مكانتها:

- الجد كل الجد في محاربة اللهجات العامية داخل الوطن وخارجه وتضييق الخناق عليها.

- منع البرامج التي تقدم باللغة العامية.

- منع الأزجال والمواويل والشعر الفوضي المبتدع أخيراً.

- يحاول كثير من المحدثين اللسانيين الآن إقحام العامية كلغة في إحدى مناهجهم التي تهتم باللغة المنطوقة أكثر من اهتمامها باللغة المكتوبة، ولا يرون مانعا من اعتماد اللهجات في وضع المصطلح.

- نعود إلى مسألة التعريب التي دعا إليها بيلا فقد " وقف العلماء من التعريف موقف الحذر، وقال أكثرهم إنّه لا يؤخذ به إلا عند الضرورة القصوى خشية أن تضيع اللغة في عمرة الدخيل"¹

يفسد العربية الإكثار من التعريب، و يقضي على فاعليتها، ويذهب بريقها، ولنتصور نصّاً معظم كلماته من الدّخيل ألا ينقص ذلك من جذوة العربية، و لهذا لا يعتمد العلماء إلا عند الضرورة مُكرهين، لقد لجأ واضعو المصطلحات العربية في العصر الحديث إلى الوسائل التالية:²

¹ - أحمد مطلوب " في المصطلح النقدي - عربي - عربي دراسة ومعجم " مكتبة لبنان ناشرون ط 1/ 2012 ص 17.

² - عبد الرحمان الحاج صالح "الدخيرة اللغوية العربية" مجمع اللغة العربية الأردني . العدد 30 في 1 يناير 1986. ص 50.

1 - التعريب اللفظي للمصطلح الأجنبي.

2 - الترجمة الحرفية له.

3 - تخصيص أو ارتجال لفظ له بكيفية عفوية.

4 - تخصيص لفظ عربي بعد البحث عنه في القواميس القديمة.

وإذا ما اضطررنا إلى التعريب، فقد اشترطت بعض الجامعات العلمية التي خضت خطوة جبارة في هذا المجال مايلي¹:

1- الاقتصاد في التعريب.

2 - أن يكون المعرب على وزن عربيّ من الأوزان القياسية أو السماعيّة.

3 - أن يلائم جرس المعرب الذوق العربي وجرس اللفظ العربي.

4 - أن لا يكون نافرا عمّا تألفه اللغة العربية.

أمّا الوسائل التي اعتمدها الأوائل في غالب الأحوال ولا زالت صالحة إلى الآن: الوضع والقياس الاشتقاق، والترجمة، والمجاز، والتوليد، والنحت، والتعريب في الحالات النادرة كما أشرت.

ب - تحديات تواجهه اللغة العربية:

إن أخطر التحديات التي تواجه العربية هي:²

- الدّخيل الوافد، ومزاحمة اللغات الأجنبية العربية هذه المزاحمة التي لا تخلو منها حياتنا العلمية والعملية مثل لفظة الرسكلة، الكوادر، المكننة..

¹ - أحمد مطلوب " في المصطلح النقدي - عربي - عربي دراسة ومعجم"، المرجع السابق، ص18.

² - ينظر محمد عبد المطلب البكاء " المصطلح العلمي في الثقافة العربية: خطره ومشكلته، وسبل معالجته.

- تدفق المصطلحات بفعل التطور الحضاري الهائل الذي يعيشه العالم اليوم، إذ يشهد ميلاد أكثر من خمسين مصطلحا علميا وتكنولوجيا في اليوم الواحد، وبعضها لا نجد له مقابلا في العربية فنقبله مكرهين مثال واتسوب ، التلغراف، التلغرام، انستغرام، فايسبوك...
- العامية أصبحت سائدة في لغة التخاطب والتفاهم.

هذه التحديات أفرزت مشكلات في واقع العربية يمكن حصرها فيما يلي:

إنّ قضية المصطلح وإن كانت تُطرح بحدّة في المجالين العلمي والتقني فإنّ المجالات الأخرى لا تخلو من مشكلاته؛ مشكل النحو والصرف، مشكل المعجمات والمفردات، مشكل التعبير مشكل الرسم (الإملاء).

حدد المجمع العلمي العراقي قواعد هامة في مجال وضع المصطلح الفني والنقدي، في خمسة عشر عنصرا ذكرها أحمد مطلوب في كتابة "في المصطلح النقدي عربي عربي، دراسة ومعجم"¹
فإذا واجهنا هذه التحديات أعتقد أن اللغة العربية تجد طريقها نحو إرساء المصطلح، وهذا لا يتأتى طبعاً إلا بإتقان العربية فهما وممارسة، ثم الاطلاع على اللغات الأجنبية التي تطورت وازدهرت في مجال المصطلح، واللجوء إلى أساليب وضعه، وهي كثيرة وقد أشرت لها سابقا. وتقوم الجامعات العلمية بالدور الريادي في توحيد المصطلح وإرسائه على أن يتولّى كلّ مجمع تخصّصاً من تخصّصات المصطلح، أو قسماً من أقسامه ثمّ تعميمه على سائر البلاد العربية وللجهود الفردية كذلك دور لا يستهان به في تقوية الجهد الجماعي. يقول عبد السلام المسدي " فهذا الأمل لا ينهض به إلا مراكز الأبحاث باعتماد سبل العمل الجماعي، ويبقى على الفرد واجب الإنارة يقدّم شهاداته على تجربته مع الموضوع كما عاشها."²

¹ - ينظر أحمد مطلوب " في المصطلح النقدي - عربي - عربي دراسة ومعجم " المرجع السابق، ص 13.

² - عبد السلام المسدي " الهوية والأمن اللغوي ، دراسة وتوثيق " المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت ط1/يوليو 2014.

إنّ بيلا في آخر مقاله ينبّه إلى ظاهرة تعدّد العبارات الدلّة على مدلول واحد بينما تظلّ عدّة مفاهيم تحتاج إلى توضيح. من النقاد من يرجع تعدّد المصطلح إلى تعدّد ثقافات ومشارب ومناهل واضعي المصطلحت العربية بين الفرنسية والإنجليزية بنوعيتها البريطانية والأمريكية وغيرها من الثقافات.

ويختم بيلا مقاله بقوله: فإنّي لم أزل منذ ربع قرن موقنا بأنّ اللغة العربية جديدة بأنّ تصبح لغة عالمية¹

غير أنّه يعوّل على الجهود الفردية وإن كانت مضطربة، وعلى الجهود الجماعية المتمثلة في الجامعات العلمية العربية، ويرى أنّ زوال الخلاف يتمّ بتوحيد الجهود تحت مضلة جامعة الدول العربية التي تكوّن لجانا مختصّين في المصطلح بمختلف فنونه، ويفضي جهدهم إلى وضع قاموس يدرّس في مختلف الأطوار التعليمية والجامعية.

إنّ ما طرحه بيلا حول العمل المؤسّساتي ليس جديداً، لقد كان ولا يزال من توصيات الهيئات والجامع العلمية واللغوية العربية، بل دعا له كثير من علماء اللغة ومنظرّيها من أمثال إبراهيم السمّرائي و أحمد مطلوب وعبد الرحمان الحاج صالح فيما دُعي بالدخيرة العربية. و عندما تتبعت رسائل وأهداف وتوصيات بعض الجامعات اللغوية* والعلمية الحيّة التي أنشئت قبل ميلاد شارل بيلا نفسه، أفدّر حجم الجهد الذي بذلته في سبيل الحفاظ على سلامة اللغة وجعلها تفي بمطالب العلوم والفنون، ملائمة لحاجيات العصر، محتواة المعاجم و المكتبات والمجلات،² غير أنّ المشكل الرئيس يكمن في التطبيق.

¹. شارل بيلا " اللغة العربية والعالم الحديث": مجلة اللسان العربي، المرجع السابق ص 55.

*مجمع اللغة العربية في القاهرة تأسّس سنة 1934، وجلسته الأولى للمجلس كانت في 3 ديسمبر 1940. (معجم عجائب اللغة، ص73)

². ينظر شوقي حمادة" معجم عجائب اللغة" المرجع السابق، ص73.74.

إنّ علمية اللغة العربية ثابت بالقرآن والسنة وباعتراف الخصوم، اعتبارا لما كانت عليه سلفا وما ستؤول له مستقبلا، أما اعتبار ما هو كائن فيرجع ذلك إلى حال الأمة العربية والوضعية التي هي عليها، وخفوت روح العربية نفوس أبنائها.

و الحديث في شأن اللغة العربية حديث ذو شجون لما لحقها من أذى، و مايراد لها من مكائد في ظلّ التحدّيات الراهنة ، يقول حافظ إبراهيم عن العربية وهي تنعي حظها بين أبنائها:

وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً ... وَمَا ضُقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْتَفِ آلَةٍ ... وَتَنْسِيْقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتٍ؟
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ ... فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَاصَّ عَنْ صَدَفَاتِي
وقد نسج على منوالها الأستاذ عماري عبد القادر قصيدة عنوانها اللغة العربية تستغيث:

كم ذا أُلَاقِي مِنْ أَدَى وَسَهَادٍ ... وَأُهَانَ مِنْ أَهْلِي وَ مِنْ حَسَادٍ
وَأَنَا الَّتِي نَزَلَ الْكِتَابُ بِأَحْرُفِي ... وَبِأَحْرُفِي نَطَقَتْ شِفَاهُ الْهَادِي
وَتَرَصَّعَتْ بِجَوَاهِرِي أَشْعَارُكُمْ ... وَشَدَا بِهَا طَرِبًا لِسَانَ الْحَادِي
وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ سَتَجِدُ سَبِيلَهَا إِلَى الْعَالَمِيَّةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لِأَنَّ جُهُودًا فَرْدِيَّةً وَجَمَاعِيَّةً
بُذِلَتْ وَتُبْدِلُ تَتَطَلَّبُ فَكَيْفَ تَزَكِّيْتَهَا وَمَبَارَكْتَهَا.

4 - بيلا و دراسات متنوعة:

1 - كتاب: "مجموعة من النصوص مقتطفة من الصحافة العربية:"

RECUEIL DES TEXTES TIRES DE LA PRESSE ARABE :

كتاب شارل بيلا هو في الأصل جمع لمقالات صحفية عربية متنوعة استهله بمقدمة تعرض فيها إلى المواضيع الأكثر تناولا أو اجتذابا وهي المواضيع ذات الطابع السياسي إذ يقول: "في الصحافة العربية المعاصرة الصفحات الأكثر اهتماما هي التي تحتوي على مقالات سياسية، الافتتاحيات والتعليقات، لكن سرعان ما تصبح مثيرة للملل"¹.

ذكر بيلا أن هذه المواضيع موجهة إلى المبتدئين من الشباب الذين هم بحاجة إلى تعلم واستئناس لغة عربية حديثة الظهور في التعليم، وهذه المواضيع سرعان ما تفقد صلاحيتها وتصير غير قابلة للاستيعاب ومسايرة الوضع، لذا يجب في كل سنة نشر صحيفة جديدة وما من عمل لا يخلو من سلبيات.

ثم واصل يقول: "لهذا فضلنا أن نقدم صورة عامة عن الصحافة العربية عن طريق تجزئة معلومات مختلفة مأخوذة من جرائد قديمة، معلومات، حوادث، ومقاطع إخبارية وإعلانات ومقالات حول الحياة الرياضية والاقتصادية والاجتماعية، والدينية وعن الأدب والفنون والعلوم المعاصرة والطب."²

ثمّ ختم مقدمته بعبارة موجهة إلى الشباب المعرب يقول فيها: "مع هذا نرجوا أن يجد المعربون في هذه المجموعة وسيلة فعالة تهيئ لقراءة الجرائد الحقيقية"³. فما الذي قدّمه شارل بيلا

¹ -ch., Pellat ; "recueil dz textes data Tires de la presse arabe "librairie D'Amérique et d'orient Adrien Maisonneuve 11.rue saint Sul prise – 1958 P :4.

² - المرجع نفسه، ص 5.

³ - المرجع نفسه، ص 5.

للشباب المعرّب ليهيئته على القراءة؟ أو بصيغة أخرى: ما المواضيع التي اختارها بيلا للشباب المعرّب كوسيلة فعّلة ليهيئته للإقبال على الجرائد الحقيقية؟ وما طبيعتها؟ وأي قراءة يقصد؟

أ - المرأة والأعراف والتقاليد:

لكلّ أمة أعراف وتقاليد تميّزها عن غيرها من الأمم، والإسلام حافظ على كثير من أعراف الأمة العربية بحكم انسجامها مع الفطرة السليمة، وغير من أعرافها ما لا يتلاءم و الطبع السليم، منها وأد البنات و استرقاقهنّ، وصان كرامتهن بدعوتهنّ إلى ستر مفاتهنّ وجعل العلاقة بين المرأة مبنية على المودّة و المحبّة، فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم " النساء شقائق الرجال"، فلا طغيان لأحدهما عن الآخر ولكلّ حقوقه وواجباته.

إن أول ما يتصدر هذه المقالات الصحفية موضوع " - تونس في أسبوع - تطور المرأة ومن ضمن ما جاء فيه "لقد تم التطور المحمود على أحسن حال وبأجمل منوال بالنسبة للمرأة التونسية، حتى لا تبقى هذه المشكلة عنوانا للتأخر بالنسبة للأمم الإسلامية وقد قُضي على وضعية مؤلمة كانت تعيشها وتحملها المرأة التونسية".¹ وأيّ وضعية هذه التي آلمت أشقاءنا التونسيين حتّى يتعاطف معهم الكاتب؟ يضيف المقال: "ومن حسن الصدق أن كان يبين تحرر المرأة التونسية من تلك الأوضاع العتيقة البالية التي لا مفهوم لها ولا مدلول وأبرزها ذلك الحجاب التقليدي الخالي من كل معنى إلا من معاني الرجعية والجهود"²

ومن جملة المواضيع التي جمعها بيلا حول المرأة:

- "حول تعليم المرأة"، ضرورة تعليمها.

- "فاس الجديد" لعبد الوهاب التازي.

¹ - المرجع السابق، ص 5.

² - المرجع نفسه 156-157.

- و"المرأة والعالم" وهو مقال حول المرأة السفياية جاء فيه:

"وبوصف المرأة السفياية مواطنة تتمتع بحقوق متساوية بحقوق الرجل ساهمت مساهمة فعالة في إنشاء المجتمع الديمقراطي الجديد..."¹.

ما نلاحظه هو الانتقائية في جمع المواضيع المتعلقة بالمرأة، و ترويج لأفكار تمس أصالة المجتمع العربي وتقاليدته، كمسألة " الحجاب"، ومسألة مساواة المرأة بالرجل، والحديث عن تعليم المرأة.

إنّ محاولة إسقاط توجهات غريبة على واقع عربي إسلامي مغاير لها تماما، دون النظر إلى خصوصيات هذا المجتمع، ترويج لفكر غربي صرف.

لقد وجدت هذه الطروحات صدى لدى أدباء وكتاب عرب عدّهم بيلا من رواد الحركة التحررية، وشاطرهم الرأي في مواضع كثيرة منها قوله: "و مهما يكن من أمر لقد اتسعت الحركة (حركة تحرير المرأة) فأفرد الكُتّاب رسائل وقصصا على القضية النسائية وأظهروا ما تواجهه المرأة المسلمة من المصاعب، وأكثروا من ذكر ما تستحقّه من حرية و استقلال وألحقوا خاصّة على مسألة الحجاب والسفور وغير ذلك ممّا يعرقل مواهبها وانشرح صدرها."²

وحول هذا التوجّه المريب والغاية منه كما يرى أنور الجندي هو إخراج المرأة من مكانتها ورسالتها، وتخطيم القيم الاخلاقية والاجتماعية والنفسية، كذلك في شأن العلاقة بين الرجل والمرأة، وبين الأجيال المتتابة من الرجال والنساء.

¹ - المرجع السابق، ص 157.

² - شارل بلا " الجاحظ والمرأة". حوليات الجامعة التونسية العدد رقم 25 في 1 يناير 1986، ص 11.

2 - "حسن حسني عبد الوهاب كما عرفته" بقلم شارل بيلا*:

مقال في ست صفحات تحدث فيه بيلا عن شخصية تونسية عاشت في العصر الحديث واحتفى بها العالم العربي والتونسي - بمناسبة تأبينها - لِمَا لها من وزن في التأليف التراثي وتحقيق المخطوطات، لكن مدحهم وثناؤهم له كان في جوانب ظاهرة وإغفال لجوانب أخرى خفية، كمساهمته في نشر دائرة المعارف الإسلامية حيث خدم الاستشراق من خلال العمل في الجهار الإداري لهذه المؤسسة مدة طويلة من الزمن.

لقد نَبّه بيلا في بداية المقال إلى نقطة حسّاسة أغفلها أو تغافلها رفقاء الفقيد، ولعلّ ذلك كان حياء منهم يقول: "لقد نوّه أصدقاء الفقيد بفضائله، الفائقة ومحاسنه الرائعة، فرثوه نثرا وشعرا، ترجموا له في الجرائد والمجالات دون أن يذكروا في أغلب الأحوال أنّه كان عضوا في اللجنة الإدارية لدائرة المعارف الإسلامية منذ سنين طوال ساهم في تحريرها أنفُس مساهمة."¹

و ما الذي أعدّته هذه اللجنة الموقرة - بعين الرحمة - لتكريم هذه الشخصية وقد أفنى عمره في خدمتها؟ لعلّ من المكافآت التي ارتأت منحها إياه، أن تدرج له ترجمة في طبعتها على غرار بقية المستشرقين المتوقّين يقول بيلا: " فلَمّا شرعنا في إعداد ذيلٍ للأجزاء الأولى من الطبعة الثانية وذلك بعد وفاة المغفور له بعدّة أعوام، أمسى من الممكن أن ندرج ترجمته في ذلك الملحق لأنّنا اشتَرطنا على أنفسنا ألا نترجم لأشخاص لم يزالوا على قيد الحياة، فطلبنا من صديقه الشاذلي بويحيى أن يعقد له مقالة وافية و إن كانت بطبيعة الحال وجيزة غير ضافية."² بيلا كان صريحا في الحديث عن هذه الشخصية لأنّه رأى أنّ الذين سبقوه من رفقاءه أغنوه عن المدح والثناء، لذا اكتفى بما أشار إليه، و الفرص السعيدة والظروف الغريبة والاتفاقات العجيبة التي لقيها من الفقيد، وذكر بيلا نزاعين شبّ بينه وبين حسن حسني كان

* ألقى بيلا هذه المحاضرة في حفل تأبيني للعلامة التونسي حسن حسني عبد الوهاب وبصفته ممثّلا للمجمع الفرنسي للكتابات والآداب.

¹ - شارل بيلا "حسن حسني عبد الوهاب كما عرفته" مجلة الفكر تونس العدد5 في 1 فبراير 1986، ص 57.

² . المرجع نفسه، ص 57.

الأول قبل أن يتعرف عليه في شوارع باريس سنة 1948 بمناسبة مؤتمر المستشرقين الدولي وكان أحد المشاركين فيه، والثاني بعده.

كان سبب النزاع الأول أنّ الأديب التونسي حسن حسني عبد الوهاب حقّق ما تبقي من آثار ابن رشيق القيرواني تحت عنوان "رسائل الانتقاد" و نشره في مجلة المقتبس سنة 1329هـ / 1911م. اعتمادا على مخطوطين الأول تونسي والثاني من مكتبة الأسكوريال وأعاد تحقيقها كل من محمد كرد علي ضمن مجموعته "رسائل البلغاء"، ثمّ عبد العزيز الخانجي باعتماد مخطوطة جديدة، و بعد أن اطمأنّ بيلا للتحقيق الثالث رأى أنّ تسمية "رسائل الانتقاد" لا تمت بصلة للمضمون "لأنّ ابن شيق لم يرد أن يكتب رسائل بل مقامات منسوجة على مقامات الهمداني ولم يذكرها البتة"¹ وأصدر عمله بعنوان "تمت المقامات المعروفة برسائل الانتقاد" وأرسل عمله للأديب التونسي الذي لم يستسغ ذلك، واكتفى كما ذكر بيلا بالتأخذ موقف جاحظي فشك في العنوان الذي اختاره بلا وقال "فيه ذلك نظر".

والموقف أو الخلاف الثاني كان مع المخطوط "التبصر بالتجارة" المشكوك في صحته للجاحظ. وقد رأى بيلا أنّ هذه الشخصية تتسم باللطف والسماحة وسعة الصدر.

ما صدر من الشيخ عبد الوهاب التونسي المحقق المعروف نحو بيلا قد يحدث مع أي شخص آخر، فما بالك مع محقق أجنبي حدث في مجال التحقيق. يقول بيلا: "لم يأل جهدا بعد ذلك الحين في إعانتي على التماس نادر المخطوطات والحصول على نفيس المستندات"، و يقول كذلك عن هذه الشخصية: "فأتذكّر أنّه اعتذر إليّ مرّة فغادر القاعة التي كنّا نتجاذب فيها أطراف الحديث ثمّ عاد وفي يده ظرف غليظ فناولنيه قائلا : "C'est une petite chose" ولما فضفضت ختام الظرف وجدت داخله صورة شمسية من مخطوطة مبتورة كان اقتناها عبد الوهاب بالقاهرة."² وهي المخطوطة التي ساعدت بيلا

¹. المرجع السابق، ص59.

². المرجع نفسه، ص60.

في تحقيق رسالة الجاحظ الموسومة: " في الحكمين وتصويب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في فعله"¹ التي نشرها في مجلة "المشرق للبنانية عدد4، في أول نوفمبر 1958.

لكن وأنا أتصّح هذه النسخة المحققة من طرف شارل بيلا، والتي عدد صفحاتها (خمسة وستون صفحة 65). و قد أعانه في ذلك التونسي محمد طالبي - محقق "المخصّص لابن سيده سنة 1956م - على تصويب ما أشكل عليه فهمه، وقد كان يشير له من حين لآخر في الهامش.

ولم يقدم بيلا لهذه الرسالة ولا ذيلها بفهارس كما هو معتاد. والصفحة الأخيرة منها لا تكاد تجد رابطا بين معانيها لكثرة ما فيها من فراغات بين السطور، كما أنّها تخلو من تعليقات إلا من قوله: " لعله: تقوموا (اقتراح محمد الطالبي)²

وفي نفس المجلة مباشرة بعد نشره لتحقيق الرسالة نشر بيلا فهرس (تراجم الأرقام إلى فقرات) بدءا من الصفحة 483 إلى الصفحة 487 بالعربية، وختم الرسالة بمقال بالفرنسية ذكر فيه بالجهود التي بذلها والأشواط التي قطعها، والمساعداً التي تلقاها في سبيل تحقيق الرسالة. وافتتح مقاله بالتنويه بجهود المحقق التونسي حسن حسني عبد الوهّاب وما كان له عليه من فضل على بيلا حين منحه جزءا من المخطوطة الجاحظية السالفة الذكر التي اقتناها من القاهرة³

ونحن نتساءل كيف تسنى لحسن حسني عبد الوهّاب المحقق البارع أن يضع هذه القطعة

¹ . عمرو بن بحر الجاحظ رسالة " في الحكمين وتصويب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في فعله" تحقيق شارل بلات . مجلة المشرق لبنان . العدد رقم4 في 1 نوفمبر 1958 (من ص 417 إلى 482).

² . المرجع نفسه، ص 482.

³ . ينظر شارل بيلا "رسالة عمرو بن بحر الجاحظ، فهرس (تراجم الأرقام إلى فقرات) يليها مقال حول الرسالة بالفرنسية (في التحكيم بين علي ومعاوية). _ - UNE RISALA INEDITE DE GAHIZ sure L'ARBITRAGE - Pa :488.

- مجلة المشرق، لبنان العدد4 في 1 نوفمبر 1958. ص 488.

القيّمة من التراث وما لها من قيمة معنوية موضع الشيء الصغير " C'est une petite chose". وهو مقدّمة كهدية للمستشرق شارل بيلا؟ حتّى ولو كان يجول في خلده أنّ بيلا مختصّ في أدب الجاحظ. وليس تمّة شخصية عربية أقدر على ذلك. ولماذا تقديمها بلغة المحتلّ مادام كلاهما متخصصّ في التراث العربي، و بيلا يعي العربية جيّدا نطقا وكتابة؟

كان حسن حسني يتمتع بمكانة سامية بين الأوساط الدينية والأدبية و أدّى دورا كبيرا في تحقيق التراث العربي، إلا أنه خدم مصالح الاستشراق من خلال تعاونه معهم، و منحه من وقته في سيّلتهم.، و هو ما حدث كثير مع العلماء والمبدعين العرب، محمد بن أبي شنب كما ذكر أبو القاسم سعد الله في موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي، وهذه العلاقة نجدها حتّى مع محمد كرد علي السوري و غيرهم، مع علمهم بما كان يمثّله الاستشراق من خلفية ثقافية للاحتلال، في وقت كان يراد فيه من هذه الشخصيات الموقف و التميّز.

وهذا يثبت ما ذكرته سابقا عن مساهمة العلماء والأدباء العرب في نشاط الاستشراق وتشجيع المستشرقين على تحقيق المخطوطات، بل تحقيق أهداف بعضهم غير المعلنة زمن الاحتلال، وما كان للاستشراق أن ينهض بأعباء التحقيق وحده لولا الدعم والتشجيع العربي له ماديا* ومعنويا.

* أفصد بالمادي: المواد المساعدة على البحث والتحقيق (مخطوطات، مطبوعات، مستندات..)

المبحث الرابع: شارل بيلا وتحقيق النصّ.

- 1- شارل بيلا وتحقيق النصوص.
- 2- شارل بيلا ورسائل الجاحظ:
 - أ- رسالة الترييع والتدوير للجاحظ تحقيق شارل بيلا.
 - ب- كتاب البغال للجاحظ تحقيق شارل بيلا.
 - ج- نقد نشرة "البغال" للجاحظ تحقيق شارل بيلا.
- 3- ديوان ابن شهيد. جمع وتحقيق شارل بيلا.
- 4- "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي تحقيق بيلا.

المبحث الرابع: بلا وتحقيق النصّ.

1. شارل بيلا وتحقيق النصوص:

اهتمّ شارل بيلا اهتماما كبيرا بالتحقيق وانحصر معظمه في آثار الجاحظ وحظه في هذا المجال لم يكن أوفى من حظوظ بعض المستشرقين الفرنسيين أمثال سلفستر دي ساسي ورجيس بلاشير، ليفي بروفنسال وغيرهم؛ فالأول يعدّ من الرواد الفرنسيين في مجال التحقيق والثاني أثمرت جهوده إصدار كتاب "قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها" رفقة جان سوفاجيه في باريس سنة 1953م، ترجمه إلى العربية محمود المقداد وقال معلقا عليه: "و هو يمثل تنويجا لجهود المستشرقين الفرنسيين في مجال تأصيلهم علم التحقيق الذي يعدّ صورة مثلا لعلمهم الذي بلغ ذروته في منتصف القرن العشرين قبل أن يتلقف المحققون العرب الراية من أيديهم ويضطروا نتيجة ذلك نشر كثير من منشوراتهم".¹ و الثالث بروفنسال الذي عرف بكثرة تحقيقاته للمخطوطات العربية.

بيلا من المستشرقين الذين حققوا الدخائر العربية التراثية منها: مروج الذهب للمسعودي و"كتاب الأنواء" لابن قتيبة، وبعض رسائل الجاحظ، كرسالة "البغال، ورسالة الحكمين والتي اعتمد فيها على مخطوطة ميلان رقم 129، وأعاد تحقيقها فيما بعد الدكتور علي أبو ملح، ورسالة الترييع والتدوير التي سنفصل الحديث فيها لاحقا كما قام بجمع وتحقيق ديوان ابن شهيد الأندلسي، وله فضل السبق في بعضها.

ويرى بعض المحققين أنّ نشرة بيلا "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي تعدّ من أفضل تحقيقاته، حيث استغرق فيها زمنا طويلا، و بلغ عدد أجزائها ست أجزاء.

¹ - محمد بن معمر " منهج ليفي بروفنسال الاستشراقي في تحقيق تراث الغرب الإسلامي" مجلة الحضارة الإسلامية . دار الغرب للنشر والتوزيع 7 العدد - 2001م ص (212-213).

2 - بيلا ورسائل الجاحظ:

أ - رسالة التبريع والتدوير للجاحظ تحقيق شارل بيلا:

رسالة التبريع والتدوير للجاحظ اعني بتحقيقها شارل بيلا، ويرجع فضل السَّبَق في نشرها إلى المستشرق الهولندي فان فلوتن، وقد أشار إلى ذلك بيلا بقوله: "كتيب للجاحظ هو في نظري أعظم آثاره أهمية وأكثرها نفاسة ألا وهو (التبريع والتدوير) الذي ظل نسبياً منسياً إلى أن نشره المستشرق الهولندي (فان فلوتن) VAN VLOTEN معتمداً على مخطوطة وحيدة¹.

وله في موضع آخر: "التبريع والتدوير الذي ظل شيئاً منسياً إلى أن نشره VAN VLOTEN مستنداً إلى مخطوطة وحيدة، ويجدر بي أن ألاحظ هنا أن مخطوطات الجاحظ قليلة العدد، فيدل ذلك على قلة الاهتمام والاكتراث بمؤلفاته في القرون الوسطى فظل التبريع والتدوير شيئاً منسياً إلى أواخر القرن الماضي، ثم ظل لغزاً من الألغاز إلى أن بلغت مرادي منه بعد جهد لا يتوهمه القارئ².

وحول هذه المخطوطة الجاحظية ونُدرة نُسخها وما بذله من جهد في تحقيقها يقول: "يجدر بي أن ألاحظ هنا أن المخطوطة قليلة العدد مما يدل على قلة الاهتمام بمؤلفاته في القرون الوسطى فظل كتاب (التبريع والتدوير) مهملاً بل لغزاً من الألغاز حتى أواخر القرن الماضي، إلى أن عثرت عليه فحققت ونشرته بعد جهد طويل وكَدٍ لا يتصورهما القارئ³.

¹ - بيلا شارل، "الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء"، ترجمة إبراهيم الكيلاني، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1/1985- ص 276.

² - أصالة الجاحظ، ص 09.

³ - بيلا شارل "الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء"، ترجمة إبراهيم الكيلاني، ديوان المطبوعات الجامعية (المرجع نفسه) ص 276.

تجدر إشارة هنا إلى أنّ شارل بيلا درس للجاحظ دراسة مستفيضة، وهو عند إصداره لأحكام في شأنه لم ينطلق من العدم، لقد فهم معنى قول النقاد: "الجاحظ معلم العقل والأدب" أكثر من فهمهم له في نظره، وكان اهتمامه به منقطع النظير إذا ما قرن مع غيره من المستشرقين، و ما يدل على ذلك تحقيقه لرسائل الجاحظ في وقت مبكر بعد أن كانت في طي النسيان. ويرى بيلا في رسالة التريبع والتدوير مع نفاستها وأهميتها لم تكثرت لها الأجيال المتعاقبة، لذا ظلّت مُغمرة منسية إلى أن اضطلع بتحقيقها فأزاح عنها الغبار.

إنّنا لا نشاطر رأي بيلا في أنّ قلة عدد نسخ هذه الرسالة دليل على عدم الاهتمام بمؤلفات الجاحظ لأنّ مسألة نُذرة النُسخ قد ترجع إلى عوامل كثيرة: منها الطبيعية من سيل و أرضة وغيرها، و منها الإنسية، ويكفي هجوم الماغول وإتلافهم للمخطوطات وما حدث لمكتبة الحكمة في بغداد، والحملات الصليبية المتوالية و انعكاساتها الثقافية الوخيمة على المجتمع العربي، وقد تكون لتلك الرسالة نسخ أخرى لم تُكتشف بعد، أمّا مسألة الاهتمام بمؤلفات الجاحظ فأعتقد أنّ الجاحظ ما أقلّ نجمه، ولا نُسي ذكره يوماً، والإسقاط هنا غير سليم.

أ - هذه الرسالة أو هذا المؤلّف طُبِعَ بدمشق وُكُتِبَ على واجهته المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات الفرنسية، وبخط عريض عنوان المؤلّف "كتاب التريبع والتدوير للجاحظ"، عُيِّنَ بِشْرَهُ وتحقيقه شارل بلات أستاذ بمدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس، دمشق 1955.

ب - الصفحة الموالية نجد اسم المكتبة المتواجد فيها الكتاب وعنوان الكتاب وما يتعلق به كتصنيف ببليوغرافي.

ج - استهلّ بيلا نشؤته (الرسالة) بالبسملة: "بسم الله الرحمن الرحيم". ثمّ عرض كامل الرسالة التي تبدأ بالفقرة الأولى (01) قول عمرو بن بحر الجاحظ: "كان أحمد بن عبد الوهاب

مفرط القصر ويدعي أنه مفرط الطول...¹ انتهت في الفقرة (207) و خُتِمت بعبارة "تمت الرسالة" مما يدلّ على أنّ نص المخطوطة مكتمل.

د - أحصى بيلا عدد فقرات الكتاب من خلال وضع رقم لكل فقرة تبدأ من الفقرة واحد (01) و تنتهي في مائتين وسبعة (207)، وفق ترتيب تسلسلي يسهل على القارئ أو الباحث الرجوع إلى الكتاب والاستفادة منه بدل الاعتماد على أرقام الصفحات التي قد تتغير بتغير الطبعة.

ج - عرض كامل الرسالة في مائة صفحة ذيلها بتعليقاته وختمها بمعجم لشرح الألفاظ باللغة العربية واللاتينية وفق الحروق الأبجدية (أ- ب- ج- د).

- منهج شارل بيلا في تحقيق ورسالة التريبع والتدوير:

وما يهمننا هنا هو معرفة مدى تطبيق بيلا لمنهج التحقيق، و بيان مواضع الإيجاب والسلب. و التحقيق ميدان صعب المراس، شاق على أهل الضاد فكيف بمن ليس من أهله ويشغل فيه، لكن يبدو أن بيلا تمرّس فيه أشدّ التمرّس.

الرسالة خالية من ترجمة المؤلف، والتعريف بالرسالة، والنسخ المعتمدة، وقد دأب أهل تحقيق النصوص على البدء بمقدمة يذكرون فيها كلّ ما تعلق بصاحب النصّ، وكتابه وأسلوبه ومشايخه وغيرها من الأمور المحيطة به، و ذكر النسخ المعتمدة عددها، صفتها، نوع خطّها حجم ورقها، رمزها الأصلي الببليوغرافي ومكان تواجدها في مكتبات العالم.

وربّما استغنى بيلا عن ذلك لشدة علاقته بالجاحظ، إلاّ أنّه ينبغي أن يراعي حقّ الدارس والباحث فكلاهما أحوج إلى تلك المعارف لتقييدها بدل الحصول عليها مجزأة في مظانها.

ما يسترعي الانتباه هو تقسيم الكتاب إلى فقرات وترقيمها (مائتان وسبع فقرات) وهو ما يسهل بالطبع على القارئ إحصاء الفقرات والرجوع إليها عند الحاجة.

¹ - الجاحظ " كتاب التريبع و التدوير " عني بنشره و تحقيقه شارل بلات ، دمشق 1955، ص 5 (الرقم غير ظاهر)

وكأني بالمرحوم محمود شاكر - مع ما يظهره من امتعاض للمستشرقين - يتأثر بهذه الطريقة في تحقيقه لكتاب " دلائل الإعجاز " عندما قسّم الكتاب إلى فقرات مرقّمة تيسيرا للقارئ إذ يقول: " وجعلت همّي أن يكون قارئ الكتاب ماضيا في قراءته دون أن يُعثر أو يتلقت تلقتا يعوقه على المضي في قراءته. فأعنته بتقسيمه إلى فقرٍ مرقّمةٍ...¹ " وقد حُقّق الدلائل بعد ظهور نشرة رسالة التريبع والتدوير.

فيما يخص التوثيق: قام المحقق بوضع الإحالات أو الهوامش في أسفل الصفحة لتصويب ما يمكن تصويبه، واعتمد النسخ ووازن بينها، كما في قوله في هامش الصفحة ستة (6) ورد في الإحالة (1) الصفحة (13) " وشاهد كما في ل؛ ط وف وم وس. " وكذا في ف وم وس، ولعل الصواب: وفي. " " وكذا في ف وم، وس. " وفي الصفحة (30) قوله: " كذا في المخطوطة وجميع النسخ " و في ص: 82. قوله " كذا في جميع النسخ والصواب: كسرى. "

و هذا دليل على أنّ المحقق اعتمد على عدة نسخ رمز لها بحروف الهجاء، لكن كان من الأولى أن يذكر النسخ المعتمدة في المقدمة كما أشرت، فكيف نعرف حقيقة النسخ ما لم تكن موصولة في المقدمة بأصولها؟ لأنّ الرموز تفيد المحقق، و التعريف بالنسخ ومكان تواجدها في المكتبات العربية والأجنبية تفيد الباحث والمحقق والمحقق الناقد.

- اعتمد المحقق على بعض المصادر و المراجع التي وردت فيها ذكر الروايات كالبيان والتبيين ولسان العرب، و المستطرف، و لسان العرب، و تاج العروس و الحيوان ج2، الشعر والشعراء لابن قتيبة، مجاني الأدب، ديوان المعاني للعسكري ج1، العقد الفريد ج6، ثمار القلوب أمثال الميداني ج1، وغيرها من المصادر.

- همّش المحقق للسور والآيات القرآنية، وإنّه ليزكر موضع السورة و رقم الآية القرآنية بأمانة علمية (سورة البقرة الآية 5، ص 5، وسورة العلق الآية 19 ص8 سورة مريم الآية 92...).

¹ - عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر و النويج القاهرة، د/ت ط.ص: ز

- كما دَلَّ على الاقتباس منه في (الصفحة 05) في قول الجاحظ: "قد أعطى البسطة في الجسم والسعة في العلم"، اقتباس من سورة البقرة الآية 246. وفي قوله كذلك: "ونفختُ عليك إلى يوم ينفخ في الصور" (ص12)، اقتباس من سورة الأنعام الآية 83.

- مما يجدر التنويه به كذلك أنّ المحقق أثبت كثيرا من الأبيات الواردة في النص كما في الصفحة أربعة عشر (14) قول رافع بن هريم، حيث ذكر في الإحالة: "البيت في الشعر والشعراء ص:132 في تاج العروس مادّة حش وفي لسان العرب ج7ص173." وهو جهد يحسب للمحقق.

- وقد اشتملت الرسالة في الآخر على عرض، ومسرّد لمصطلحات الكتاب شُرّحت بالفرنسية. (قاموس عربي فرنسي)، والنشرة فيما يبدو موجه للأجانب لمعرفة الرسالة وتعلم العربية. و يمكن تلخيص الإيجابيات والسلبيات فيما يلي:

- نهج المحقق طريقة تقسيم الفقرات، و وضع أرقام متسلسلة في بداية كل فقرة حسب التقسيم الذي ارتآه ليتمكن القارئ من الرجوع إلى أي فقرة يريد أن يعلق عليها بسهولة حسب تلك الأرقام، وهي أفضل من التوثيق بأرقام الصفحات التي تتغير من طبعة إلى أخرى بينما لا تتغير أرقام الفقرات.

- ضَبَطَ المحقق المتن بعلامات الوقف وكلّنا يعلم ما لها من دور في تحديد معاني النص إذ لا يُتصور نص بدونها.

حاول المحقق وضع الفواصل والنقط والأقواس بأنواعها، والشكل الذي تستوجبه بعض الكلمات والتعليقات الموجزة في أسفل الصفحات، لكننا نجد كثيرا منها في غير مواضعها أو ينقصها الإحكام والدقة، فقد وُضِعَت فواصل في غير أماكنها، كما في متن قول الجاحظ (ص9): وقال ابن عُيَيْنَةَ: " قال الحسن: ما رأيت فقيها قطّ يضاها ولا يماري؛ إنّما ينشر حكمته: فإن قُبِلت حمد الله _____ وإن رُدّت حمد الله؛" عن إبراهيم ابن إسماعيل. وقوله في نفس الصفحة: عن المبارك بن سعيد قال: " قال مجاهد: صحبت رجلا من قريش.. ونحن نريد الحجّ

فقلت له يوما: هلّم نتفتح الرأي؛ _ فقال: "دع الودّ كما هو"، فعلمت - والله - أنّ الثّرشي قد غلّبي!"

- وضع بيلا في آخر نشرته مسردا لترجمة بعض الكلمات من العربية إلى الفرنسية مرتبا ترتيبا ألفبائيا. وردت لفظة "مبغضة" في سياق المتن: "والمزح جمام والجدّ مبغضة والمزاح محبة" وذكر بيلا في ترجمة مبغضة: mépris وقال هي ضد المحبة، غير أنّ الكلمة mépris أقرب إلى الاحتقار والازدراء والاستخفاف منه إلى البغض¹، واللفظتان مع ما قد تحمل من تقارب إلا أنّ العربية معانيها دقيقة، فالبغض ضد الحب، من بغض الشيء مقته وكرهه، والاحتقار التقليل من شأن الآخر والاستهزاء به، وضده التعظيم. وقد يؤدّي الاحتقار إلى العداوة، وقد حُرّم ذلك على المسلمين.

- استشهد الجاحظ في هذه النسخة بأربع عشرة بيتا وأربعة أشطر من أبيات شعرية قام المحقق بذكر أسماء مجورها، وحاول نسبة بعضها إلى قائلها، وحققها تحقيقا يحتاج إلى التحقيق.

- التعريف بالأعلام: و "لأنّ التعريف بها من مستلزمات التحقيق والتي من شأنها تقريب النصّ إلى القارئ، وإعانتته على إدراك أبعاده ومراميه وخلفياته"،² في قوله: قال ابن عُيَينة قال الحسنُ: ما رأيت... (المتن ص 9).

لكن كيف يتسنى للقارئ معرفة القائل والتأكد منه؟ فاسم الحسن كثير في الأثر، أهو الحسن البصري؟ أم الحسن ابن علي ابن أبي طالب (رضي الله عنهما)؟ أم غيرها؟

- وجود أماكن فارغة في المتن من بدايته إلى نهايته، وهو ما يثير الشك، ويوهم القارئ بوجود كلمات محذوفة أو أنّها مقاطع أبيات شعر.

¹ - ينظر شفيق جبري " التعريف والنقد. كتاب الترتيب والتدوير. عني بنشره وتحقيقه، شارل بلات أستاذ بمدرسة اللغات الشرقية بباريس - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سوريا، ال عدد رقم 1 في 1 يناير 1956. ص 120.

² - محمد بن معمر "منهج ليفي برونسفال في تحقيق تراث الغرب الإسلام مجلة الحضارة الإسلامية العدد 7، 1422هـ. 2001م دار الغرب للنشر والتوزيع وهران الجزائر. ص 370.

ولكنك عند قراءتك للنص لا يبدو كذلك، لذا كان على المحقق أن يوصل بين تلك الجمل والعبارات، ويضع علامات الوقف حتى لا يوهم القارئ بوجود حذف في النص.

والملاحظ كذلك أنّ المحقق ترك كثيرا من الفراغات بين الفقرات

تأمل معي جزاك الله خيرا الصفحة عشرة (10): السطر الأول من الفقرة الأولى (1):

أطال الله بقاءك _____ وأتمّ نعمته عليك _____ وكرامته لك.

وقوله: "...حُسن القامة _____ وضخّم الهامة _____ وعلى حُور العين _____ وجودة القدّ

هذه الفراغات - التي أشرتُ تحتها بسطرٍ - أليست توهم القارئ بكلام محذوف؟

و كأنّها مقاطع أبيات شعر، ومعاني الفقرات تامّة أحيانا، لكنّ النصّ مليء بها.

وهنا يقع دور المحقق لأنّ مهامه ضبط النصّ، وهذه الفراغات التي تشوّه المتن بإمكانه معالجتها لأنّ الذي يسببها أحيانا هم النسخ، فللمحقق الحقّ في ضبطها بعد التحقيق، أمّا تقويم الأسلوب فهو أمانة ولا يحقّ أن يتصرّف فيه إلا صاحبه.

- يُكثر المحقق من اعتماد عبارة "لم نجد هذا القول في مراجعنا" كما في إحالة الصفحة 9 "ما يدلّ على أنّ المراجع التي اعتمدها غير كافية ولا تفي كلّها بالغرض، وكثير هي الأقوال التي لم يهتد إلى تحديد مصادرها.

- جاء في نص الرسالة ص18، قال الشاعر (من بحر الطويل):

كأنّ بلادَ الله وهي عريضة *** على الخائف المطلوب كفةً حابِل

ذكر المحقق في الإحالة من نفس الصفحة " البيت لعبد الله بن الحجاج؛ انظر الحيوان ج4 الصفحة 466، وثمار القلوب الصفحة 65، دون أن يذكر المطبعة والطبعة والسنة لتسهيل الرجوع إلى المصدرين.

لقد عَثَرْتُ على هذا البيت منسوباً للشاعر لبيد بن ربيعة العامري، المصدر: ص 365. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري تحقيق إحسان عباس.¹ والمحقق مشهود له بالنزاهة في هذا المجال. كما أورده ياقوت الحموي في معجمه "معجم الأدباء منسوباً لرَبِيزِ العروضي، لكن يبدو أنّ المصدر الأول أرجح.

- ذكر المحقق في تعليقه على بعض الأبيات "لم نعثر على هذا البيت" ص 18. ورد كذلك في نفس الصفحة شطر بيت، (عجزه فقط) وقال آخر (من بحر الطويل):

..... وفي الأرض للمرء العريضة مذهب.

فالبيت يحتاج إلى تكملة وقد لا تنفي المراجع المعدودة التي اعتمدها المحقق في إيجاد صدر البيت المحذوف، ولم يتم بإتمامه، ومعرفة صاحبه، ولا يعني هذا أنّ بيلا لم يبذل جهداً في تحقيقه بالعكس، حاولت جهداً لعلّي أعتز على صدر هذا البيت لكن دون جدوى.

¹ لبيد بن ربيعة العامري شرح الديوان حقّقه وقدم له د/ إحسان عباس، سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت ط/ 1962 ذكر أعلاه (محاضرات الراغب 2:80)، ص 365.

ب - كتاب "القول في البغال" للجاحظ حَقَّقَه وعلَّق عليه و وضع له الفهارس شارل بيلا :

رسالة أخرى للجاحظ اعنى بتحقيقها شارل بيلا، وبدل جهدا في تحقيقها، وتمثّل في كتاب "البغال" للجاحظ، وهو جزء كسائر أجزاء (الحيوان) يعكس لنا ثقافة الجاحظ الموسوعية ومناحيه الفكرية المتنوعة¹ في سائر فنون الأدب، وطبائع الحيوان.

طبع الكتاب في مطبعة دار الجيل سنة 1995، وهي النسخة التي اعتمدها في دراستي هاته، وقد أشار علي أبو ملحم إلى تاريخ نشر الكتاب للمرة الأولى، كان ذلك سنة 1955 على يد شارل بيلا في مطبعة الحلبي في القاهرة.² ثمّ قام بنشره عبد السلام هارون بعد عشر سنوات.

استهلّ بيلا الكتاب بترجمة للجاحظ (حياته، شخصيته، آثاره، كتابه القول في البغال) بخلاف المؤلف الأول (رسالة الترييع والتدوير). يبدو أنّ بيلا هنا استدرك ما فاتته في التحقيق الأول فذكر النسخة المعتمدة في التحقيق، ولو أنّها نسخة واحدة، أشار لها نقاد التحقيق وسنفضّل القول فيها لاحقا.

وعن تحقيق نسبة الكتاب إلى صاحبه يؤكّد بيلا أنّ كتاب البغال للجاحظ يظهر من خلال أسلوبه، إذ يقول: "ويبدو واضحا لذي مطالعة كتاب (القول في البغال) أنّ الأسلوب جاحظي لفظا ومعنى. فهو يلجأ إلى سرد الأخبار وتدوين الأشعار، واستقصاء الغريب، ونقد ما يبدو غير منطقي، والشكّ في بعض ما تتفق على صحّته العامّة. وهذه الخصائص لا نقع عليها عند غيره من كتّاب العصر"³ و يستدلّ في تحقيق نسبة الكتاب إلى صاحبه بقول الجاحظ نفسه في مطلع كتابه البغال " كان وجه التدبير في جملة القول

1 - ينظر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ "البغال" قدمه له وبوبه وشرحه علي أبو ملحم دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت لبنان ط3/2008، ص:6.

² - يُنظر المرجع نفسه، ص (5.6).

³ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ "القول في البغال" حَقَّقَ الكتاب وعلَّق عليه ووضع الفهارس شارل بيلا، دار الجيل بيروت. ط1416هـ. 1995م. ص (7.8).

في البغال أن يكون مضموماً إلى جملة القول في الحافر كلّهُ، فيصير الجميع مصحفاً واحداً كسائر مصاحف "كتاب الحيوان" وقد منع من ذلك ما حدث من الهمّ الشاغل، وعرض من الزمانة ومن تخاذل الأعضاء...¹ وهو ما يدل دليلاً قاطعاً على أن الكتاب للجاحظ كتبه في أواخر أيامه، وقد منعه مرضه ومشاغله وغيرها من الأمور التي حالت دون أن يضمّه لكتاب الحيوان. ويجمع محققوا مؤلفات الجاحظ أنّ الكتاب له مؤكّداً.

ويبدو أنّ المحقق بيلا اعتمد في تحقيقه على نسخة واحدة ذكرها في مستدركه في نهاية المقدمة قبل عرض نصّ أو متن الكتاب، وجاء فيه "نلفت القارئ الكريم إلى أنّ الكتاب محقق على نسخة واحدة، مأخوذة من مخطوطة محفوظة في مكتبة داماد إبراهيم باشا تحت رقم: 994، و"القول في البغال" يتدئ على ظهر الورقة 197 وينتهي على ظهر الورقة 231. وقد أشير إلى ذلك في متن الكتاب، حيث ذكر حرف (و) أي (وجه) أو حرف (ظ) أي ظهر إلى جانب رقم الورقة.² وقد تبين أنّ للكتاب نسخة ثانية فلم يستطع المحقق الحصول عليها رغم ما بذله من جهد في ذلك، يقول: "وَدِدْنَا لو حصلنا على نسخة منها لتصحيح ماورد في مخطوطتنا، ولكم رأينا أنّ كلّ مسعى في هذا الغرض مكتوب عليه الخيبة..."³

بيلا على اطلاع واسع بتحقيق النصوص ومعرفة مصطلحاته كالتصنيف والتحريف والخطأ والطمس، وهناك نقاط تحسب للكاتب في تحقيق النصّ نذكر منها:

- قيامه بتصويب ما وُجد من تصحيف وتحريف في المتن والإشارة إلى ذلك في الحاشية أو الإحالة.

¹ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ "القول في البغال" حقق الكتاب وعلّق عليه ووضع الفهارس شارل بيلا، ص 8.

² - المرجع نفسه، ص 8.

³ - عبد السلام هارون "نقد الكتب". كتاب البغال لأبي عثمان الجاحظ تحقيق شارل بيلا "مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، المجلد الثاني، الجزء الأول، شوال 1375هـ - ماي 1965م، ص 179.

ففي (الصفحة 9) وضع اللفظ "كان" بدل "كال" كما ورد في الأصل وعلّق على ذلك في الهامش بقوله: " كان: وردت في الأصل كال، والصحيح كان."¹

وفي نفس الصفحة تعرّض للفظٍ مطوسٍ فاستعاض له لفظاً مناسباً وأشار إلى ذلك في الإحالة بقوله: "أن: مطموساً في الأصل" أي بمعنى غير موجود في النسخة الجاحظ الأصلية (المخطوطة).

- قيامه بتنقيط الحروف غير المنقطة، وضبط الكلمات ليستقيم معناها كما في (الصفحة 10) "البال وردت في متن النسخة الأصلية بدون نقطة. و الحال: وردت خطأ الحال في النسخة الأصل (في الصفحة نفسها).

- تحقيقه الأقوال والأشعار بالرجوع إلى المصادر مع تحديد الأجزاء إن وجدت ورقم الصفحة التي اعتمدها كالعقد (1:253).

جاء في المتن الجاحظ وهو يتحدّث عن البغلة: "...قال إنّها نَزَلَتْ عن خَيْلاء الخيل وارتفعت عن ذِلَّةِ العَيْرِ*، وخير الأمور أوسطها"، ويهمّش المحقق لهذا القول أي في الإحالة حيث يورد ما "جاء في العقد (العقد الفريد) (1:253): وعاتب الفضل بن ربيع بعض الهاشميين في ركوب بغلة، فقال: " هذا مركب تظاهر عن خيلاء الفرس، وارتفع عن ذلّة الحمار وخير الامور أوسطها"²

- عمد المحقق إلى شرح الكلمات الصعبة ليسهل على القارئ فهم النصّ بدل الرجوع والبحث عنها في مظانّ أي: القواميس والمعاجم. (الزمانة: العاهة... العذال: جمع عاذل: اللائم... الأحص....).

¹- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ " القول في البغال" حقق الكتاب وعلّق عليه ووضع الفهارس شارل بيلا، ص 9.
* العَيْرُ بالفتح هنا المقصود به الحمار. إذ لو كُسِرت العين لدلّ اللفظ على ما يُحمّل عليه الطعام من قوافل الإبل والبغال والحمير، ولما جازت المفاضلة لدخول البغال في الزمرة الثانية.

²- المرجع نفسه، ص13.

ورد في المتن الفقرة رقم 8 قول الجاحظ: " وكانت للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة تسمى دُلْدُل، وحمار يسمى يعفور، وفرس يسمى السَّكْب، وله ناقتان: العَضْبَاء والقَصْوَاء." ¹ أورد مدلول الكلمتين الأخيرتين بالعودة إلى كتاب الحيوان (يذكرهما الجاحظ في الحيوان. العَضْبَاء الناقة المشقوقة الأذن، والقصواء: الناقة المقطوعة الأذن)

- ترجمته لمعظم الأعلام الواردة في النصّ ترجمة مختصرة منسجمة مع منهج التحقيق.

- ضبط الآيات الواردة في النصّ بالشكل التامّ، نحو قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ مَكِيدُونَ﴾ وهَمْش للآيات في الإحالة برقم 5: سورة النمل الآية 36. وقد اعتمد رواية حفص عن عاصم لأنّ في رواية ورش عن نافع رقمها 37. (الصفحة 23، الفقرة 18).

والإحصاء بالفقرات أفضل بكثير لأنّ الصفحة قد تتغيّر بالتصويب والزيادة في طبعات جديدة. وهي عادة مميّزة معظم ما اطّلت عليه من تحقيقات بيلا.

- ذيل بيلا نشرته بمجموعة من المسارد والفهارس لانبجدها في معظم الكتب المحقّقة، وهي كالتالي:

- فهرس الكتاب: تدلّ الأرقام على تسلسل الفقرات لا على الصفحات.
- فهرس أنواع الحيوان: رتبه المحقّق حسب أرقام الفقرات.
- فهرس أعلام الحيوان: رتبه المحقّق حسب أرقام الفقرات.
- فهرس سائر الأعلام: رتبه ترتيباً ألفبائياً. مع ذكر الفقرات المتواجد فيها.
- فهرس القبائل والأمم والطوائف: رتبه حسب أرقام الفقرات.
- فهرس البلدان والموضوعات: وقد رتبه وفق أرقام الفقرات
- فهرس الأشعار: أول البيت - القائل - الفقرة - البحر - القافية - مرتبا ترتيباً ألفبائياً.
- فهرس الأرجاز: أوّله - آخره - أوّله - آخره - قائله - الفقرة.

¹ - المرجع السابق، ص 15.

- فهرس اللغة مرتب حسب أرقام الفقرات.
- فهرس المراجع والكتب المذكورة في الحواشي.
- المراجع بالأجنبية.
- فهرس المواضيع: مقدمة، المواضيع مقسمة حسب الأبواب متسلسلة وفق أرقام الفقرات.

ما قام به شارل بيلا - في الحقيقة - على ما فيه من نقص أو اختلال فيُعدّ مجهوداً رائداً باعتباره سبق غيره من المستشرقين والعرب إلى تحقيق المؤلف، كما أنه فتح المجال أمام المحققين العرب لإعادة تحقيق تراثهم من جديد بعد أن فقهاو وهدقوا هذا الفن.

- هذه الملاحظات التي سُقَّتْها جاءت قبل أن أُطَّلِعَ على نقد عبد السلام هارون لنشرة بيلا.

ما يؤخذ على تحقيق بيلا لرسالة البغال أنه:

- اعتمد المحقق نسخة واحدة وهذا غير كاف، ولا يترك مجالاً للمقارنة بين النسخ مع علم المحقق بوجود نسخة أخرى في مدينة الموصل، و هو ما وقع فيه عبد السلام هارون هو الآخر الذي اعتمد نسخة **دمداد*** فقط على غرار بيلا، ربّما لاستحالة الوصول إلى نسخة المذكورة يقول علي أبو ملحَم: "وأشار الناشران إلى أنّ للكتاب أصل آخر موجود في مخطوطات الموصل رقم 265.¹" غير أنّ بيلا ذكر أنّه بحث عنها، وأخبر يأنّها ضاعت بعد وفاة صاحبها.

- اقتضب شارل بيلا إلى درجة الإخلال في ذكر أعلام المراجع أو أسماء المراجع مثلاً:

(جاء في العقد (4:253) ص:13.

* داماد محمود جلال الدين باشا: ولد في إسطنبول 1853م - وتوفي في بروكسل 17 ديسمبر 1903م (هو رجل دولة عثماني، وشاعر وكاتب).

¹ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ " البغال " قدّم له وبوّبه وشرحه علي بو ملحَم. (المرجع السابق)، ص6.

(في اللسان: هضم) ص: 14، لا يذكر عنوان الكتاب ولا اسم مؤلفه كاملاً، وحيانا كثيرة لا يذكره أصلاً. وسواء "العقد" أو "اللسان" أو المستطرف و غيرها من المصادر فقد يعرفه أهل الاختصاص ومن دأبوا على البحوث في هذا المجال، وقد لا يعرفها الباحثون حديثوا العهد بالبحث والتحقيق.

عمدت إلى عقد مقارنة بين نشرة شارل بيلا في تحقيقه لكتاب البغال للجاحظ ونشرة علي بن ملحّم المحقق الأخير الذي قدّم للكتاب وبوّبه وشرحه، كما ذكر ذلك في واجهة نشرته، وكنت أتوقّع أن يكون هذا الأخير قد شرح أبيات النصّ أو شيء من هذا القبيل، وما وجدته بدل جهداً أكبر على ما تركه عليه بيلا صراحة، بل بالعكس كان بيلا أكثر شرحاً وتعليقاً وتبويباً ورجوعاً إلى المصادر حيث نجده يذكرها في الإحالة والفهرسة، بل ويذكر المراجع المكتوبة بالأجنبية ككتاب أبي دلّامة لمحمد بن أبي شنب الجزائري المطبوع سنة 1922م.

وقد فاق غيره في تحقيق الأبيات الشعرية والأقوال المأثورة، واكتفى علي أبو ملحّم بفهرسي الأعلام والموضوعات وبعض الشروحات، و ضمّ الكتاب إلى الحيوان.

ج- نقد نشرة "البغال" للجاحظ تحقيق شارل بيلا من قبل عبد السلام هارون:

- قمت في هذا المقام بالوقوف على نقود كتاب "القول في البغال" الذي حقّقه شارل بيلا ثمّ توالى على تحقيقها عبد السلام هارون، و بعده علي أبو ملحّم. وحسب اطلاعي فإنّ أوّل من نقد نشرة بيلا هو عبد السلام هارون الذي كان يسعى جاهداً إلى تحقيق وجمع مؤلّفات الجاحظ الحيوان، و عهد إلى مكتبة الخانجي المصرية العريقة أن تتولّى طبعتها.

لقد كان في نية عبد السلام هارون أن يحقّق الكتاب السالف الذكر، لكنّه لما علم أنّ شارل بيلا قام بتحقيق الكتاب سرّاً لذلك وقال: "وكان عزمي أن أنشر كتاب البغال هذا وأن أمنحه العناية التي بذلتها من قبل لنظرائه، ولكنني سرّرت عندما علمت أن الأستاذ المستشرق "شارل بيلا" قد قام بنشره وتحقيقه، كدت أقتنع بهذه النشرة و يطمئن قلبي

إليها...¹ لكنّه لاحظ بعد مراجعة النسخة التي كانت في حوزته ومقابلتها بغيرها " أمرا جوهريا عالي الظهور، وهو أنّ الأستاذ المحقق (شارل بيلا) قد خانته التوفيق خيانة قاسية حين حاول أن يقرأ المخطوطة فانبهت عليه جلياتها، وتجهمت له واضحاتها، وانطمست أمام ناظره بياها.² وعلى إثر ذلك نقد عبد السلام هارون تحقيق شارل بيلا لرسالة " البغال " للجاحظ: وأورد فيما بعد قوله: " وقد نشره عن نسخة داماد للمرة الأولى المستشرق " شارل بيلا " في مطبعة الحلبي سنة 1375 وعلق عليه تعليقات مفيدة ولكنّه وهم كثيرا من الوهم في قراءة نسخة داماد. وقد كتبتُ في ذلك بعض التصحيحات نشرتها في مجلة معهد المخطوطات العربية (عدد شوال سنة 1375) في الجزء الأول من المجلد الثاني.³ ولو أنّه أثنى عليه ثناء جميلا بقوله: والأستاذ الناشر عالم جليل دليل ذلك تلك التعليقات النفيسة التي نشرها في أثناء الكتاب، ولكنني آمنت منذ زمن قديم أنّ تحقيق النصّ وأمانة الأداء أمر له قدره وشأنه، وليس كلّ عالم جليل بقادر على ذلك"⁴

وقفت على تعليقات عبد السلام هارون في نقده لنشرة شارل بيلا فوجدت حجم الأخطاء والتصويبات كبيرا جدا بلغ (مائة وستة عشر 116 خطأ). وقد صنّف الأخطاء كالاتي:
- أخطاء القراءة وعددها: (93) مثال على ذلك: " ص 16 س 5 " كان وجه التدبير في جملة القول في البغال أن " يعقب عبد السلام هارون بقوله: العبارة واضحة في الأصل تمام

¹ - عبد السلام هارون " نقد الكتب . كتاب البغال لأبي عثمان الجاحظ تحقيق شارل بيلا " مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، المجلد الثاني، الجزء الأول، شوال 1375 هـ . ماي 1965م، ص 179.

² - المرجع السابق، ص 179.

³ - عبد السلام محمد هارون "رسائل الجاحظ . الجزء الثاني ومعه الفهارس الفنية لمجموعة دمداد" الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، دت ط

ص 213

⁴ - عبد السلام هارون " نقد الكتب . كتاب البغال لأبي عثمان الجاحظ تحقيق شارل بيلا "، ص 179.

الوضوح وليس فيها شيء مما أشار له المحقق الفاضل (بيلا). (نقد عبد السلام هارون، الصفحة 180).

أما لفظة الحال التي ذكر بيلا أنّها وردت خطأ الحال في النسخة الأصل.

يعتّب عبد السلام هارون على ذلك بقوله: هي واضحة أيضا وقد وُضِعَ على الحاء علامة الإهمال التي يعرفها المحققون، فظنّها (أي بيلا) نقطة و ليست كذلك (نقد عبد السلام هارون ، ص 180).

- أخطاء الضبط وعددها عشرة (10): مثال على ذلك في الصفحة 19 السطر 7 " مندحة السرة " بفتح النون وتشديد الدال المفتوحة وقد تبع (أي بيلا) في ذلك ضبط النسخة الأصل ويعتّب هارون بقوله: وصوابها " مندحة " يقال اندح بطنه اندحاحا: اتسع، انظر اللسان (دحج) (نقد عبد السلام هارون ، ص 185).

- أخطاء الشرح: (02): كتصويب عبد السلام هارون للمثل السائر " حمار العبادي " الذي نفي المحقق بيلا (ص 100) في التعليق أن يكون من الأمثال العامة، بينما ثبت ذلك عبد السلام هارون بالدليل من النثر والشعر. (نقد عبد السلام هارون، ص 186). وربما بيلا لم يطلع على ذلك.

وهو " من أمثال العرب في الشئيين الرديئين ما أحدهما بأمثل من الآخر: هما كحمار العبادي. وهو الذي قيل له أيّ حماريّك [شرّ]؟ فقال: ذا ثمّ ذا. و تحاكم نفر إلى الرقاشي: أيّهما أنذل وأسفل الكناس أو الحجاج ؟ فأنشد قول الشاعر:

حمار العبادي الذي سبيلَ فيهما *** و كانا على حال من الشرّ واحد¹

قد يستوي الكناس والحجاج في زمن مضى، أمّا في زماننا فلا.

¹ - المرجع السابق، ص 186.

وهناك أخطاء التصحيح (7) مثال على ذلك "ص 30 س 12 " والبراذين للجمال والوطاء" وهي في الأصل " الوطاء" وليس ما يدعو إلى تغييرها، فالوطاء: السهولة و المواتاة (نقد عبد السلام هارون، ص 186).

وذكر عبد السلام أخطاء ما فات التصحيح: وهي التي وقعت في الأصل حيث قام بتصويبها.

و ختم الأستاذ هارون مقاله بقوله: "هذا بعض ما عنّ لي في متن هذا الكتاب الذي لم تتجاوز عدد صفحاته 137 صفحة، ويخيّل إليّ أنّ المحقّق الفاضل لم يبذل من العناية بأداء النصّ مثل ما بذل بسخاء في التعليق والتفسير، مع أنّ العناية بأداء النصّ أقرب ما يكون إلى السلامة هي المهمة الأولى لمحقّقي الكتب و ناشريها، وأمّا التعليق والتفسير فأمر نافلة، زائد على طبيعة التحقيق، وأمانة الأداء."¹

وقد تمكن عبد السلام في نشرته التي نشر ضمن رسائل الجاحظ الجزء الثاني أن يستدرك أضعاف ما ذكره في مجلة معهد المخطوطات التي سبق ذكرها.

ويبدو أنّ بيلا أدهله العدد، ورأى أنّ نقد هارون كان عنيفا في لهجته، مثيرا لمشاعره. وجاء ردّ بيلا في نفس المجلّة (مجلة معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية المجلد الثالث الجزء الأول شوال 1376 هـ . 1957م) تحت عنوان "حول كتاب البغال للأستاذ شارل بلا" يقول: "نحن معشر المستشرقين لا نعرف العربية؛ فهذا أمر مشهور مجمع عليه، لا ينكره عالم، ولا يدحضه عارف، فلذلك نحتاج إلى تقويم العلماء و إرشاد الفضلاء أمثال مرشدي الفاضل."² ويقصد عبد السلام هارون.

¹ - عبد السلام هارون " نقد الكتب . كتاب البغال لأبي عثمان الجاحظ تحقيق شارل بيلا " ص 179.

² - شارل بيلا " حول كتاب البغال" مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الثالث الجزء الأول شوال 1376 هـ . 1957م)، ص 162.

تَبَّه من خلال مقاله إلى أنه لم تمنح له المطبعة المصرية النسخة المطبوعة ليصحح الأخطاء التي ظهرت بعد الطبع، و مع ذلك فقد أقرّ شارل بيلا بعض الأخطاء وشكر الناقد عبد السلام هارون عليها، ورأى أنّ بعضها غير مفيد، و بعضها الآخر فيه نظر.

- إعادة تحقيق كتاب "القول في البغال" للجاحظ (نقد للنشرتين السابقتين):

مضى على نشرة شارل بيلا عشر سنوات أعقبتها نشرة عبد السلام هارون (أي فاصل المدّة بين النشرتين عشر سنوات)، ثمّ جاءت علي أبو ملحّم الذي قدّم وبوّب وشرح مؤلّف البغال للجاحظ، وقد أشار إلى جهود المحقّقين السابقين (بيلا وهارون)

قام المحقّق علي أبو ملحّم بالتقديم للكتاب وتبويبه وشرحه، ونوّه بعمل من سبقه في نشره بقوله: " لقد نشر " البغال" للمرة الأولى سنة 1955م على يد المستشرق شارل بيلا وذلك في مطبعة الحلبي بالقاهرة، وبعد عشر سنوات نشره عبد السلام هارون ضمن " رسائل الجاحظ" وتولّت طبعه مكتبة الخانجي بالقاهرة، و فد اعتمد على مكتبة داماد 949، وأشار الناشر أنّ للكتاب أصلاً آخر موجود في مخطوطات الموصل رقم 256.¹

جاء عمل "علي أبو ملحّم" تتويجاً لما سبقه، و نشرته دار الهلال بيروت لبنان. يقول علي أبو ملحّم وقد أتمّ تحقيق كتاب الجاحظ وتبويبه وشرحه ما تيسّر له: "وبذلك نكون قد أكملنا عمل كلّ من شارل بيلا وعبد السلام هارون ووضعنا الأمر في نصابه".²

لقد استدرّك كلّ محقّق ما وقع فيه غيره من نقائص أو أخطاء، وختم أبو ملحّم الرسالة بمقدّمة تحليلية بيّن فيها قيمتها ومحتواها.

إنّ المحقّق الأخير بالإضافة إلى أنّه قدّم للكتاب وشرح ما أشكل من لفظه، وترجم أعلامه، ضمّ المؤلّف إلى كتاب الحيوان إتماماً للفائدة وتلبية لرغبة الجاحظ الذي منعه العذر

¹ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة 255"البغال" قدّم له وبوّبه وشرحه د/ علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال بيروت لبنان، ط3/1429هـ. 2008م، ص 5 - 6 (من المقدّمة).

² - المرجع نفسه، ص 6.

في أواخر أيامه من ضمّه إلى المصنّف الأوّل الحيوان (إصابته بالفالج)، وبذلك يكون قد أكمل عمل كلّ من شارل بلّا وعبد السلام هارون ووضع الميزان في نصابه أو كما قال.

إضافة إلى ذلك أنّه أعاد النظر في تبويب الكتاب لأنّه كما قال: "العناوين التي وضعت لأبوابه في طبعة عبد السلام هارون غير دقيقة ولا تنطبق جيّداً على الأفكار التي تندرج تحتها فرأينا من الخير إجراء تعديل فيها"¹

رسائل الجاحظ كانت بحاجة إلى أن تجمع في مؤلّف واحد، مرتبة ترتيباً زمنياً أو مُبوّبة حسب موضوعاتها، وأن يوضع لها مقدمة تحليلية شاملة تبين محتوياتها وقيمتها العلمية والأدبية وغيرها من القيم، أو أن يُقدّم لكلّ رسالة على حدة. وأن توضع عناوين فرعية لفقرها، و ترقيمها لتوضيح مطالبها، و تسهيل تناولها. و آخرها و ليس أخيراً أن تُشرح الرسائل وتُوضّح أفكارها، وتُجلى معانيها، و تُبيّن مغازيها، وحسبنا من ذلك كلّهُ أنّ النصيب الأوفر قد تحقّق مع المحقّقين الثلاثة.

يبقى عمل المحقّقين الثلاثة يستند على نسخة واحدة ويفتقر إلى النسخة (العراقية) المفقودة، والظفر بها أو غيرها قد يؤدي إلى إضافة الجديد من خلال المقارنة بين النسختين والنقد والتصويب لإكمال مسار المحقّقين الثلاثة.

¹ - المرجع السابق، ص 6.

3 - ديوان ابن شهيد الأندلسي:

جَمَع ديوان من خلال البحث عن قصائده ومقطوعاته المتناثرة في مولفات عديدة أو استخراجها من بين الأنقاد* إن صحَّ القول، وفي أسقاع مختلفة وتحقيقه ليس بالأمر الهين. لعلَّه ديوان ابن شهيد الأندلسي الذي حُظي باهتمام شارل بيلا الذي كان له فضل السبق في جمعه ونشره. إنَّ جهده هذا أول محاولة جدية إيجابية لإلقاء الضوء على شخصية ابن شهيد الأدبية والثقافية والمساعدة على دراسته دراسة مفصلة¹

لقد استطاع المحقق أن يخرج هذه الشخصية من طي النسيان إلى عالم الحياة بين الأجيال. وشتان بين أن يكون الديوان مخطوطا درسا معرضا للتلف، وبين أن يكون مطبوعا في مؤلَّفٍ جميلٍ، موزعا في مختلف مكتبات العالم، يتدارسه الباحثون و الطلبة، حيَّا بينهم. وبالتالي يحسب لهذا المحقق جهد الجمع والتحقيق، ومع ذلك يبقى عمل المحقق معرضا للمناقشة والنقد.

أوردت حوليات الجامعة التونسية بعد أن تحدّثت عن رسالة الزوايع والتوايع التي سبقت الديوان: "هاهو ذا "الديوان" يبرز في حلة أنيقة اعتنى بجمعه و تحقيقه الأستاذ: ش. بلاّ بما عرف من العمل الجدّي المتواصل لبعث التراث العربي القديم. فقد جمع من شتى المصادر المطبوعة والمخطوطة - وأهمها الدخيرة لابن بسام الأندلسي واليتيمة للثعالبي - ما حفظ لنا من شعر ابن شهيد ورثبه على حروف المعجم حسب القوافي وصدّر كلّ قصيدة أو قطعة بما عثر عليه أو ما استنتبطه من تعريف بها وظروف نظمها وغرضها. و يتبع القطعة ذكر مصادرها واختلاف الروايات فيها وشرح ما غمض فيها"²

* المراد: حال المخطوطات وقدمها.

¹ - عبد العزيز الساوري "المستدرك على ديوان ابن شهيد الأندلسي، المتوفى سنة 426" جمع وتحقيق شارل بيلا - تقديم بطرس البستاني، دار الكشوف بيروت ط1/1963. مجلة المورد العراقية - المجلد 17 - ج1/1988، ص244.

² - ابن شهيد "ديوان ابن شهيد الأندلسي عني بجمعه شارل بيلا أستاذ" \ السريون - ط. دار الكشوف بيروت سنة 1963، ص 162 متوسط) - حوليات الجامعة التونسية ال عدد1(1 يناير 1964)، ص 143.

وابن شهيد هو أبو عامر أحمد عبد الملك بن شهيد المتوفى سنة 426هـ أحد شعراء الدولة العامرية بالأندلس "من الشعراء الذين طوت شعرهم الأيام ولم يتبق منه إلا الوشل الضئيل مفرقا مبعثرا في مصادر التراث مطبوعها ومخطوطها." ¹ يذكر المحققون أنه لا يوجد ديوان جمعت فيه أشعاره في حياته أو بعد موته، ولهذا فجمّع أشعاره من هنا وهناك ليست بالمهمة السهلة، وقد استطاع المستشرق شارل بيلا جمعه في مؤلف عُنُوته "ديوان ابن شهيد الأندلسي" كتب تحته جمع و تحقيق شارل بيلا تقديم بطرس البستاني. وقامت دار المكشوف البيروتية بطبعه سنة 1963م

ونحن إذا نشيد بصنيع المحقق، نذكر كذلك نقائص وجدت في الكتاب لأنه أُعيد تحقيقه ثانيه منها استدراقات رصدها عبد العزيز الساوري - بعد الديوان - تلك التي أشار إليها في مجلة المورد العراقية، حيث أثنى في البداية على الباحث والمحقق شارل بيلا ثناء جميلا بقوله: "وتجدر الإشارة إلى أن جميع الأبيات الواردة في المصادر المطبوعة المشهورة قد دونت في الديوان ولم أعر - رغم الموازنة والتأمل وتتبع الأبيات الواردة في كل مصدر - على أبيات لم تسجل في الديوان مما يدل على تتبع ويقظة في جمع الأبيات وتدوين القصائد..." ² وإن كان الثناء يُراد به بيلا الذي يرجع له فضل تحقيقه، لكنه يشمل اليوم جميع من حققوا الديوان بعده.

ومن الاستدراقات التي لاحظتها: "أن عددا من المصادر تُثبتُ بدليل قاطع، كما أنّ لابن شهيد أشعارا أخرى لم يرد لها ذكر في الديوان المحقق" ¹ ويقصد بذلك جمع وتحقيق شارل بيلا وقد ذكرها ابن الأبار* ² في مؤلفه: "إعتاب الكتاب". وقد أحصى عبد العزيز الساوري ثلاث قصائد و أربعة عشر مقطوعة بين بيت الواحد و الثلاثة (ثلاثة أبيات) (03) - بيتان (04)

¹ - عبد العزيز الساوري "المستدرک علی دیوان ابن شهید الأندلسی، ص 244.

² - المرجع نفسه، ص 244.

* أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمان القضائي البلسي، المعروف بابن الأبار (595-658هـ) - (1199-1260م) مؤرخ وشاعر أندلسي).

– بيت الواحد (07) بحروف رويّ مختلفة وهي (الباء، و الحاء، و الدال، والفاء، والراء، والعين والنون، والطاء، والميم).

وقد أشار في المستدرك إلى أنه يسعى من خلال هذا العمل إلى استدراك ما انفصل عن الديوان ليسهل على دارسيّ الأدب الأندلسي الانتفاع به. ومعظم القصائد من الكامل والطويل، والباقي من البسيط والخفيف والرجز.

ونحن إذ نحمد للمستشرق شارل بيلا جهد الجمع والتحقيق. يبقى جهده يحتاج إلى إتمام.

4 - "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي تحقيق شارل بيلا:

من المؤلفات الضخمة التي قام بتحقيقها شارل بيلا كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي¹ وقد نشره في سبع مجلدات (بين 1965 . 1979م) بيروت. " وقد قام بنقل "مروج الذهب" إلى الفرنسية المستشرق الفرنسي باريه ذي مينار بين 1861- 1877 في تسع مجلدات، وقام بنقله إلى الإنجليزية المستشرق الإنجليزي سيرنجر، وطبع الجزء الأول سنة 1841.²

نقف على الجزء الأول من كتاب المسعودي مروج الذهب نسخة باريه ذي مينار وبارفيه ذي كرتاي، عني بتنقيحها وتصحيحها شارل بيلا منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت 1966م.

يقول أحمد شوقي بنين منوها بعمل بيلا: " تعد هذه النشرة التي جاءت في سبعة مجلدات والتي جهد بلا Pellat في تقويم ما فيها من مائل وتحقيق ما فيها من باطل أحسن نشرة علمية حتى الآن لهذا الكتاب لأنها تستجيب للشروط العلمية المطلوبة في التحقيق."³

وقال عن مدة تأليفه إسنادا لشارل بيلا: " حكى لي أستاذاي شارل بيلا وأنا طالب في الجامعة بباريز أنه قضى عشرين سنة في قراءة ومراجعة وتحقيق مروج الذهب، وقد نشره في بيروت (1965 - 1979م) في سبع مجلدات."⁴

¹ - قال الزركلي في كتابه "الأعلام"، ج4، ص 277 مانصّه: علي بن الحسين بن عليّ، أبو الحسن المسعودي من ذرية عبد الله بن مسعود: مؤرّخ، رحّلة، بَحّاثَة، من أهل بغداد. أقام بمصر وتوفيّ فيها 364هـ / 957م... (كما ذكر على أنه من أهل المغرب). نقلا = عن مروج الذهب ومعادن الجهر الإمام أبي الحين بن علي المسعودي اعتنى به وراجعته كمال حسن مرعي المكتبة العصرية بيروت، ج1، ط1/ 1425هـ - 2005م، ص5.

² - فؤاد فنديل "أدب الرحلة في التراث العربي" مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة، ط2/ 1423هـ . 2002م، ص217.

³ - أحمد شوقي بنين " مطبوعات بولاق اللغوية والأدبية: مقارنة في التحقيق" مقال نشر ضمن " تحقيق المخطوطات اللغوية و الأدبية " مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، ط 1 / 1437هـ . 2016م.

⁴ - المرجع نفسه (من الإحالة أو الهامش) ص 250.

وفي عام 1968م أصدرت دار الشعب طبعة شعبية من مروج الذهب من تحقيق الباحث المدقق محمد محي الدين عبد الحميد، وأعدت الطبعة دار صادر اللبنانية.¹ وقامت دار الفكر اللبنانية بطبعه للمرة السابعة، والتي امتازت بدقة الضبط وزيادة في الشرح والتفسير.

صرّح بيلا في مستهل نشرته - ضمن كلمة الناشر - بقوله: "فقد لاحظت أنّ علماء العرب يميلون إلى إهمال المسعودي وإخماله لأسباب منها أنّه لا توجد للمروج إلى حدّ الآن طبعة علميّة أو شبيهة بالعلميّة ومنها أكثر الطبعات رواجاً عند المستشرقين طبعة بريه دي مينار وبافيه دي كورتاي (رمزها: بم) وهي نادرة الوجود في المكتبات الشرقية."² وعن طبعة باريس يقول بيلا: "فمن المجمع عليه أنّ طبعة باريس محشوة بالأخطاء النحوية مشحونة بالأغلاط والتصحيحات والتحريفات مع ما للترجمة الفرنسية التي توازيها من قيمة أدبية وعلمية لأتمّ أحسن من النص العربي وأجود."

ونحن نتساءل كيف يتم الموازنة بين النص العربي وترجمته الفرنسية وتفضيل هذه الأخيرة قبل مقابلة النسخ والمقارنة بينها، ومعرفة الأصل من الفرع وقبل التحقيق، علماً أنّ للكتاب خمس عشرة نسخة موزعة في أنحاء العالم دون حساب نسخة باريس التي قال عنها أنّها محشوة بالأخطاء؟

بيلا يؤكّد قبل شروعه في تحقيق وتصحيح المؤلّف أنّه اعتمد بالدرجة الأولى على ما خلفه المستشرقان المذكوران سالفاً من خلال ترجمتهما الفرنسية التي فضّلها على النسخة العربية إلّا أنّه لجأ إليها حرمة للعلم أو كما قال: "ولكنني اضطررت لأداء واجبي نحو العلم وشروطه إلى مراجعة النص العربي وتقديم ما فيه من مائل وتحقيق ما فيه من باطل."³

¹ - فؤاد فنديل، "أدب الرحلة في التراث العربي" المرجع السابق، ص 217.

² - المسعودي "مروج الذهب و معادن الجواهر" الجزء الأول، طبعة بريه دي مينار و بافيه دي كرتاي عنى بتتقيحها و تصحيحها شارل بيلا(كلمة الناشرص5). بيروت 1965- 1966، ص 5.

³ - المسعودي "مروج الذهب" تتقيح وتصحيح شارل بيلا (المرجع نفسه)، ص 5.

وقد اعتمد مخطوطات أخرى ليأخذ منها نسخة أصلية صحيحة، كما اعترف بوجود نسخ كثيرة في مختلف مكتبات العالم في شرقه وغربه، وعجزه عن استيفائها كلها لعدم وجود مُساعدٍ له فافتصر على الأقرب منها والمحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس، والنسخ موجودة في "باريس وبرلين وفيينا وليدن ولندن وأكسفورد وكمبريدج ومنشستر وستراسبورغ ومديلان وفاس والجزائر والقاهرة وإسطنبول والموصل وبنكيبور..."¹ عشرون سنة في البحث والتقصّي ألا تكفي للجمع و الموارنة والتقصّي ممّا يقال و يكتب..؟

والكتاب حقّق عدة مرات في مصر وكان آخرها تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وقد أشرت إليه سابقا، لكن بلا رأي أنّ كل تلك التحقيقات لا تفي بالشروط العلمية، ولا تمس بالمعنى الحقيقي بسبب تشويه الأعلام الأجنبية، وتحريفها وتصحيفها بصورة فضيحة فاحشة أو كما قال. ولسدّ هذه الثلثة اضطرّ إلى اللجوء إلى مصادر يونانية وسريانية لتساعده على تحقيق التواريخ أو تقويم الأعلام خصوصا الأجنبية² وهي مصادر ثانوية يلجأ إليها الباحث حين لا تسعفه الأصول العربية.

أشار بيلا في نهاية مقدمة نشرته إلى النسختين اللتين أرسلهما له صديقه صلاح الدين المنجد؛ النسخة التيمورية (رقم: 1573، كتبت سنة 1030هـ) (ورمزها: ت). ونسخة الحرم المكي الشريف (رقم 112، كتبت سنة 269هـ) (ورمزها: م). استفاد من النسختين في المقارنة بينهما وبين نسخة المستشرقين الأولى (م).

يُشيد أبو الحسن المسعودي بمؤلفه وما أودع فيه من أجزل الفوائد في باب جوامع أغراض الكتاب الجزء الأوّل من مروج الذهب يقول: " وقد وسمت كتابي هذا بكتاب " مروج الذهب

¹ - المسعودي " مروج الذهب " تنقيح وتصحيح شارل بيلا (المرجع السابق)، ص 5.

² - ينظر أحمد شوقي بنين " مطبوعات بولاق اللغوية والأدبية: مقارنة في التحقيق مقال نشر ضمن تحقيق المخطوطات اللغوية والأدبية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، ط 1/1437هـ. 2016م

ومعادن الجوهر " لنفاسة ما حواه، وعظم خطر ما استولى عليه، من طوابع بوارع ما تضمنته كتبنا السالفة في معناها.¹

ويتوعّد من أساء استعمال مؤلّفه، ويخوّف من يحرف مضمونه، وقد أشار إلى ذلك في أوّل كتابه و آخره: " فمن حرّف شيئاً من معناه، أو أزال ركناً من مبناه، أو طمس واضحاً من معالمه، أو لبس شاهداً من تراجمه، أو غيرّه، أو بدّله، أو أشانه، أو اخنصره، أو نسبه إلى غيرنا، أو أضافه إلى سوانا، فوقاه من غضب الله وسرعة نقمه وفوادح بلاياه وما يعجز عنه صبره، ويحار له فكره، وجعله الله مُثَلَّةً للعالمين، وعبرة للمعتبرين، وآية للمعتبرين...²

الاستفادة الثانية من الجهود العربية كانت مع نشرة محمد محي الدين عبد الحميد التي اطلع عليها بيلا وأدلى في هوامش نشرته بالقراءات التي أثبتتها أو اقترحها عبد الحميد في نشرته بالرغم أنّ بيلا ذكر من قبل أنّ الطبقات التي سبقت طبعته مشوبة بالأغلاط، فعمل شارل بيلا كما يبدو لا تستثنى منه الجهود العربية معنوية كانت أو مادية.

وما سبق ذكره يأتي ردّاً على قول بيلا في مقدّمة نشرته عندما وجد أنّ نسخ المروج كثيرة وبعيدة المنال، وقال: "كان من واجبي إذن أن اعتمد على جميع المخطوطات والطبعات المذكورة ولكن من المستحيل أن أقوم بمثل هذا العمل لأنني أشتغل لوحدي وليس بجاني مساعد يساعدي ولا عبد يخدمني."³

بيلا يحمّل النساخ أخطاء التحريف والتزييف والتلفيق، ويبرئ المسعودي منها، إذ يقول: "أما أنا فقد أيقنت بأنّ المسعودي - وإن أخطأ في بعض الأحوال لأنّه إنسان غير معصوم عن الخطأ - كان يتكلّم عن معرفة ويكتب عن دراية. " صحيح أنّ الانسان مهما كان موكّل به

¹ - المسعودي " مروج الذهب ومعادن الجوهر " اعتنى به وراجعته كمال حسن المرعي، ج1 المكتبة العصرية. صيدا بيروت . ط1/1425 هـ - 2005، ص15.

² - المرجع نفسه، ج1، ص15.

³ - المسعودي " مروج الذهب " تنقيح و تصحيح شارل بيلا (المرجع السابق)، ص 6.

الخطأ والنسيان والعصمة للأنبياء والرسول فقط، لكن المؤرّخ الحقّ هو الذي يجمع بين أمانة النقل و صحّة الخبر، لأن هناك من يعتمد الأول ولا يراعي الثاني، ولا بأس من أن نتبيّن صحّة الخبر و نشير إلى صوابه في الهامش دون المتن.

أردف شارل بيلا يثني على المسعودي: " فمبدئي الأساسي الثقة بالمسعودي واعتباره صادقاً فيما أورد مدققاً محققاً فيما ذكره من أسماء البلدان والمدن أمينا فيما نقله من أعلام عجمية."

من الخطر أن نسلم تسليمًا مطلقاً في كلّ ما يورده المؤرخ والاعتماد على أقلّ النسخ خصوصاً وأنّ بيلا أشار إلى قصوره في استيفاء جميع النسخ.

إنّ المتمعّن في تحقيق بيلا يلحظ أنّه ذكر حوالي ستة عشر مخطوطاً حسب إحصائه ومن الممكن أن يتضاعف العدد، لكنّه لم يعتمد إلا على ثلاث نسخ فقط أو بصورة أدقّ على نشرتين ونسخة مخطوطة وهي:

1 - نشرة المتشرقيّين باريه ذي مينار وبارفيه ذي كرتاي ورمز لها بالحرفين (بم) واعتبرها أصلاً.

2 - النسخة التيمورية ورمزها لها بالحرف (ت).

3 - نشرة محمد محي الدين عبد الحميد اعتبرها فرعا، ولم يرمز لها بالحروف، إلا قوله: (رواية عبد الحميد) في الهامش، مع أنّها في اعتقادي أفضل النسخ لما بدله فيها صاحبها من جهد جهيد في المقابلة بين النسخ.

قام بيلا كعادته بتقييم الفقرات وقد أحصى عدد فقرات الجزء الأول من مروج الذهب للمسعودي (663) فقرة، حسب التقييم الموجود، ليسهل على القارئ معرفة الفقرة بدل رقم الصفحة، ولا نجد ذلك في نشرة محي الدين عبد الحميد ، ولا في النشرة التي اعتنى بها وراجعها كمال حسن مرعي الطبعة الأولى 2005 م الطبعة العصرية لبنان.

ارتكز بيلا في تحقيقه على نشرة المستشرقين المذكورين سابقا واتخذها أصلا لنشرته، بينما كانت أكثر مقارناته مع النسخة التيمورية، ولم يعتمد كثيرا نشرة محي الدين عبد الحميد مع أنّ المحققين اعتبروها مفيدة جدا.

بلغ شارل بيلا ربع مخطوطات الكتاب مقارنة مع العدد المحصى و الموجود، وقد لا تتحقق لديه النسخة الأصل أو " الأم" التي هي محور عملية التحقيق كما بيّن ذلك المحققون. وفي هذه الحالة لا يمكن الحكم النهائي على النسخ التي بين يديه، وحتى نسخة محي الدين عبد الحميد لم يعتمد عليها بيلا إلا عرضيا، فقد بدل صاحبها فيها الجهد في كل طبعاته التي استمرت خمس طبعات، كانت الخامسة سنة 1973م حيث امتازت بدقة الضبط وزيادة في الشرح والتفسير.

الشيء الذي يمكن إقراره لبيلا ونشرته هو تحقيق الأعلام سيما الأجنب منهم باعتباره أجنبي وثقف عدّة لغات كالإيونانية واللاتينية والفارسية والسريانية، وهذا ما قد يغيب عند المحققين العرب سيما المحافظين منهم الذين انشغلوا بالثقافة العربية واللغة والأدب العربي وشرحا وتنقيحا وتحقيقا.

مثال على ما ذكر من اختلاف النسخ، أنّه وجد أنّ في نسخة (م): لفظة الملبوس بينما في نسخة (ت): الملابس وهي اختلافات لاتغير من معنى النص بصفة ملموسة.¹ لكن مهما يكن الأمر فلا بدّ من الحفاظ على أسلوب الكاتب و إثباته عند المقارنة بين النسخ، و مراعاة اللفظة التي أرادها، لأنّه الوحيد الذي له حقّ التغيير والتبديل.

وفي الأخير وتعقيا على أحمد شوقي بنبن وهو تلميذ بلا في قوله: " أحسن نشرة علمية حتى الآن لهذا الكتاب لأنّها تستنجيب للشروط العلمية المطلوبة في التحقيق". صحيح أنّ نشرة بيلا متميزة بتحقيقها للأعلام الأجنبية وإضافات أخرى، لكنني أبدي ملاحظات حول هذه النشرة:

¹ - ينظر المسعودي " مروج الذهب" تنقيح وتصحيح شارل بيلا (المرجع نفسه)، ص 7.

أولاً: أنّ المحقّق اعتمد النسخة الفرنسية وجعلها أصلاً، وهي في الأصل مترجمة عن النسخة العربية، وفضّلها عن النسخة العربية، ولا يصحّ اعتمادها أمّا أو أصلاً في ظل غياب ضعف النسخ و معرفة المحقّق لأماكن تواجدها.

ثانياً: يعتمد التحقيق العلمي الدقيق كثرة النسخ خصوصاً في غياب الأصل، ليتم الموازنة بينها، لأنّه يشترط المطابقة والمقارنة والترجيح لأنّها من خطوات منهج التحقيق.

ثالثاً: من الشروط العلمية في المحقّق أن يضع جهود المحققين السابقين موضع تقدير وشارل بيلا نراه لم يقدر عمل محي الدين عبد الحميد أحسن تقدير، حيث عدّ نشرته مشوبة بالأخطاء مع أنّه استفاد منها، ولم يعدّها أساسية كالنشرات الثلاثة المعتمدة، و لم يرمز لها برمز بل اكتفى بالقول في الإحالة من حين لآخر: (رواية عبد الحميد) كما أشرت لذلك من قبل. و قال عنه المحقّق البارع محمود الطنّاحي: وأما الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد فهو صفحة حافلة من تاريخ نشر التراث العربي، قدّم وحده للمكتبة العربية ما لم تقدمه هيئة علمية مدعومة بالمال والرجال. فكيف لا يعتدّ بنشرته على غرار باقي النشرات؟

لكن تلك الملاحظات أو بالأحرى الانتقادات لا تنقص من جهد المحقّق شارل بيلا ما نأمله هو أن يعاد تحقيق "المروج" باستيفاء جميع النسخ الستة عشر التي ذكرها بيلا والتي حبسه العذر من بلوغها - كما ذكر - بإضافة نشرته إلى نشرات المحققين السابقين وبالتالي نضمن سلامة تراثنا من المسخ، ونحفظ تاريخ أجيالنا من الفسخ.

والله المستعان، وبحوله بلّغنا الجهد، وعليه التكلان.

خاتمة

الخاتمة:

من خلال دراستنا لما توفّر لدينا من مؤلّفات استشراقية، تبين لنا أن المستشرقين لم يكتفوا بالبحث والتنقيب عن التراث العربي وجمعه فحسب، بل قاموا بنقده وتقويمه بتطبيقه لمختلف المناهج الحديثة.

- المنهج الأدبي عند المستشرقين ارتبط بفلسفات وسياسات وإيديولوجيات جليّة كانت أم خفيّة لا تقبل الانفصال، ومن تمّ وجب العامل معها بجزر.

- معظم المستعربين الدارسين للأدب العربي لا يهتمّون بالاندماج في الوسط العربي وإن خرجوا من رجمه وترعرعوا فيه، بل يظلّ عطاؤهم موصولاً بأوطانهم. يسهرون على خدمة بلدانهم بالدرجة الأولى، أو ما اصطلح عليه "إدوارد سعيد" بالتمثيل الاستشراقي، ومن ثم تعريف أبناء وطنهم بكل ماله علاقة بالشرق والعالم الإسلامي عامّة بمختلف الطرق: الدراسة والترجمة والتصوير والتحليل والتعليق والاقْتباس والنقد والتأثر والتقليد.

- إنّ الاستشرق على الرغم ممّا له من إيجابيات إلاّ أنّه في تطبيقه للمنهج العلمي وقع في أخطاء منها:

- وضع افتراضات مسبقة ومحاول تثبيتها والدفاع عن صحتها.

- الاهتمام بالللهجات أكثر من اهتمامه بالعربية الفصحى، وليجعل من لغة القرآن لغة دين فقط لا لغة دين ودنيا، ثقافة وحضارة.

- الكتابة عن التراث العربي والإسلامي وفق ما يتصوره المستشرق، لا كما يتطابق مع التوجهات العربية الإسلامية.

- عتماده أحياناً على مصادر غير موثوقة، بعضها طعن فيها العلماء لجمعها بين الغثّ والسّمين.

- تقديم المراجع الاستشراقية على المصادر العربية، (مؤلّفات، موسوعات) كدائرة المعارف الإسلامية بل المعارف الاستشراقية لأّها تعبّر عن وجهة نظرهم.

- عدم وضوح المنهج الاستشراقي حتى يمكن مقارنته بالمنهج العلمية التي طورتها العلوم المختلفة، و النظريات التجريبية، والاجتماعية و الانسانية.
- اعتماد الأفكار والمنهج الحدائيه وتطبيقها على التراث والنصوص العربية دون مراعاة ظروفها المختلفة التي كثيرا مالا تنسجم معها.
- العقل الغربي أساسه ثورة منهجية، وتداخل العقل والمنهج يمثل قاعدة الحدائيه الفكرية الغربية منذ ديكارت، و المنهج العربي مطالب أن يميّز بين العقل و النقل.
- الاستشراق مرآة عاكسة لتوجهات وتحوّلات غربية، وأي معركة فكرية ومعرفية معه لا يجب أن تكون خارج أسوار المنهج التراثية من جهة والحدائيه من جهة ثانية لأنّ هذا ما يفرزه الواقع أبينا أم كرهنا.
- لا يمكن محاورة الاستشراق من فراغ من خارج التراث والمنهج وطرق التفكير، فالغرب يتحكّم في زمام المدنية حاليا، و الاستشراق يفرض نفسه في الساحة العلمية والأدبية، وهو الآن أكثر أكاديمية وتنظيم، وحُسن التعامل معه، أو توجيهه أو إبطال مزاعمه، أو تفكيكه كما يري بعض الباحثين يقتضي تحدّيه بزادٍ يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ومواجهة في مختلف المجالات، بعيدا عن الأحكام الجاهزة و كل تراجع عن مكتسبات الاستمولوجيا وعلم المنهج يعد إذعانا له وعجز عن توجيه خطابه.
- ارتباط معظم الاستشراق في الذاكرة العربية بالاحتلال والجوسسة والمصالح السياسية و القوّة جعلها تحمل قيمة العلمية، و تصدر في حقّه أحكاما مُسبّقة.
- وقوع بعض المستشرقين في أخطاء ساهين أو متعمّدين بسبب سوء فهمهم وتقديرهم للنصوص العربية التي يتناولونها، وجهلهم علوم اللغة ومعانيها أو دون مراعاة اختلاف المقاييس بين ثقافتنا وثقافتهم.
- قد يخطئ العرب أيضاً حين يصدرن حكاما على أعمال المستشرقين دون معرفة كافية بمنهجهم وأدواتها والاستنتاجات المترتبة عليها.

لكننا نقرّ أنّ علماء الاستشراق كانوا سبّاقين في تحقيق التراث العربي ودراسة نصوصه و فهرستها، وبالتالي عملوا على حماية كثيرها منها من الضياع، بفضل قدرتهم المادية والعلمية والمنهجية.

- ساهم المستشرقون الفرنسيون بأخطائهم في نقل الحضارة العربية إلى الناطقين بالفرنسية من خلال ترجمه النصوص العربية، على غرار غيرهم من المستشرقين

- ما حقّقه بعض المستشرقين الفرنسيين - بما فيهم شارل بيلا - جهودا لا ينكرها عاقل يجب تسمينها، و لكن لا بدّ من نقد ما نشره، وإعادة تحقيق ما حققه، لضمان سلامة تراثنا وتنقيته من كلّ شائبة.

- كتابات شارل بيلا وآراء لم تكن بريئة بحكم ارتباطه بدوائر سياسية، وتولّيه مناصب حسّاسة، وقد لاحظت أحيانا يضع ثقافة العرب موضع المنفعل لا الفاعل، و الآخذ لا المعطي، فلا تُبدع ولا تتحرّر ولا تتقدّم بمحض إرادتها، إلّا بمعية الطرف الآخر.

ولو أنّ جهوده المتأخرة تبدو أكثر اتزاناً و تميّزا خصوصا في مجال تحقيق النصوص فقد كان سبّاقا في تحقيق العديد من النصوص العربية، و أظهر فيها براعته رغم الأخطاء التي وقع فيها، بخلاف الدراسات الأدبية والنقدية التي أظهر فيها وجهة نظره الخاصة و المحسوبة عليه.

دراسات بيلا في مجال الأدب الحديث تظلّ ضئيلة مقارنة بالأدب القديم وخصوصا أدب الجاحظ الذي لا يضاويه ولا يدانيه عمل آخر، لكنّها تاريخية تفتقر إلى المنهج الفنيّ وغيره من المناهج وإن كانت معظم أعماله لم تُترجم و لم تُدرس كلّها، عدا مقالات في مجلّات عربية.

ولقد أنّه ارتكز هو و المدرسة الفرنسية عموما على المنهج التاريخي بالرغم من قيمته إلّا أنّه يظل - كما أشار بيلا نفسه - تحليقيا يحتاج إلى مناهج سياقية تحلي غموض النصّ

في الأخير أقول أنّ الأوان لإعادة النظر في منهج التحقيق، وما نشره المستشرقون وما لم ينشر، و توحيد وفق منهج متكامل قائم على تقويم النصّ معلوماتيا، وعلى مراجعة

شاملة موثوقة نظرا لوقوع أخطاء في العديد من النشرات الاستشرافية، وإخراجها إخراجا علميا بما يضمن سلامتها ويرفع قيمتها.

كما أَدْعُو إلى بعث روح المجامع اللغوية والأدبية والعلمية - الراكدة حاليا في معظم البلاد العربية والإسلامية - بعثا حقيقيا والتّظّر في الدّخيرة العربية، والدراسات الاستشرافية القديمة و الحديثة، والاهتمام باللغة والأدب العربي وفق الآليات العلمية المستحدثة، ووسائل الاتصال البديلة والمتطوّرة، مراعاة لمقتضى الحال، فإنّ ذلك من شأنه أن يعزّز و يقويّ وظيفة اللّغة والأدب، سيما وأنّ بعض الطروحات الاستشرافية ومن ورائها عربية لا زالت تستبعد أن تحقّق اللغة العربية التطور العلمي والتكنولوجي، وأن تكفل الأداء اللّغوي والعلمي حاضرا ومستقبلا.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم برواية حَقص.
- 2- إبراهيم عبد العزيز السمري " اتجاهات النقد الأدبي في القرن العشرين"، دار الآفاق العربيّة ط1/القاهرة2011.
- 3- ابن جعفر محمد بن جرير الطبري " تفسير الطبري". " جامع البيان في تفسير القرآن"، في 10 ربيع الثاني1337هـ.
- 4- ابن حزم الأندلسي(384،456) " جمهرة أنساب العرب" تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف القاهرة، ط5/د ت ط.
- 5- ابن سينا "الشفاء"، تصدير طه حسين، تحقيق الاب قنوتي ، محمد الحضيبي، فؤاد الأهواني، مطبعة الأميريّة القاهرة ج1، 1371هـ - 1952م.
- 6- ابن شهيد الأندلسي "رسالة التوابع و الزوابع" صححها وحقق مافيها، وشرحها وصدرها بدراسة تاريخية بطرس البستاني دار صادر بيروت لبنان ط1/1387هـ-1416هـ 1967م -1996م .
- 7- ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري " لسان العرب" حَققه وعلّق عليه، عامر أحمد حيدر مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم - مادة نصص، مج4 - دار الكتب العلمية ط1/2005م - 1436هـ.
- 8- أبو القاسم سعد الله " تاريخ الجزائر الثقافي" 1930. 1954، دار الغرب الاسلامي، ط1/1998.
- 9- أبو القاسم سعد الله " شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة ويليّه دراسات في الأدب الجزائري الحديث" موسوعة أعمال أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر و التوزيع الجزائر، طبعة خاصة /2015.
- 10- أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق الزنجاجي " كتاب الجمل في النحو" تحقيق علي توفيق الحمد مؤسسة الرسالة بيروت دار الأمل الأردن، ط1/1404هـ 1984م.
- 11- أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق الزنجاجي " الجمل" اعتنى بتصحيحه وشرح أبياته الشيخ ابن أبي شنب، مطبعة جول كربول الجزائر ط/1926.
- 12- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ " القول في البغال"، حَقّق الكتاب وعلق عليه ووضع الفهارس شارل بيلا، دار الجليل بيروت. ط1416هـ. 1995م.
- 13- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، "رسائل الجاحظ" تحقيق عبد السلام محمد هارون الجزء الأول - دار الكتاب العربي - بيروت لبنان ط3/1388هـ 1969م.
- 14- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفي سنة 255"البغال"، قدّم له وبوّبه وشرحه علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال بيروت لبنان، ط3/2008م، 1429هـ.

- 15- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ " المحاسن والأضداد". اعتنى بتصحيحه محمد أمين الحاجي الكتبي وقراءة محمد أمين الشنقيطي . مطبعة السعادة مصر ط1/1324هـ .
- 16- إحسان عباس: "أوراق مبعثرة -بحوث و دراسات في الثقافة و التاريخ و الأدب و النقد" جمعها و علّق عليها الدكتور عباس عبد الحليم عباس عالم الكتاب الحديث للنشر و التوزيع الطبعة 1- 2006 م .
- 17- أحمد الشايب " أصول النقد الأدبي" مكتبة النهضة المصريّة - القاهرة، ط 10\1994م.
- 18- أحمد أمين "النقد الأدبي" في جزأين مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3/1963م.
- 19- أحمد حسن الزيات "تاريخ الأدب العرب للمدارس الثانوية والعليا" دار الثقافة بيروت لبنان ، ط 28 / دس ط.
- 20- أحمد درويش " الاستشراق الفرنسي والأدب العربي" دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 2004م.
- 21- أحمد رضا حوحو " غادة أمّ القرى " المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983م.
- 22- أحمد رضا "معجم متن اللغة"، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1960/1380، ج 5.
- 23- أحمد سمائلوفتش "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي القاهرة، 1418هـ / 1998م .
- 24- أحمد شوقي بنين " دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي"، مطبعة النجاح الدار البيضاء المغرب ط1/1993م.
- 25- أحمد شوقي بنين " مطبوعات بولاق اللغوية والأدبية: مقارنة في التحقيق" مقال نشر ضمن " تحقيق المخطوطات اللغوية و الأدبية " مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، ط 1/1437هـ .
- 26- أحمد فؤاد باشا " الحسن بن الهيثم ومآثره العلمية " كتاب المجلة العربية 218، الرياض، العدد 457 صفر 1436هـ . ديسمبر 2014م.
- 27- أحمد محمد شاکر" تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتب، وسبق المسلمين الإفرنج في ذلك" - اعتنى وعلّق عليه وأضاف إليه عبد الفتاح أبوغدّة شركة البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط3/2007م.
- 28- أحمد مطلوب " في المصطلح النقدي - عربي - عربي دراسة و معجم " مكتبة لبنان ناشرون ط 1/ 2012م.
- 29- إدوارد سعيد " الاستشراق - المعرفة، السلطة، الإنشاء" نقله إلى العربية كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت لبنان، ط4/2001م.

- 30- إدوارد سعيد " تعقيبات على الاستشراق"، ترجمة صبحي حديدي، دار فارس - عمان/ 1996م.
- 31- أسامة بن منقذ " الاعتبار" فليب حنى، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1/1927.
- 32- إسماعيل أحمد اعميرة " المستشرقون والمناهج اللغوية". دار حنين - عمان الأردن ط 2 / 1992م.
- 33- إسماعيل أحمد اعميرة " المستشرقون والمناهج اللغوية". دار وائل للنشر - عمان - الأردن ط3/2002م.
- 34- الأمير عبد القادر الجزائري الديون" (1807م - 1883م) جمع تحقيق - شرح تقديم العربي دحو منشورات تالة ط3/2007م.
- 35- الأمير مصطفى الشهابي " المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، دار صادر بيروت لبنان، ط3/1416هـ - 1995م.
- 36- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) " البغال" قدّم له و بوّه وشرحه علي بو ملحّم، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط3/ 1429هـ - 2008م.
- 37- الجاحظ " التريبع و التدوير" عني بنشره و تحقيقه شارل بلات ، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، 1955م.
- 38- الجاحظ " الحيوان شرح و تحقيق أحمد الشامي، ج1 دار و مكتبة الهلال ط3/1997م.
- 39- الفيروزآبادي، " القاموس المحيط"، ضبط و توثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان د ط، 2010م.
- 40- المسعودي "مروج الذهب و معادن الجواهر" الجزء الأول : طبعة بيريه دي مينار و بافيه دي كرتاي عني بتتقيقها و تصحيحها شارل بيلا بيروت 1965.1966م.
- 41- المسعودي " مروج الذهب و معادن الجواهر" اعتنى به وراجعته كمال حسن المرعي، ج1 المكتبة العصرية صيدا بيروت . ط1/ 1425هـ - 2005م.
- 42- المفضل بن محمد بن يعلي الضبي " المفضليات" - تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - دار المعارف القاهرة، ط10/ 2010م.
- 43- أندري ميكال "الأدب العربي" تعريف رفيق بن وناس، صالح حيزم، الطيب العشاش، الدار التونسية لفنون الرسم(د ت ط).
- 44- إنريك أندرسن إمبرت " مناهج النقد الأدبي" ترجمة د/ الطاهر أحمد المكي ، مكتبة الأدب القاهرة ط/ 1412هـ . 1991م.
- 45- برجستراسر " أصول نقد النصوص ونشر الكتب" إعداد وتقديم محمد حمدي البكري (التوطئة) دار المريخ للنشر الرياض، ط 1402هـ . 1982م.

- 46- بشار عوّاد معروف " أنظار في مناهج تحقيق النصوص " كتاب تحقيق المخطوطات الأدبي و اللغوية " مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات الخطوط الإسلامي، لندن، ط1/ 1437هـ . 2012م.
- 47- بشار عوّاد معروف " ضبط النصّ والتعليق عليه " مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع سوريا، دط/ 1402هـ . 1982م.
- 48- بوشقي العطار " المعاجم العربية رؤية تاريخية تقويمية، منشورات جامعة شعيب الدكالي كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الجديدة، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء . المغرب
- 49- جان سوفاجيه " رائد التراث العربي " اقتبسه صلاح الدين المنجد دار العلم للملايين، دع ط/ 1943.
- 50- جان عبد الله طوما " تحقيق المخطوطات العربية " المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان ط1/ 2011 .
- 51- جمال سلطان " الغارة على التراث الإسلامي " مكتبة السنّة، الدار السلفية لنشر العلم . القاهرة ط1/ 1410هـ . 1990م.
- 52- جمال عبد الهادي وفاء محمد رفعت " أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ . منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا؟ وكيف؟ " دار الخلدونية الجزائرية، د ت ط.
- 53- جميل جبر " الجاحظ في حياته وأدبه وفكره " دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت ط1/ 1429هـ . 2008م.
- 54- حامد حنفي داود " تاريخ الأدب الحديث، تطوره، معالمة مدارسه " ديوان المطبوعات الجامعية ط 1983م.
- 55- حورية الخميليلي " ترجمة النص العربي القديم وتأويله عند رجيس بلاشير الدار العربية للعلوم ناشرون . بيروت لبنان ط1/ 1431هـ . 2010م.
- 56- حلمي محمد القاعود " شعراء وقضايا، قراء في الشعر العربي الحديث " دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ط/ 2009.
- 57- خوان غوتيسلو " في الاستشراق الاسباني " دراسات فكرية، ترجمة كاظم جهاد- نشر الفنك للترجمة باللغة العربية - الدار البيضاء- المغرب ط/ 1997م د ط.
- 58- خير الدين الزركلي " الأعلام " دار العلم للملايين - بيروت - لبنان، ج7 . ط5 / ماي 1980.
- 59- خير الله عصار " مقدمة لعلم النفس الأدبي " ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر ط/ 1982م.
- 60- دانيال ريغ " رجل الاستشراق - مسارات اللغة العربية في فرنسا "، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط/ 2008م.
- 61- دانييل برجيز " مدخل إلى مناهج النقد الأدبي " مجموعة من الكتاب، ترجمة رضوان ظاظا، مراجعة منصف الشنوفي " عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية - المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب - الكويت ماي 1997م.

- 62- رچيس بلاشير "تاريخ الأدب العربي" ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار الفكر دمشق سوريا ط/1419هـ .
1998م.
- 63- رمضان عبد التواب "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي" مكتبة خانجي للطباعة والنشر
والتوزيع القاهرة ط3/1998.
- 64- رودى بارت "الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية المستشرقون الألمان مند تيودور
نولدكة" ترجمة مصطفى ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ط/2011.
- 65- روبير متران "الاستشراق الفرنسي أصوله، تطوره، آفاقه" ترجمة د/ يوسف حبي "الاستشراق" سلسلة
كتب الثقافة المقارنة، أعظمية بغداد، العراق، العدد الثاني شباط 1987.
- 66- روبيرا سكاربيرت: "سوسيولوجيا الأدب" ترجمة آمال أنطوان عرموني، منشورات عويدات بيروت
- باريس، ط1/1978.
- 67- سامي عبابنة "اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث" عالم الكتب الحديث للنشر
والتوزيع / ط 2 2010هـ، 1431م.
- 68- سمير حجازي "المتقن" معجم المصطلحات اللغوي والأدبية الحديثة - فرنسي - عربي - عربي فرنسي -
دار الراتب الجامعية بيروت لبنان (د/ط، ت ط)
- 69- شارل بيلا "أصالة الجاحظ"، أصالة الجاحظ، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، دط، دت.
- 70- شارل بيلا "الجاحظ في البصرة وبغداد وسمراء" ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة
والنشر دمشق سوريا، - ط 1961م.
- 71- شارل بيلا "الجاحظ في البصرة وبغداد وسمراء" ترجمة إبراهيم الكيلاني - ديوان المطبوعات الجامعية
الجزائر ط1/1975.
- 72- شارل بيلا "تاريخ اللغة و الآداب العربية" دار الغرب الإسلامي بيروت ط1/1997م.
- 73- شوقي حمادة "معجم عجائب اللغة . مواد ودقائق ومدهشات علمية و يتضمن الألفاظ الدخيلة
على اللغة العربية" . دار صادر بيروت . د ت ط .
- 74- صالح بلعيد "مقارنات منهجية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط/2004م.
- 75- صالح محمد جرّار "تحقيق مخطوطات الشعر الأندلسي" كتاب تحقيق المخطوطات الأدبي و اللغوية".
- 76- صلاح الدين المنجد "قواعد تحقيق المخطوطات" دار الكتاب الجديد بيروت لبنان، ط 7 / 1987.
- 77- صلاح الدين المنجد "قواعد تحقيق المخطوطات" دار الكتاب الجديد بيروت لبنان ط9/1987م .
- 78- صلاح فضل "أطياف نقدية" دار غراب للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1/1437م/2016م.
- 79- صلاح فضل "مناهج النقد المعاصر"، ميريت للنشر والمعلومات، ط1/2002.

- 80- عائشة عبد الرحمان(بنت الشاطيء) " تراثنا بين ماض وحاضر" دار المعارف بمصر ط2/1968 .
1970.
- 81- عباس هاني الجراخ"تحقيق المخطوطات مناهجه . قواعده . أعلامه". دار الكتب العلمية، بيروت ط1435/1هـ 2014م.
- 82- عباس هاني الجراخ"مناهج تحقيق المخطوطات . توثيق ودراسة" . المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة ط1431/1هـ 2010م.
- 83- عبد الرحمان بدوي "موسوعة المستشرقين" دار العلم للملايين للترجمة والنشر والتأليف ط3/1993.
- 84- عبد الستار الحلوجي " المخطوط العربي " - مكتبة مصباح ط 2/1409هـ- 1989م .
- 85- عبد السلام الشاذلي " الأسس النظرية في مناهج البحث الأدبي العربي الحديث" . دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت لبنان ط1/1989.
- 86- عبد السلام المسدي " الهوية والأمن اللغوي ، دراسة وتوثيق" المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت ط1/يوليو 2014.
- 87- عبد السلام هارون "تحقيق النصوص ونشرها - مكتبة الخانجي - القاهرة، ط 7/1418هـ - 1998م .
- 88- عبد السلام هارون"رسائل الجاحظ"الجزء ومعه الفهارس الفنية لمجموعة دمداد" الناشر مكتبة الخانجي القاهرة، دت ط.
- 89- عبد السلام هارون"قطوف أدبية حول تحقيق التراث . دراسة نقدية في التراث العربي ." مكتبة السنة الدار السلفية لنشر العلم"ط1/1409هـ . 1988م.
- 90- عبد السلام هارون" نوادر المخطوطات" (مجموعة من المخطوطات النادرة قام بتحقيقها عبد السلام هارون) ج1 دار الجيل بيروت ط1/1411هـ . 1991م.
- 91- عبد الصابور شاهين " في علم اللغة " مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط6/1413هـ 1993م.
- 92- عبد العزيز شرف " اللغة العربية والفكر المستقبلي"، دار الجيل بيروت، ط1/1411هـ- 1991م .
- 93- عبد العزيز عتيق: " النقد الأدبي " دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1/1972.
- 94- عبد الفتاح كليطو"لن تتكلم لغتي " ، "دار الطليعة للطباعة و النشر" بيروت - ط1/2002م.
- 95- عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز" قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر و النويح القاهرة د/ت ط.
- 96- عبد الله كنون " النبوغ المغربي في الأدب العربي" ثلاثة أجزاء في مجلد واحد، دار الثقافة ج2، ط2 1380هـ . 1960م.

- 97- عز الدين شريفى " مناهج البحث العلمى ومناهج تحقيق النصوص، للطلبة الجامعيين والباحثين"، دار شريفى للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، د/ت ط.
- 98- على جواد الطاهر - فوات المحققين - نقد الكتب محققة- دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ط1/1990م.
- 99- على زوين " منهج البحث اللغوى بين التراث وعلم اللغة الحديث" دار الشؤون الثقافية العامة أفاق عربية سلسلة كتب شهرية، وزارة الثقافة والإعلام بغداد، ط1/1986م.
- 100- فؤاد فنديل "أدب الرحلة فى التراث العربى"، مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة، ط2/1423هـ . 2002م.
- 101- فخر الدين محمد يوسف عامر "منهج البحث الأدبى عند ابن خلكان"، الدار العربية للكتاب ط/1991م.
- 102- فريد الأنصارى "أبجديات البحث فى العلوم الشرعية، محاولة فى التأصيل المنهجي". سلسلة حوارات مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، ط1/1417هـ. 1997م.
- 103- لانسون وماييه "منهج البحث فى اللغة والأدب" ترجمة أحمد مندور، دار العلم للملايين، ط2 فبراير 1982م.
- 104- لبيد بن ربيعة العامري "شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري حقهه وقدم له د/ إحسان عباس" سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء فى الكويت ط/ 1962م.
- 105- لويس ماسينيون "الإنسان الكامل و ميزته النشورية فى الإسلام" مجلة المشرق لبنان العدد2، فى 1 أبريل 1958.
- 106- مالك بن نبي "الظاهرة القرآنية" دار الفكر دمشق سورية، ترجمة عبد الصابور شهين، تقديم محمد عبد الله دراز، محمود محمد شاكر، ط4/1987م.
- 107- مالك بن نبي "إنتاج المستشرقين و أثره فى الفكر الإسلامى الحديث" دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط1/ 1377هـ/ 1969م.
- 108- محمد التونجى "المعجم المفصل فى الأدب" ج2 دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2/1999م
- 109- محمد العربى معريش "الاستشراق الفرنسى فى المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية، (1822-1872)" دار الغرب الإسلامى تونس ط1/2009.
- 110- محمد بن أبى بكر الرازى "مختار الصحاح" ضبط وتحقيق مصطفى ديب البغّاء، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين ميلة. الجزائر، ط4/ 1990 مادة: ح ق ق.
- 111- محمد زكريا عنانى وسعيدة محمد رمضان " فى منهج البحث و تحقيق النصوص، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، ط1/1999م.

- 112- محمد سعيد رمضان البوطي "كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق" دار الفكر للطباعة والنشر دمشق سوريا، ط 1982/8 م.
- 113- محمد علي الصابوني "صفوة التفاسير تفسير القرآن الكريم، جامع بين المأثور والمنعقول" - ج 2 عالم الكتب، بيروت، ط 1/1406 هـ 1986 م.
- 114- محمد فتحي الشمالي "قراءة في النص الأدبي مدخل ومنطلقات"، دار وائل للنشر عمان الأردن، ط 1/2009 م.
- 115- محمد يوسف نجم "نظرية النقد والفنون والمذاهب الأدبية في الأدب العربي الحديث" دار صابر-بيروت ط 1985/2 م.
- 116- محمود أحمد السيد "دراسات في المعاصرة و التراث"، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، سلسلة الدراسات (4) ط 2004/
- 117- محمود محمد صناحي "في اللغة والأدب- دراسات وبحوث" دار الغرب الإسلامي المجلد الأول.
- 118- محمود محمد الطنّاحي "مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة في التصحيف والتحرّيف" مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 1405/1 هـ. 1984 م.
- 119- محمود محمد الطنّاحي "من أسرار اللغة في القرآن والسنة معجم لغوي ثقافي" دار الفتح للدراسة والنشر، ج 1، ط 1428/1 هـ، 2008 م.
- 120- محمود محمد شاکر "أباطيل وأسمار"، مكتبة خانجي بالقاهرة، 2005/3.
- 121- محمود محمد شاکر "المتنبى رسالة في الطريق إلى ثقافتنا" مطبعة المدني القاهرة " ط / 1407 هـ . 1987 م.
- 122- محمود محمد شاکر "جمهرة مقالات محمود محمد شاکر"، جمعها وقراها وقدم لها، د/ عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 1/2003.
- 123- مصطفى صادق الرافعي "تاريخ آداب العرب" ج 1، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع القاهرة ط 2010/1.
- 124- مصطفى صادق الرافعي "تحت راية القرآن" - دار الجوزي، مصر القاهرة، ط 2010/1.
- 125- موريس أنجرس، "منهجية البحث في العلوم الإنسانية تدريبات عملية، ترجمة: بوزيد صحراوي وكمال بوشرف وسعيد سبعون،، الإشراف مصطفى ماضي، دار القصبه للنشرالجزائر، ط 2، 2006 م.
- 126- ناصر الدين الأسد "مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية"، دار المعارف القاهرة، ط 5/ 1978 م.
- 127- نجيب العقيقي "المستشرقون" الجزء الأول- دار المعرف- القاهرة، ط 4.
- 128- نوري حمودي القيسي، د/ سامي مكي العاني "منهج تحقيق النصوص ونشرها"، مطبعة العارف بغداد ط/1975 م.

- 129- وليد ابراهيم القصاب " مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية" دار الفكر دمشق البرامكة ط1430/2هـ. 2009م.
- 130- يحي وهيب الجبوري " منهج البحث و تحقيق النصوص : دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان - ط 1993/1م.
- 131- يوسف المرعشلي، أصول البحث العلمي وتحقيق المخطوطات . دار المعرفة بيروت لبنان، ط1424/1هـ 2003 م.
- 132- يوسف وغليسي " مناهج النقد الأدبي" جسور للنشر والتوزيع الجزائر، ط1431/3هـ. 2010م.
- 133- يوهان فوك " تاريخ حركة الاستشراق . الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين" نقله عن الألمانية عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي بيروت لبنان، ط 2/2001م.

قائمة المراجع الأجنبية:

1- Ch. Pellat : «Recueil des textes Tires de la presse arabe »librairie D'Amérique et d'orient Adrien Maisonneuve 11.rue saint Sul prise – 1958.

2_ Charles.Pellat « Une vie d'aradisant »" I' Imprimerie Graphique de L'Ouest - Edition de la librairie Abencerage A GHOZZI Juin 2007/ p2 .

3 – Ch. Pellat : « Un Document sur Les rapports entre Chorfat et Berbere ». Revue De L'Occident Musulman ET De 4_La Méditerranée.puiliée avec le concours du centre national de la recherche scientifique et des universités d'Aix-Marseille. Numéros 15-16. 2° semestre 1973.

4_Ch.Pellat: Une Rsala Inedite De GAHIZ sure L'arbitraga entre Ali et Muawiya _ Pa :488.3.

— مجلة المشرق، لبنان العدد4 في 1 نوفمبر 1958 .

قائمة المجلات والدوريات والجرائد:

- 1- ابن حزم الأندلسي " . جمهرة أنساب العرب " - نقد و غرض الكاتب" - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد" يصدرها معهد الدراسات الإسلامية في مدريد - اسبانيا - المجلد 9 و 10 - مجلد يضم مجلدين 1961 و 1962 .
- 2- ابن شهيد "ديوان ابن شهيد الأندلسي عني بجمعه شارل بيلا أستاذ" \ السربون - ط. دار الكشوف بيروت سنة 1963، ص 162 متوسط) - حوليات الجامعة التونسية العدد1(1 يناير 1964).
- 3- ابن عذارى المراكشي - "البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب" تحقيق أمبروسيو هوسي مراندة، مع مساعدة الأستاذين محمد بن تاوريرت ومحمد بن إبراهيم الكتّاني ط./ نطوان 1960. صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد"، يصدرها معهد الدراسات الإسلامية في مدريد - اسبانيا المجلد 9 و 10 - مجلد يضم مجلدين 1961 و 1962
- 4- أحمد شوقي بنين" مطبوعات بولاق اللغوية والأدبية: مقارنة في التحقيق مقال نشر ضمن تحقيق المخطوطات اللغوية و الأدبية ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية ط 1/ 1437هـ. 2016م
- 5- أحمد فؤاد باشا " الحسن بن الهيثم ومآثره العلمية " كتاب المجلة العربية 218، الرياض، العدد 457 صفر 1436هـ. ديسمبر 2014م.
- 6- حبيب بوزوادة "القراءة الإستشراقية للموروث لأدبي بين الموضوعية و الإجحاف - مجلة "جذور" النادي الأدبي الثقافي بجدة - العربية - السعودية العدد 37 شعبان 1435 هـ/ يونية 2014م
- 7- خالد محمد فرح الفحل " قضايا العالم الاسلامي من منظور المنهج الاستشراقي والبحثي الفرنسي" مركز دراسات الإسلام والعالم المعاصر، السنة الأولى العدد1، يونيو 2008م مايو 2008.
- 8- خليل الهنداوي "عرض و تحليل: خليل الهنداوي الجاحظ للدكتور شارل بيلا ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني" منشورات دار اليقظة العربية للترجمة التأليف والنشر - دمشق" - مجلة المعرفة - سوريا . العدد 7، 1 يوليو(جولن) 1962.
- 9- رمضان حينوني " الأدب العربي القديم في كتابات المستشرقين الفرنسيين". مجلة التواصل الأدبي (نصف سنوية محكمة)، تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر) العدد 5 ، ديسمبر 2015م.
- 10- روبير متران " الاستشراق الفرنسي أصوله، تطوره، آفاقه"، ترجمة د/ يوسف حيي " الاستشراق " سلسلة كتب الثقافة المقارنة أعظمية بغداد ، العراق، العدد الثاني شباط 1987م.

- 11- شفيق جبري . " التعريف والنقد . كتاب التزييع والتدوير . عني بنشره وتحقيقه، شارل بلاّت أستاذ بمدرسة اللغات الشرقية بباريس . مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سوريا، العدد رقم1 في 1 يناير 1956م.
- 12- شكري فيصل " التراث العربي خطة و منهج" مجلة التراث العربي، سوريا، العدد3 . في 15 أكتوبر 1980 م.
- 13- شارل بلا " الجاحظ والمرأة". حوليات الجامعة التونسية العدد رقم 25 في 1 يناير 1986.
- شارل بيلا " اللغة العربية و العالم الحديث" : مجلة اللسان العربي ، مجلة دورية للأبحاث اللغوية و نشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي – يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي (جامعة الدول العربية) – الرباط المغرب الأقصى – العدد الخامس ، ص 50
- 14- شارل بيلا " تباين الآراء في مفهوم الأدب عند العرب " ترجمة أكرم فاضل . مجلة المورد . دار الحرية للطباعة بغداد تصدرها وزارة الثقافة والفنون الجمهورية العراقية، مج8 - العدد1، ربيع 1399هـ . 1979م.
- 15- شارل بيلا " تنويعات على معنى الأدب" تعريب رمزي رضاني - " مجلة «نزوى» مجلة فصلية ثقافية، مسقط سلطنة عمان العدد 61/ يناير 2010.
- 16- شارل بيلا " حسن حسني عبد الوهّاب كما عرفته" مجلة الفكر تونس العدد5 في 1 فبراير 1986م.
- 17- شارل بيلا " حول كتاب البغال" مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الثالث الجزء الأول شوال 1376هـ . 1957م).
- 18- شارل بيلا "دائرة المعارف الإسلامية "مادة الجاحظ".أصدر بالألمانية و الإنجليزية و الفرنسية في الترجمة على العربية على الأصليين الإنجليزي و الفرنسي يصدرها إلى العربية أحمد الشناوي، إبراهيم زكي، خورشيد عبد الحميد يونس- يراجعها من قبل وزارة المعارف محمد سعدي علام المجلد السادس دار الفكر 236 (دون طبعة و تاريخ الطبع).
- 19- شارل بيلا "رسالة عمرو بن بحر الجاحظ، فهرس (تراجم الأرقام إلى فقرات)" يليها مقال حول الرسالة بالفرنسية (في التحكيم بين علي ومعاوية) - مجلة المشرق، لبنان العدد4 في 1 نوفمبر 1958.
- 20- ينظر شفيق جبري " التعريف والنقد . كتاب التزييع والتدوير . عني بنشره وتحقيقه، شارل بلاّت أستاذ بمدرسة اللغات الشرقية بباريس . مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سوريا، ال عدد رقم1 في 1 يناير 1956.
- 21- شكري فيصل " التراث العربي خطة و منهج" مجلة التراث العربي، سوريا، العدد3 . في 15 أكتوبر 1980.
- 22- عبد السلام هارون " إحياء التراث وما تمّ فيه"المجلة مصر، العدد 114، 1 يونيو 1966م. تراث الغرب الإسلامي"مجلة الحضارة الإسلامية . دار الغرب للنشر و التوزيع 7العدد – 1422هـ . 2001م .
- 23- عبد السلام هارون" التراث العربي" مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . الكويت . الإصدار الثمانون، ط1/1435هـ . 2014م.

- 24- عبد السلام محمد هارون "رسائل الجاحظ . الجزء الثاني ومعه الفهارس الفنية لمجموعة دمداد" الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، دت ط.
- 25- عبد السلام هارون " نقد الكتب . كتاب البغال لأبي عثمان الجاحظ تحقيق شارل بيلا " مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، المجلد الثاني، الجزء الأول، شوال 1375هـ - ماي 1965م.
- 26- عبد الرحمان الحاج صالح "الدخيرة اللغوية العربية" مجمع اللغة العربية الأردني . العدد 30 في 1 يناير 1986.
- 27- عبد الرحمان بودرع "غربة العربية" كتاب الأمة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر - العدد 101 جمادى الأولى 1425 السنة الرابعة والعشرون جويلية (يونيو) 2004 م .
- 28- عبد الرزاق مسلك " اللغة العربية في الدراسات الأستشراقية الألمانية" مجلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس العدد: 12، 1421، 2001م.
- 29- عبد العزيز الساوري "المستدرك على ديوان ابن شهيد الأندلسي، المتوفى سنة 426" جمع وتحقيق شارل بيلا - تقديم بطرس البستاني - دار المكشوف بيروت ط1/1963م- مجلة المورد المجلد 17، ج1/1988 م.
- 30- عبد الكريم غلاب " العرض التمهيدي " مجلّة المغرب في الدراسات الاستشراقية - سلسلة "الندوات " مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية مراكش شوال 1413هـ/أبريل 1993 م ، شارع الإمام مالك - الرباط المملكة المغربية.
- 31- عمرو بن بحر الجاحظ رسالة " في الحكمين وتصويب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في فعله" تحقيق شارل بلات . مجلة المشرق لبنان . العدد رقم4 في 1 نوفمبر 1958م.
- 32- محمد عيسى " القراءة النفسية للنصّ الأدبي العربي" مجلة جامعة دمشق المجلد19 العدد (1+ 2) السنة 2003 م.
- 33- محمد أمين "قراءة النص التراثي سؤال المنهج و منطق الخطاب." مجلة جذور" النادي الأدبي الثقافي بجدة - العربية - السعودية العدد 37 شعبان 1435 هـ/ يونيه 2014م.
- 34- محمد العربي معريش "الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية، (1822-1872)" دار الغرب الاسلامي تونس ط1/2009.
- 35- محمد بن معمر "منهج ليفي بروفنسال في تحقيق تراث العربي الإسلامي" مجلة الحضارة الإسلامية . دار الغرب الإسلامي العدد7، ط1422هـ . 2001م.
- 36- محمد داوود " بين الفصحى والعامية " مجلة اللسان العربي، العدد الثاني (2) رمضان 1384 هـ 1965م.
- 37- محمد طه الحجازي، "دراسات في التراث "عالم الفكر المجلد الثامن - العدد الأول - ابريل - مايو - يونيو - 1977 م.

- 38- محمد فاروق النبهان- مجلة شهرية تقني بالدراسات الإسلامية و بشؤون الثقافة و الفكر - الرباط وزارة الأذفاق و الشؤون الإسلامية، العدد 329 ربيع 1/1418 يوليو 1997م.
- 39- محمود فهمي حجازي " اتجاهات المشرقين في دراسة الحياة اللغوية في العالم العربي الحديث " مجلة " المجلة " العدد 114 في 1 يونيو (يناير) 1966.
- 40- ناصر الدين الأسد " اللغة العربيّة تذبل الآن على أيدي أبنائها " مجلة العربي الكويتية، العدد 521 أبريل 2002 .
- 35- ناصر الدين الأسد _ حوار وجهها لوجهه مع جهاد فاضل " اللغة العربيّة تذبل الآن على أيدي أبنائها. مجلة العربي الكويتية العدد 521 أبريل 2002 م .

ملحق

- الجاحظ والأدب المقارن(*) - تأليف: شارل بيلا (1) . ت. محمد وليد حافظ
- مقال "الجاحظ رائد الجغرافيا الإنسانية" بقلم شارل بيلا.
- الجاحظ و الأحنف بن قيس - بقلم شارل بيلا.
- بقايا كتاب هامّ للجاحظ - بقلم شارل بيلا.
- من رسالة جاحظية تفضيل البطن على الظهر - تحقيق شارل بيلا.
- محمد بن يسير الرياشي وأشعاره - بقلم شارل بيلا.
- النشر العربي في بغداد - بقلم شارل بيلا - تعريب محمد العجيمي.

ملحق: بعض الموضوعات التي طرقها شارل بيلا

● الجاحظ والأدب المقارن(*) - تأليف: شارل بيلا (1). ت. محمد وليد حافظ

كتب بيلا مقالا في الأدب المقارن بعنوان "الجاحظ والأدب المقارن" - بالفرنسية و قام محمد وليد حافظ بترجمته إلى العربية.

والموضوع بالرغم مما فيه من مخاطرة فقد خاض فيه بيلا وهو يعلم ذلك حين قال: " هذا المقال نوع من المخاطرة" فالأدب والمنهج المقارن حديث النشأة وربطه بالجاحظ فيه تحميل ما لا يحتمل يقوله: " ثم قلت لنفسي: على كل حال يستحق المشروع المحاولة رغم أنه يبدو للوهلة الأولى أن قدرة كاتب عربي من القرن التاسع على الاهتمام بقضايا انبثقت من علم عصري جداً هو شيء من قبيل المفارقة."

- مقال "الجاحظ رائد الجغرافيا الإنسانية" بقلم شارل بلا:مجلة المشرق . لبنان . العدد 2 - في 1 أبريل 1966. (من ص 169 إلى ص 205)

وجاء في مقدمته ص 169: " يخبرنا أصحاب التراجم و الفهارس بأنّ الجاحظ خلف من بين ما خلفه من مؤلفاته العديدة كتيبا وسمه النسّاخ بكتاب "الأمصّار وعجائب البلدان" ويغلب على الظنّ أنّ الوراقين أغضّبوا عنه وتركوا استنساخه لعدم فائدته في نظر زبائنهم، حتّى ضاع أكثره ولم يبق منه إلاّ أقلّه وقد حفظ لنا هذا القليل ناسح تناول الكتاب فأخذ منه ما راقه، و اختار ما أعجب به، فتداول الناس هذه المختارات إلى أن وصلت إلى المتحف البربطني (رقم 1129). وقد ذكر بيلا في هامش نفس الصفحة، و" قد تبين أخيرا أنّ نسخة ثانية موجودة في استنبول (رقم 1358) . وذكر الآراء المتضاربة حول الكتاب.

- رسالة للجاحظ شرحها للمرة الأولى بلاّ أستاذ معهد الدراسات الإسلامية في باريس: مجلة

المشرق العدد رقم: 3-1 مارس 1953.(من ص: 281 إلى 303)

المخطوطة موجودة في مكتبة برلين المنقولة إلى توبنجن (Tubingen) و هي منتخبات من كلام الجاحظ قام بيلا بتحقيقها، و الرسالة موجّهة إلى شخصية عباسية لم يذكر اسمها الجاحظ. لكن بيلا تأكّد من أنّ المؤلّف قصد أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد يمدحه هو و والدّه ثمّ الخليفة العباسي المعتصم.

توصّل بيلا إلى ذلك من خلال مقارنة ماجاء في المخطوطة المذكورة و مخطوطة أخرى موجودة في مكتبة هندية يقول " فلحسن الحظ قد أتيح لنا أن نفحص عن مخطوطة أخرى محفوظة في مكتبة دامداد إبراهيم باشا فشاهدنا اتّفاقا جزئيا بين آخر النصّ الأوّل و بين رسالة من رسائل المجموعة الثانية موسومة بنفي التشبيه ، ويظهر عند الفحص وتأمل النصّين أنّ أصل النصّين واحد، وهو رسالة طويلة أرسلها الجاحظ إلى أبي الوليد يطلب منه - جوهريا - المساعدة على " تخليد" كتايه" في الرّد على المشبّهة". ص 282.

أمكنته الموازنة كما يبدو من إقامة نصّ آخر مُرضٍ وتحديد تاريخ الرسالة نسبيا.

- محمد بن يسير الرياشي وأشعاره . بقلم شارل بيلا:المشرق لبنان - العدد 4 جوان 1955. ص 286.

- بقايا كتاب هامّ للجاحظ - بقلم شارل بيلا: مجلة المشرق لبنان - العدد 3 في 1 جوان 1969. ص 315 - 326.

- من رسالة جاحظية تفضيل البطن على الظهر - تحقيق شارل بيلا: حوليات الجامعة التونسية

العدد 13 ، 1 يناير 1976. ص 183 إلى 192.

- الجاحظ والأحنف بن قيس بقلم شارل بيلا:مجلة المشرق لبنان العدد5 في 1 ديسمبر 1969 ص 661

- النشر العربي في بغداد - بقلم شارل بيلا - تعريب - محمد العجيمي . الجامعة التونسية العدد 24 في 1 يناير 1985. من 293 إلى 319.

فهرس الموضوعات



54	2- علاقة المنهج الاجتماعي بالمنهج التاريخي.
55	3- المنهج الاجتماعي: أسسه و اتجاهاته و مأخذه.
51	4 - الاستشراق و المنهج الاجتماعي.
	• المبحث الرابع: المنهج النفسي.
61	1- علم النفس الأدبي و بداياته.
67	2- علاقة علم النفس بالأدب .
70	3- المنهج النفسي و العملية الإبداعية.
73	4- الاستشراق و المنهج النفسي الأدبي.
	• المبحث الخامس: المنهج اللغوي
76	1- اللغة العربية و أهميتها.
77	2- اللغة العربية و علاقتها باللغات الأخرى.
79	3- منهج البحث اللغوي.
83	4- الاستشراق و اللغة و الأدب العربي.
	الفصل الثاني: في تحقيق النصّ:
	• المبحث الأول: النصّ و التحقيق و المنهج.
89	1- تحقيق النصوص .
90	2- منهج تحقيق النصوص.
95	3- ضبط النص و التعليق عليه.
103	4- الفهرسة و الببليوغرافية.
104	• المبحث الثاني: تحقيق النسبة الفردية.
109	1- الجهود الفردية في تحقيق النصوص.

110	2- نماذج من التحقيق الفردي للنصوص.
113	3- اهتمام المستشرقين بالتحقيق ونسبة تفاوتهم.
117	4- منهج التحقيق عند المستشرقين في العصر الحديث.
	المبحث الثالث: تحقيق النسبة الجماعية .
125	1- الجهود الجماعية في تحقيق التراث.
128	2- المجامع اللغوية العربية وتحقيق التراث.
130	3- المستشرقون والمجامع العربية.
130	4- بين الجهود الجماعية والفردية.
	• البحث الرابع: نقد التحقيق:
135	1- نقد التحقيق وأهميته.
136	2- دواعي نقد التحقيق و مزاياه.
137	3- نماذج من نقد نشرات محققين عرب.
140	4- نقد نشرات مستشرقين.
	الفصل الثالث: قراءة في كتابات شارل بيلا .
149	• المبحث الأول : مدرسة الاستشراق الفرنسي .
150	1- بداية المواجهة بين فرنسا والمد الإسلامي.
151	2- مدرسة الاستشراق الفرنسي و المخطوطات العربية:
155	3- ريادة الاستشراق الفرنسي للدراسات العربية.
156	4- الاستشراق الفرنسي الأكاديمي الحديث.
	• المبحث الثاني: بيلا وإسهاماته في الأدب العربي .
161	1- ترجمة شارل بيلا : Charles Pellat.
162	2- آثار بيلا العلمية.
165	3- بيلا والمعجمية.

165	4- نشاطات بيلا و مساهماته المتعدّدة.
	• المبحث الثالث: شارل بيلا و المناهج الأدبية.
169	1- الاستشراق الفرنسي والمنهج التاريخي.
170	2- شارل بيلا دراسات في الأدب العربي.
198	3- بيلا و دراسات لغوية.
210	4- بيلا دراسات متنوّعة.
	• المبحث الرابع: بيلا وتحقيق النصّ.
218	1- شارل بيلا وتحقيق النصوص.
219	2- بيلا ورسائل الجاحظ :
219	أ - "رسالة التربيعة والتدوير" للجاحظ تحقيق شارل بيلا.
227	ب - "كتاب القول في البغال" تحقيق شارل بيلا.
232	ج - نقد نشرة البغال للجاحظ تحقيق شارل بيلا.
230	3- "ديوان ابن شهيد الأندلسي" جمع وتحقيق شارل بيلا.
241	4- "مروج الذهب" للمسعودي تحقيق شارل بيلا.
249	- خاتمة:
254	- قائمة المصادر والمراجع.
	- ملحق : بعض الموضوعات التي طرقها سارل بيلا.
	- فهرس الموضوعات

ملخص:

يتناول هذا البحث المنهج الأدبي عند المستشرقين، قراءة في كتابات "شارل بيلا" وهو أحد أعلام المدرسة الفرنسية و له دراسات كثيرة ومتنوعة في التراث العربي قديمة وحديثة، وأطر العديد من الأطروحات العربية. و لأجل منح هذا الجهد الصيغة العلمية ارتأيت أن أتناوله من جانبين: جانب نظري أشير فيه إلى المناهج الأدبية ومالها علاقة بالاستشراق، وجانب تطبيقي أتبع فيه آثار هذه الشخصية مؤلفاته ومقالاته وتحقيقاته، التي أثرت الأدب العربي.

قراءة كتابات "شارل بيلا" تستدعي الإلمام بمختلف جوانبها وهي مهمة ليست باليسيرة، وإعطاء انطباعات مؤسسة أمر هام في مثل هذه الأعمال الاستشراقية التي كثر فيها الجدل، لكن لا بد من الخوض فيها لتوضيح المفاهيم وتنقية تراثنا من كل ما يشوبه من افتراءات هو في غنى عنها.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، التراث، المنهج الأدبي، تحقيق التراث، شارل بيلا.

Résumé :

La présente recherche traite de la méthodologie littéraire chez les orientalistes dont les écrits de l'auteur que nous avons pris en sujet d'étude « Charles Pellat ». Cet auteur est l'un des fards de la littérature française qui a produit d'innombrables études quant à l'héritage littéraire arabe classique et moderne. De ce point de vue, j'ai envisagé d'approcher cette recherche à deux strates distinctes : la première est théorique et j'y évoque les différentes méthodologies littéraires dans leurs rapports à l'orientalisme.

La seconde est pratique : dans cette partie je m'intéresse en les scrutant à toutes les productions de « Charles Pellat » qui ont contribué à l'enrichissement de la littérature arabe.

Pour lire « Charles Pellat », il est fondamental de cerner tous les aspects et composantes de ses écrits, tâche qui n'est point aisée. En outre, et afin de fournir des impressions fondées sur les travaux de cet auteur, il est nécessaire de les bien appréhender pour mieux en éclaircir les parties sombres et ainsi raffiner notre héritage littéraire de toutes les erreurs et allégations qui l'ont encombrées.

Mots-clés : l'orientalisme, l'héritage, la méthodologie littéraire, édition de textes anciens(codex) , Charles Pellat.

Abstract :

This research tackles the literary approach within the orientalist perspective. It undertakes the writings of "Charles Pellat" one of the French school figures. The latter has several studies in ancient and modern Arabic linguistic heritage in addition to supervising many Arabic theses. Hence, for the sake of constructing this research in critical scientific framework, I endeavour to introduce it within two dimensions, a theoretical one which represents the major linguistic approaches and its relationship with orientalism, and a practical dimension in which I study the figure's writings, articles and achievements that have influenced the Arabic literature. The study of Charles Pellat's writings that is basically an intricate task requires a great knowledge of its different aspects for being one of the orientalist works. It aims at clarifying the concepts that have faced various controversies to eliminate any falsification in our Arabic heristage.

Key words: orientalism, heritage, literary approach, editions of ancient texts (codex)

Charles Pellat .

|

|

ملخص بحث

المنهج الأدبي عند المستشرقين في قراءة في كتابات شارل بيبلا

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه الطاهرين، ومن دعا بدعوته، واستن بسنته إلى يوم الدين. وبعد:

الاستشراق ظاهرة متعددة الاتجاهات اتخذت من الشرق الإسلامي في البداية منطلقا لها ثم اتسع مجالها ليشمل التواجد الإسلامي أينما حلّ وارتحل بلغاته، وتقاليده، وآدابه ، فالمستشرقون هم علماء غربيون اختصّوا بدراسة الإسلام واللغة العربية آدابها خاصّة، ولغات الشرق وعلومه عامّة. هذه الظاهرة التي أثارت كثيرا من الجدل رغم انقضاء زمن الرواد الأوائل أو ما سمي بالاستشراق التقليدي، الذي انطلق من تراث الشرق العربي بمختلف فنونه، يصوغ بحوثه، ويطرح تصورات، وفقا لرؤى محدّدة المعالم ارتبطت بالإسلام والأمة العربية أوّلا ثم امتدّ إلى بلدان غير عربية وشملها الاسلام. ويرى بعض المتبعين أنّها مظاهر توارت مع اليقظة العربية وانتشار العلوم وتطور الوسائل، فاستشراق يوم ليس كاستشراق الأمس. و لمعرفة حقيقة المستشرقين حري بنا الرجوع إلى كتابات المستشرقين و دراسة إنتاجهم، والوقوف على مناهجهم بعيدا عن الأحكام الواهية، والإسقاطات الجاهزة غير المؤسّسة. لأنّ الحكم على الاستشراق لكي يحقق الغاية يجب أن لا يتمّ ظاهريا دون دراسته دراسة دقيقة ومعرفة من الداخل باعتبار أنّ الاستشراق لم ينطلق من فراغ في دراسته للنصوص العربية و

الآثار الإسلامية، فقد مارس سلطته في كثير من الأحيان و لا يزال يمارس بحكم نفوذه و تحكّمه في الوسائل والمناهج، واستطاعت المناهج الغربية أن تحدث جدلا بين المنهج والعقل مند ديكرت إلى يومنا هذا.

لذا سعت من خلا هذا الجهد المتواضع و المتمثّل في " المنهج البحث الأدبي عند المستشرقين . قراءة في كتابات شارل بيلا . " لمعرفة مدى مناصفة المستشرقين للمناهج الأدبية ي تعاملهم مع التراث العربي، وليس الأمر هيّنا خصوصا و نحن أمام كمّ استشراقي هائل، طاقّات سخّرت و جهود بذلت، و مفاهيم رصدت، وكتب ومقالات نشرت مرتبطة بمواضيع اللغة والادب العربية بعضها قد يحتمل أو لا تحتمل التأويل،ناهيك عن المجازات و الرموز المتعدّدة التي يحتويها الأدب فيضطرّ المستشرق أن يفسّرها حسب فهمه لها أو قياسا على المعنى الظاهري لها.

ركّزت في ذلك على "شارل بيلا"، وهو أحد أعلام المدرسة الفرنسية، له دراسات كثيرة، ومتنوعة في التراث العربي قديمة وحديثة وأطر العديد من الأطروحات العربية، ولأجل منح هذا الجهد الصيغة العلمية ارتأيت أن أتناوله من جانبين: جانب نظري أشير فيه إلى المناهج الأدبية وما لها علاقة بالاستشراق، وجانب تطبيقي أتبع فيه آثار هذه الشخصية مؤلفاته ومقالاته وتحقيقاته، التي أثرت الأدب العربي.

ومما لاشك فيه أنه هذا العمل يوضّح الأهداف والغايات الحقيقية لدراسة الأدب العربي والمتمثلة فيما يلي:

. بيان محاسن و مساوى المستشرقين إذ لا يمكن . والحقّ يقال . وضعهم في سلّة واحدة.

. التخصّص في دراسة آثار المستشرقين، وقراءة إنتاجاتهم وفق المناهج الحديثة بعيدا عن الأحكام

التعميمية.

. الاستفادة ولما لا من الدّراسات الاستشرقية الجادّة و تثمينها، خصوصا وأنّ بعض المستشرقين

أجادوا العربية ولهم توجّهات سليمة، وبالتالى إقامة الصلة بين الدراسات العربية، والدراسات الغربية ،

و مدّ جسور الحوار بين الشرق والغرب في إطار احترام خصوصيات كلّ طرف.

المنهج الوصفي التحليلي : وهو منهج يقوم على دراسة النصوص و الآراء المختلفة

وتفكيكها وتقويمها أو إرجاع العناصر إلى أصولها. وحسبنا أن في كتابات شارل بيلا ما يدعو إلى

اعتماد هذا المنهج.، واستعنت في ذلك بالمنهج التاريخي في تتبّع بعض الظواهر الأدبية.

حاولت جاهدا اعتماد الموضوعية في الطرح ، و الحياد العلمي وعدم تغليب العاطفة وإن

كان صعبا في حالات عديدة ، لأنّ منطق الاستشراق في حدّ ذاته كثيرا ما يصدر عن هوى متّبّع،

أو تعصّب أعمى.

المدخل: الظاهرة الاستشراقية حقيقتها وأبعادها:

اختلاف المتتبعون في بداية نشأتها وتضاربت الآراء حولها، وسريانها في تراث الأمة بمختلف فنونه وفروعه، ماضيه وحاضره، وبعض قضاياها التبتت بجهود مفكري الأمة، و مؤرخي الأدب. لتأثر بعضهم ببعض . وإن كثيرا من المفاهيم التي حوتها كتب الأدب وتاريخه هي في الحقيقة من بنات أفكار الاستشراق أقحمت بطريقة أو بأخرى و عدّها البعض عندنا من المسلمات.

اشتمل بحثي على مدخل و ثلاثة فصول تمثل أوجزتها فيمايلي:

المدخل: تحدّث فيه عن الاستشراق والسلف و التراث والمنهج، وكيف استطاع القدامى أن يتميّزوا بمنهجهم وينفردوا بها على سبيل المثال لا الحصر منهج الجرح والتعديل و تراجم الشعراء وأشعارهم ، وتواريخ، وما اتّسمت به بحوثهم من تحرّ دقيق ، وصرامة في قبول الخبر والموضوعية في الطرح، و العدل والضبط في نقل الأحاديث الشريفة والروايات، وعلى درهم سار اللغويون والأدباء.

الفصل لأوّل : وعنوانه "في المنهج الأدبي" وهو بمثابة توطئة للمناهج الأدبية ركّزت فيه على

بعض المناهج التقليدية.

إذتعتبر المناهج الأدبية عمدت الدراسات الأدبية الحديثة، والسبيل إلى إدراك حقائق النصوص وفهم رموزها، لما توفره من وضوح الرؤية، وقياسية تحقيق الغايات، وهذا إذا ما أحسن تطبيق مفاهيمها، ورعيت خطواتها.

وقد تناولت: . المنهج في الاصطلاح وأهميته كفن له مبادئه، و الناقد في و وظيفته الناقد في ظلّ

المناهج الأدبية.

واشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث وهي: المنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي والمنهج النفسي والمنهج اللغوي.

. المبحث الأول: تناولت في هذا المبحث المنهج التاريخي، والعلاقة القائمة بين شركاء هذا المنهج والمتمثلة في المؤرّخ و المادّة والمنهج. ومجالات هذا المنهج، والمخاطر التي قد تعصف بجهد الباحث إذا ما انصاع لها منها: التعميم، والاستقراء الناقص، الحكم الجازم، والتعميم، وإلغاء الخصائص والبواعث الشخصية. و المنهج التاريخي والادب الحديث. و في الأخير المستشرقون والمنهج التاريخي.

المبحث الثاني: خصّصته للمنهج الاجتماعي وعلاقته بالمنهج التاريخي، يرى البعض أن المنهج الاجتماعي خرج من رحم المنهج التاريخي، تمّ علاقة المنهج الاجتماعي بالأدب باعتبار أنّ الأدب مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي. ثمّ تطرقت إلى:

. أسس المنهج الاجتماعي و اتجاهاته ومن يمثلها أو روّادها في الادب العربي. ثمّ الاستشراق والمنهج الاجتماعي.

المبحث الثالث: المنهج النفسي و بدايات علم النفس الأدبي وعلاقة الأدب بالمنهج النفسي وهي علاقة متداخلة وعضوية، بمعنى لا يمكن عزل النصّ عن صاحبه، والنوازع النفسية لصاحب النصّ

لا محالة ظاهرة بصورة جلية أو خفية في النصّ. والعملية الإبداعية التي هي نتاج ظروف وأحوال متعدّدة و حالات نفسية تعتبر جزء لا يتجزأ من الأثر.

وللمنهج النفسي دور في استجلاء بعض جوانب النصّ والتي لا يستطيع المنهج التاريخي أو الاجتماعي أن يفكّ شفراتها. دون أن ننسى تطبيق المستشرقين للمنهج النفسي في الأدب العربي.

المبحث الرابع: المنهج اللغوي، وقد تطرقت فيه للغة العربية وأهميتها بالنسبة للأمة وعلاقتها باللغات الأخرى، وما ينضوي تحته من مناهج أساسية ارتبطت بالاستشراق في دراسته للغة، كالمنهج التاريخي والمنهج الوصفي والمنهج التقابلي والمنهج المقارن، وفي الأخير المستشرقون واللغة والأدب العربي.

الفصل الثاني: في تحقيق النصوص، ضمّنته أربعة مباحث كذلكوهي:

. المبحث الأول: النص والتحقيق لغة واصطلاحاً، تحقيق النصوص والخطوات الأساسية الواجب اتّباعها في التحقيق.

المبحث الثاني: تحقيق النسبة الفردية وأشرت من خلاله إلى الجهود الفردية التي قام بها نخبة من المحققين العرب و المستشرقين.

المبحث الثالث: تحقيق النسبة الجماعية وقد وکلت إلى جماعة من المحققين أو ما كان في إطار الانتساب إلى الجماع العلمية والغوية. ثمّ اهتمام المستشرقين والمستعربين بالمخطوطات ودورهم في تحقيقها و نشرها.

مبحث الرابع: نقد التحقيق أو تحقيق التحقيق، و تعرّضت لمفهوم المصطلح، و فيه النقود بعض الكتب المحققة سلفا لأسباب قد ترجع لاعتماد نسخة واحدة أو إغفالها لنسخ مهمة موجودة ، أو لقصود في التصويب والتحقيق. من جهة المحققين العرب أو المستشرقين، إلا أنّ التركيز يكون على الفئة الثانية المعنية بالبحث.

الفصل الثالث: وهو آخر الفصول خصّصته للدراسة التطبيقية تحت عنوان **قراءة في كتابات شارل بيلا و aمنته أربعة مباحث كذلك على غرار سابقه:**

البحث الأول: مدرسة الاستشراق الفرنسي و ميزاتهما وعلاقتها بالشرق وبعض رموزها وريادتها للدراسات الاستشراقية في فترة زمنية معيّنة.

المبحث الثاني: شارل بيلا ومساهماته العلمية سواء في التأليف أو الترجمة أو التحقيق. وما خلفه من تراث ضخم ارتبط بالأمة العربية والاسلامية.

المبحث الثالث: شارل بيلا والمناهج الأدبية : من خلال قراءتي لما توفر لدي من مؤلفات و أبحاث مقالات شارل بيلا حاولت جاهدا أن أدرسها وأتبع المنهج المعتمد في كتاباته، وأن أقف على بعض طروحاته بالنقد مستعينا في ذلك بآراء بعض الكتاب والنقاد.

ومن المؤلفات التي تناولتها بالدراسة تاريخ اللغة والأدب العربي، و الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، و مقال بعنوان أصالة الجاحظ، بالإضافة مؤلفات أخرى متنوعة بين الدراسات الأدبية و اللغوية .

. **المبحث الرابع:** شارل بيلا وتحقيق النصوص وهذا المبحث تتبعت فيه التحقيق عند شارل بيلا من خلال ما حققه من مخطوطات كرسالة التبريع والتدوير و البغال للجاحظ ، و ديوان ابن شهيد الأندلسي ومروج الذهب للمسعودي وغيرها، وأحاول أن أقيم جهود شارل بيلا بجهود غيره من المحققين ، والانتقادات التي طالت تحقيقاته.

خاتمة: وهي مجموعة استنتاجات خلصت لها من خلال بحثي وجهدي المتواصل في بعض أعمال

الجاحظ الأدبية واللغوية. وقد تبّن لي من خلال دراستي للمنهج الاستشراقي:

- أن الاستشراق لم يكتف بالتلقيب عن التراث وجمع التراث العربي فحسب، وإنما حاول نقده

وتقويمه بتطبيقه لمختلف المناهج الحديثة.

- إن المنهج العلمي الاستشراقي مع ما فيه من إيجابيات فإنه يكتنفه كثير من الأخطاء منها:

- يضع افتراضات مسبقة ويحاول تثبيتها و الدفاع عن صحتها.

- الكتابة عن التراث العربي والإسلامي وفق ما يتصوره المستشرق لا كما ينطبق مع التوجهات

العربية والإسلامية.

- كثيرا ما يعتمدون على المصادر غير الموثوق بها.

- الاستشراق ليس له منهج واضح يمكن مقارنته بالمناهج العلمية التي طورتها العلوم المختلفة نظرية

أو تجريبية أو اجتماعية أو إنسانية .

- اعتماد الأفكار والمناهج الحداثية التي كثيرا ما لا تنسجم مع النصوص العربية.

- العقل الغربي أساسه الثورة المنهجية، وتداخل العقل والمنهج يمثل قاعدة الحداثة الفكرية الغربية

منذ ديكارت صاحب مقال في المنهج إلى يومنا هذا.

- الاستشراق مرآة عاكسة لتوجهات وتحولات غربية، وأي معركة فكرية ومعرفية لا يجب أن تكون من

خارج اسوار المناهج التراثية جهة والحد

- ما حقّقهاالمستشرقين بما فيهم شارل بيبلا جهود لا ينكرها عاقل ولكن لا بدّ من إعادة تحقيق ما

حققوه، لضمان سلامة تراثنا ولتنقيته من كلّ شائبة.

- كتابات وآراء شارل بيبلا لم تكن بريئة بحكم ارتباطه بدوائر سياسية، و تولّيه مناصب حسّاسة.

- قد يخطئ المستشرق في فهم طبيعة الدراسات العربية التي يتناولها لاختلاف المقاييس بين ثقافتهم

وثقافات اللغات الأخرى التي يدرسونها.

- وقد يخطئ العرب أيضاً حين يحكمون و يقيمون أعمال المستشرقين دون معرفة كافية بمناهجهم

وأدواتها والاستنتاجات المترتبة عليها.

- اهتمام المستشرقون باللهاجات أكثر من اهتمامهم بالعربية الفصحى، وليجعلوا من لغة القرآن لغة

دين فقط .

- المستعرب الدارس هنا لا يهتم بالاندماج في الوسط العربي، بل إعطاء صورة للعلم الشرقي لأبناء

وطنه والسهر على خدمة بلده بالدرجة الأولى.

في الأخير وَّجَّهت دعوة تتمثّل في إعادة النظر في آليات التحقيق وإعادة تحقيق الكتب وفق منهج

متكامل يضمن سلامة النصّ.

Introduction :

Praise be to Allah the Lord of the worlds and may the blessings and peace of Allah be upon the most honored of messengers our master Muhammad and upon all his family and companion.

After:

The phenomenon of orientalism still raises a lot of controversy despite the expiry of the time of the early pioneers or the so-called traditional orientalism, Which started from the heritage of the Arab East with its various arts, Formulates its research, and posits his perceptions, according to specific visions linked to Islam and the Arab nation first, than extended to non-Arab countries and included Islam. Some observers see it as a phenomenon that has disappeared with Arab vigilance, the spread of science and the development of means, the orientalism today is not the orientalism yesterday. In order to know the truth of orientalists, we should refer to the writings of orientalists and study their production, and to stand on their curriculum away from the flimsy provisions, and non-institutionalized projections. Because the ruling on Orientalism in order to achieve the goal must not be apparent without studying a careful study and knowledge from the inside as Orientalism did not start from a vacuum in its study of Arabic texts and Islamic influences, it has exercised its authority in many cases and is still practiced because of its power and control over means and methods, and western curriculum have been able to create a debate between curriculum and mind from Descartes to the present day.

So I sought through this humble effort of "The Methodology Literary Research at the Orientalists- **Reading in the writings of Charles Bella-**" to know the extent of the Orientalist literary curriculum in their dealings with the Arab heritage. This is not easy, especially we are facing a huge amount of Orientalism, Energies harnessed, efforts

made, and concepts spotted and books and articles published related topics of Arabic language and literature, Some may or may not be tolerable, not to mention the many metaphors and symbols in literature, orientalist must interpret them according to their understanding or in relation to the apparent meaning of it.

There is no doubt that this work illustrates the real goals and objectives of the study of Arabic literature, as follows:

- statement of the pros and cons of orientalists as it can not be said to put them in one basket.
- Specialization in the study of the Orientalists, and reading their productions according to the modern curriculum away from the circular provisions.
- Taking advantage of the serious oriental studies and valuing them, especially since some orientalists have praised the Arabs and have sound orientations Thus establishing the link between Arabic studies, and western studies, and to bridge the dialogue between East and West in respect of the privacy of each party.

analytical approach: it is based on the study of different texts and opinions and their dismantling and evaluation or return elements to their origins. We think that in the writings of Charles Bella, they call for the adoption of this approach.

It is inductive in its reading of subjects, exposure to literary curricula and the phenomenon of Orientalism, and my analysis in the follow-up of the methodology followed and the discussion and analysis of the views contained in the texts in the context of the texts understand within them, of course, in this thesis, Charles Bella, his writings and views, are the focus of the research and the study was held. It has used in the interpretation and evaluation from time to time some of

views of writers and critics and the people of investigation in his style and methodology and his ideas.

I have tried hard to adopt objectivity in the proposition, scientific neutrality and lack of passion, although difficult in many cases, because the logic of Orientalism in itself is often a result of a conventional passion or blind fanaticism.

In conclusion, I would like to extend my sincere thanks to Professor Abdel Hafid Bordim, ALLAH preserve him, for his useful guidance and good views, The compromise but God I trust him and I turn to him, He is the leader to the right path.

Naama, September 26,2017.

Conclusion:

Through our study of orientalism, we find that orientalism not only explored heritage and the collection of Arab heritage, but tried to critique and evaluate it by applying it to various modern approaches.

The scientific approach to orientalism with its advantages, it is surrounded by many errors, including: Makes assumptions and tries to fix them and defend them.

Writing about the Arab and Islamic heritage according to what the orientalist imagines, not as it applies to Arab and Islamic trends.

Often rely on unreliable sources.

Orientalism does not have a clear approach that can be compared to the scientific curricula developed by various sciences, theoretical, empirical, social or human

Adopting the modernist ideas and methods which are often not compatible with Arabic texts

The Western mind is based on the methodological revolution. The interplay of reason and approach represents the basis of Western intellectual modernism since Descartes's article on the curriculum to this day.

Orientalism is a reflective mirror of western orientations and transformations, and any intellectual and cognitive battle should not be outside the walls of the traditional and modernist curricula.

What the Orientalists, including Charles Bella, have achieved is not undeniable, but it is necessary to re-achieve what they have achieved, to ensure the safety of our heritage and to purify it of all malice.

Charles Bella's writings and views were not innocent by virtue of his association with political circles, and he assumed sensitive positions.

The orientalist may make mistakes in understanding the nature of the Arab studies he deals with the different standards between their culture and the cultures of the other languages they study.

- The Arabs may also make mistakes when they judge and evaluate the work of orientalists without sufficient knowledge of their curricula, tools and conclusions.

The orientalists are more interested in dialects than their interest in the Arabic language, and to make the language of the Qur'an only a language of religion.

The Arabist here does not care about integration into the Arab world, but rather of giving a picture of the eastern world to his countrymen and ensuring the service of his country in the first place

Call for reconsideration of investigative mechanisms and re-investigation of books in an integrated approach that ensures the integrity of the text.

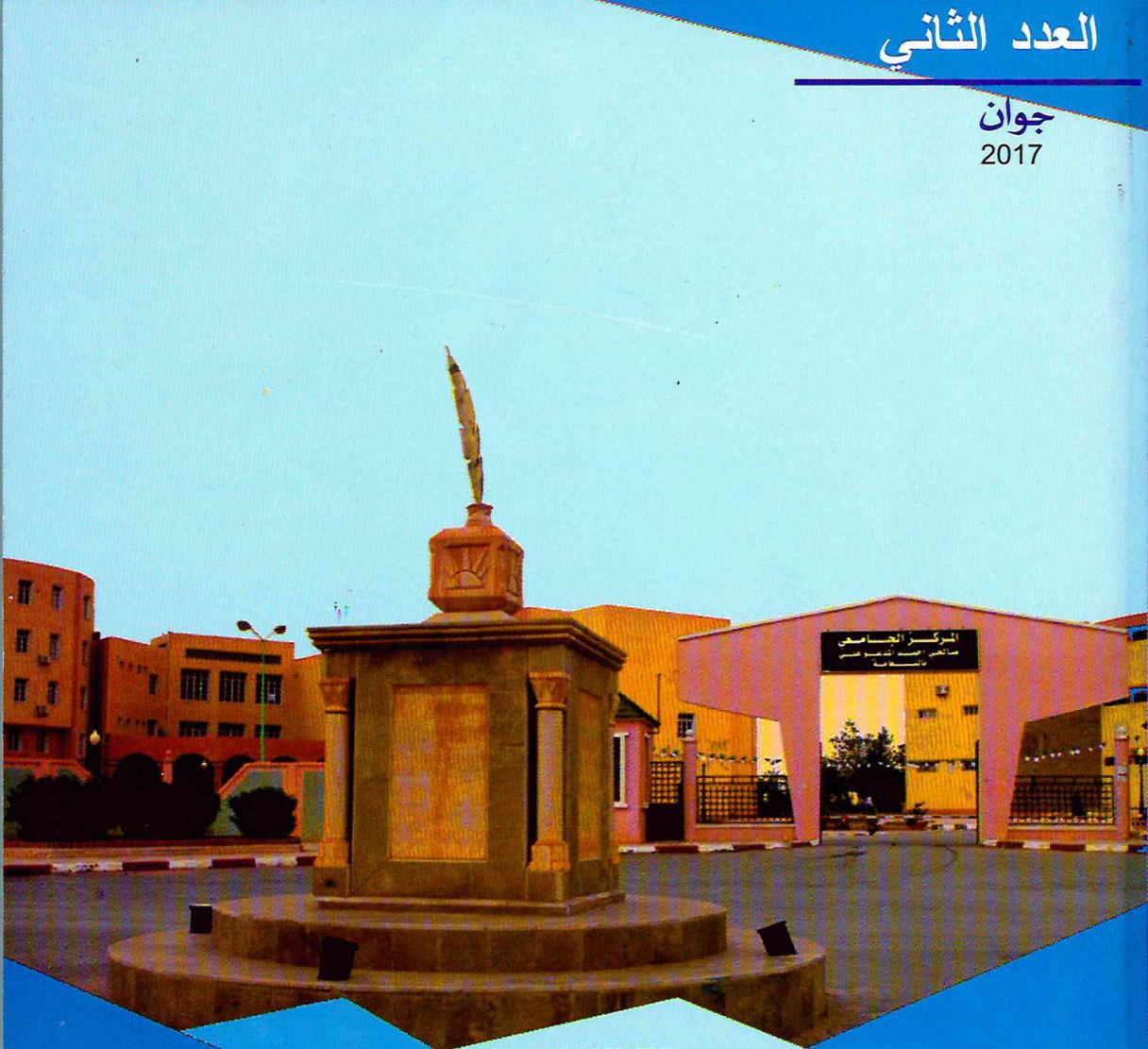
نتائج الفكر



مجلة علمية أكاديمية محكمة سنوية تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
والفكرية تصدر عن معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي صالحى أحمد بالنعامة الجزائر

العدد الثاني

جوان
2017



رحمد ISSN 2477-992X

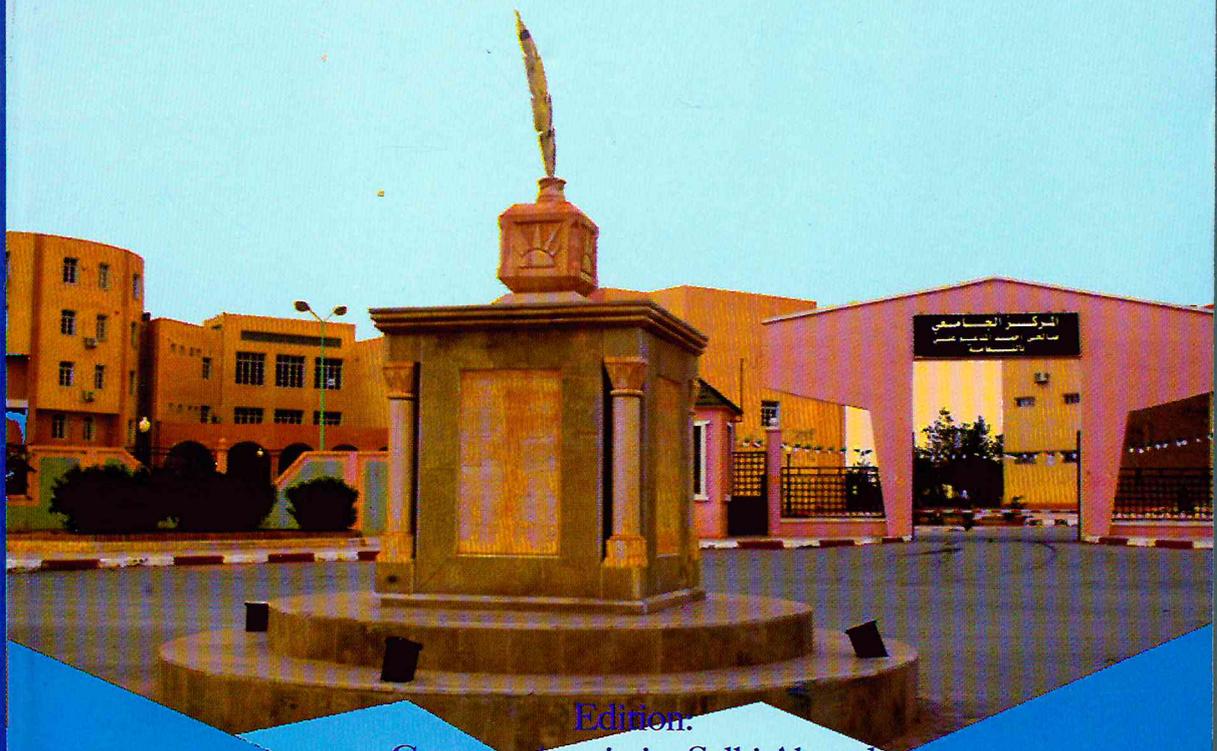


Nata-ij alfikr

Revue des études linguistiques et littéraires
Institut des Lettres et des Langues
Centre universitaire Salhi Ahmed - Naama - Algérie

N°02

Juin
2017



Édition:
Centre universitaire Salhi Ahmed

مجلة علمية أكاديمية سنوية محكمة تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
والفكرية، تصدر عن معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي الصالحي
أحمد الزعامة الجزائر.

نتائج الفكر

العدد الثاني

جوان 2017 الموافق لرمضان 1437 هـ

ISSN 2477-992X ردمك

توجه جميع المراسلات إلى رئيسة تحرير المجلة
ص.ب. 66، المركز الجامعي، الزعامة - الجزائر.
الفاكس: 049598278
البريد الإلكتروني: elifikre.45@gmail.com

رئيس المجلة: أ.د. معروف عبد الرزاق.
مدير المجلة: أ.د. دويش محمد.
رئيسة التحرير: د. صباح الخضاري

هيئة التحرير:

أ.د. أحمد الجلايلي
أ.د. بريك سعدان
أ.د. أحمد موساوي
د. مبارك عبد المجيد
د. ربيعي ميلود
د. بلية بغداد
د. بوعصبة عبد القادر
د. بكرى أحمد شبيب
د. بدوي محمد
د. رماس بغداد
أ. الراهعي عبد الله
أ. بوعمامة فريد
د. جلايلي سمية
د. مستاري حبيب
أ. صابر بن كران
د. بوخال ميلود

الهيئة الاستشارية:

أ.د. عبد الجليل مرتاض
أ.د. محمد العمري
أ.د. محمد طول
د. محمد إقبال عروي
أ.د. محمد بشير بويجرة
أ.د. محمد الولي
أ.د. العبيد مصباحي
جامعة تلمسان
المغرب
جامعة تلمسان
المغرب
جامعة وهران
المغرب
جامعة سعيدة

الأردن
جامعة تلمسان
فرنسا
جامعة مستغانم
جامعة وهران
جامعة سيدي بلعباس
جامعة سيدي بلعباس
جامعة الجزائر
جامعة الجزائر
جامعة خنشلة
جامعة قسنطينة
جامعة باتنة
جامعة سعيدة

أ.د. هادي نهر
أ.د. المصدي بوروبة
أ.د. أخرووف حبيب
أ.د. مختار لزعر
أ.د. أحمد عزوز
أ.د. لحسن بلوشير
أ.د. محقق قادة
أ.د. سيدي محمد بوعمياد
أ.د. خنائية بن هاشم
أ.د. عمر ميلان
أ.د. صالح ولعة
أ.د. أحمد جابج الله
د. محمد القادر رابحي

فهرس العدد

بحوث في الشعر

- ❖ الشرح الشعري وتوليد المعنى من النص الإبداعي 18
أ. عبد الرحمن بوترة
- ❖ الوجه والقناع في مدونة سليمان جوادي الشعرية،
في ما بين الذات والنص. 31
د. عبد القادر راجي
- ❖ الشاعر وشهوة الإصلاح قراءة في ديوان عبد القادر راجي
(الصعود إلى قمة الونشريس) 49
د. صباح لخضاري

بحوث في السرد

- ❖ المهيمنات الثقافية : كشف جدلية الأنساق بين الظاهرة
(النص) والإشهار 66
أ. خلف عباس
- ❖ تجربة الرواية التاريخية في الأدب الجزائري.
قراءة في نص (كتاب الأمير) لواسيني الأعرج 88
د. محمد فايد
- ❖ جمالية النهايات في روايات "بن هدوقة" 109
د. وهيبة صوالح
- ❖ مظاهر التجديد في الخطاب الروائي 128
أ. محمد مرين

بحوث في فقه اللغة

- ❖ الفروق المعجمية لمشاهد الجزاء في القرآن الكريم
164 (مشاهد الاتكاء والقيود مثالا)
أ. أسيا عقيل الموسوي
- ❖ ظاهرة الترادف في العربية رؤية في ضوء
188 نظرية التحليل السماتي
د. بداوي محمد
- ❖ التغيرات الصوتية وأثرها في انحراف الدلالة
داخل النظم القرآني
210 (دراسة تطبيقية في الأحرف اللثوية)
د. طيب عطاوي
- ❖ الدلالة الصوتية عند ابن جني
230 "نماذج من كتاب الخصائص"
د. فرح ديدوح

بحوث في التعليلية

- ❖ منظومة التعليم العربي في الجزائر المحتلة
254
أ.د. أحمد جلايلي

بحوث في الفكر الإنساني

- ❖ مقولة الزمن في الفكر الفلسفي الغربي
266 القديم والحديث
د. علي سحنين

❖ محمد بن أبي شنب قراءة في سيرته ومنهجه العلمي 289
أ. بوجمعة عداد

❖ قراءة في بنائية رسائل الشيخ الإبراهيمي 306
أ. ناصر بوصوري

بحوث باللغات الأجنبية

❖ Qu'en est-il de l'enseignement/apprentissage de
l'oral dans la classe de FLE en Algérie ? 326

N EKHOUEZ BELALEUG, Abdelkader

❖ Prevalence of obesity and overweight among a sample
of schoolchildren 347

BENHAMZA Messaouda

محمد بن أبي شنب
قراءة في سيرته ومنهجه العلمي

أ/ عداد بوجمعة

المركز الجامعي الصالحي أحمد . النعامة .

ملخص:

سأحاول في هذا البحث أن أسلط الضوء على شخصية محمد بن أبي شنب المفكر الجزائرية والرائد في مجال تحقيق المخطوطات و التأليف والنشر والترجمة.

أتناول جوانب من حياته علمه و أدبه، أسلوبه و منهجه، وتضارب الآراء

حولته، ورأي أهل العلم

و الإصلاح في منهجه، وفي الأخير أقدم مجموعة استنتاجات قد تفضي إلى إعادة النظر في جهوده وإنصافه.

Résumé

Ce travail scripturaire dresse un éclairage analytique de l'œuvre de Mohamed Ibn Abi Chaneb, le grand penseur algérien et pionnier dans les domaines de manuscrits, la publication, et de la traduction. Les aspects littéraires, le style, et son approche érudite sont mis en exergue. Les opinions contradictoires sur son œuvre sont recensées dans cet écrit. l'opinion des chercheurs, des éditeurs et des traducteurs ne sont pas en reste. En conclusion nous dressons un ensemble de déductions critiques sur l'œuvre immense de cet érudit.

تمهيد:

لعظم هذه الأمة، وعلو شأن تراثها ، قيص الحق سبحانه وتعالى له رجالا أكفاء وهبوا أنفسهم لخدمة هذا التراث إحياء وبعثا، نشرا وتحقيقا ، ذائبين على

العمل بياض نهارهم وسواد ليلهم، لا يكون ولا يملون، لا يكثرثون لنوائب الدهر وسهامه ، همهم الأسمى تحقيق المصلحة والنفع للأمة.

من الشخصيات الجزائرية التي عاشت في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر واتسمت بطابعها الموسوعي شخصية محمد بن أبي شنب فهو بالإضافة لكونه أديبا وشاعرا ، فهو باحث مترجم وناشر ومحقق وقد شغل القسم الأخير النصيب الأوفر من جهده ووقته. ترك العديد من المؤلفات ناهيك عن المقالات في مختلف المجالات منها: الأدبية والاجتماعية والتاريخية. وقد ذكر بعض معاصريه ومؤرخيه وتلامذته أنه اتسم بتوقد الذكاء والتواضع والوقار. وقد حصل بالإضافة إلى ملكة العربية ملكة عدة لغات مكنته من خلالها أن ينهل من ثقافات حضائرها ، وأن يحاضر بلسانها.

وكان أكثر احتكاكه بالفرنسية مجال دراسته وتخصصه، وارتباطه بالدوائر الاستشراقية ،سواء على مستوى المؤسسات أو الأفراد، الشيء الذي دفع البعض بوصفه ظهيرا لهم ، في حين نفي عنه البعض ذلك وطالب البعض الآخر دراسة تراث الرجل دراسة جادة.

و بين مدّ وجزر تبقي شخصية محمد بن أبي تحتاج إلى مزيد من البحث و العناية لإنصاف الرجل وإعطائه المكانة اللائقة به ضمن مصاف الكتاب والمحققين المرموقين من العرب والعجم.

. محمد بن أبي شنب، التراث، التحقيق ، المنهج، الدوائر الاستشراقية.

الجزائر في حركة الاستلاب الثقافي الغربي:

لم يكن المغرب العربي بمنأى عن المشرق العربي و العالم الإسلامي عموما في جانبيه الأدبي و الثقافي وهو يمر بأحلك الظروف. وكانت الجزائر بالنسبة للمغرب الصليبي البوية الحديدية التي تحطمت على أسوارها الأطماع الاسبانية

والفرنسية⁽¹⁾ بفضل قيادتها الرشيدة المتمثلة في خير الدين وبابا عروج. ونظرا لمكانة الجزائر الجيوسياسية والاستراتيجية ومالها من أثر على دول الجوار، ضف إلى ذلك ما كانت تنعم به من رخاء اقتصادي، وقوة أسطول بحري شكل خطرا على دول الغرب في البحر الأبيض المتوسط ، مما جعلها فريسة لأطماع توسعية سرّح من وثيرة احتلالها وكان ذلك - كما هو معروف - سنة 1930م.

فالاستعمار الذي يقول عنه جمال الدين الافغاني: "إن الاستعمار لغة واصطلاحا ومصدرا واشتقاقا لا أراه إلا من قبيل أسماء الأضداد وهو أقرب إلى الخراب والتخريب والاسترقاق والاستعباد منه إلى العمار وال عمران والاستعمار"⁽²⁾ رغم ما قام به الاحتلال من تعسف وتنكيل، ومسح وتضليل في مختلف الميادين مختلفة سعيا منه للقضاء على مقومات الأمة وثوابتها الأصيلة ، فقد قيض الله لهذه الأمة من يدود ويدراً عنها المفتريات والأباطيل بقلمه أو بسيفه، أو بقلمه وسيفه معا، كما هو الحال مع زعماء المقاومة، وفي مقدمتهم الأمير عبد القادر، و حال حركات الإصلاح و على رأسهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

"إنّ الحركات الإصلاحية أدركت بعمق أن الغرب مناهض للشرق، والروح لم تبرح كامنة

كما كانت قبل بطرس الناسك* ولم يزل التعصّب كامنا في عناصرها وهي تحاول بكل الوسائل القضاء على كل حركة يحولها المسلمون للإصلاح والنهضة"⁽³⁾

ولعل كثير من المبادرات التي قامت بها فرنسا في الجزائر لتشجيع البحث والتأليف في بعض التخصصات ، كاللغة والأدب و إنشاء المكتبة الوطنية " التي أصبحت تزخر بالعديد من المؤلفات في الشعر والقصة والمقالة، و الانطباعات

السفرية والمسرح والنقد الأدبي والجغرافيا، وتتحدث عن العادات و التقاليد، ودراسات. guide للمراحل التاريخية المختلفة، و وضعت الأدلة ليهتدي بها السياح والوافدون من الغرباء⁽⁴⁾ و أبعد من هذا عندما شجعت على تعلم ودراسة العامية واللهجات ، والتخصص فيها وتأليف المعجمات في هذا الاتجاه، تريد بذلك التقرب من الجزائريين و التأثير على عقول وأفكارهم. التصور الغربي في ظني أبعد من أن يحصر في إثراء المكتبات وتشجيع البحث العلمي لفائدة المجتمع الجزائري ، وللسياح والوافدين من الغرباء .

موقف النخبة من التأثير الغربي :

ومما لاشك فيه أن الفترة العصبية التي عاشها الشعب الجزائري كانت أشد وطأ على العلماء والمتقنين، بصفتهم النخبة التي عليها تبعات المجتمع، ويراد منها التغيير، وهم يبحثون عن هويتهم نجدهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

- قسم ركز جهده في الدعوة إلى الحفاظ على المقدرات الدينية والثواب الوطنية، ودفع مزاعم الاحتلال.
- قسم لم يفرط في انتمائه الأصلي ولم ينكر منجزات الطرف الآخر، وأقصد الغرب.
- وقسم أضع هويته وداس على قيمه، ولم يستقم على حال، وهو الذي شايح الاحتلال و الاستشراق على حد سواء.

في خضم هذه التوجهات ظهرت شخصية محمد بن أبي شنب ، هذا الرجل الذي احتفى بالتراث العربي تأليفا و ترجمة نشرها وتحقيقا، ومع ما قدم من جهود لإثراء الذخيرة العربية و الإسلامية، فقد ظلت هذه الشخصية . إلى وقت قريب . شبه غائبة في الأوساط الأدبية العربية ، بل وحتى الجزائرية .

فما أسباب غيابه عندنا؟ وما سر احتفاء الغرب به؟ وما علاقته بالدوائر
الاستشراقية؟ وما موقفه منها؟

و لماذا أنصفه البعض ولم ينصفه البعض الآخر؟

وهو التساؤل الذي طرحه الباحث الطيب ولد لعروسي في كتابه "أعلام من
الأدب الجزائري الحديث" حيث خص جانبا من جوانب كتابه للعلامة محمد بن
أبي شنب، وتساءل عن سبب عدم اهتمام الجزائريين والعرب به ، مع أنه كما
قال "يمثل حلقة وصل بين البحث الأكاديمي الفرنسي والبحث الأكاديمي
العربي"⁽⁵⁾.

و ما ذكره بعض تلامذته ومؤرخيه أنه كان يدعوا دائما إلى البحث والاكتساب
إذ يقول:⁽⁶⁾

أفيقوا بني عمي برقي المشارف

وجدوا وكذوافي اكتساب المعارف

فقد ذهب الأعلام والعلم بينكم

ولم يبق إلا كلّ غمر وخالف

خلت الأربع العرفان واستوطن البلى

وغف غراب الجهل وحقا بشارف

فيا وحشتا من طالب ومدرس

منشد أشعار وراوي اللطائف

للوقوف على جوانب هذه الشخصية حري بنا أولاً أن نتتبع جوانب من حياة هذه الشخصية من خلال ترجمة قدمها هو نفسه لمجلة المجمع العلمي العربي بسوريا . ما يدل على شدة تواضعه . إذ يقول فيها:

محمد بن ابي شنب يقدم نفسه للمجمع العلمي السوري :

العبد الحقير محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب ولد يوم الثلاثاء في العاشر من رجب سنة 1286 هـ - 26 أكتوبر 1869 م بالمدينة جنوب الجزائر ، حفظ شيئاً من القرآن (أو كما ذكر صاحب الترجمة شيئاً قليلاً من القرآن) ثم انتقل الى دار المعلمين الفرنسية بأبي زريعة بقرب الجزائر وبعد عام تخرج منها مجازاً بإجازة تعليم اللغة الفرنسية في المدارس الابتدائية وبعد عشر سنين قد مضت كلها في التعليم وتعاطي اللغة العربية من نحو وصرف واشتقاق وعروض وقافية وأدب، و شيء من التوحيد والفقہ ، أجاز بإجازة مدرسة الآداب العليا . درس اللغة العربية والنحو والصرف والعروض في مدينة قسنطينة أول محرم سنة 1316 هـ 22 ماي 1898 م .

انتقل إلى مدينة الجزائر أول محرم سنة 1319 هـ 20 أبريل 1901 بعد أربع عشرة سنة ارتقى إلى القسم الأعلى من هذه المدرسة، و قد درس فيها النحو والأدب و المعاني و البيان و المنطق. و في آخر السنة (1932)م أجاز بإجازة الدكتوراه في القسم الأدبي من كلية الأدب بالجزائر بعد أن قدم إليها تأليفاً في حياة أبي دلامة شاعر بني العباس، وتأليفاً آخر في الألفاظ التركية الفارسية البالية في الوطن الجزائري... (7) .

وفي أول يناير 1924 انتقل مدرسا إلى كلية الأدب بالجزائر.

و أمّا تعلمه للغات فقد ألم محمد بن أبي شنب باللغة الإيطالية والألمانية والإسبانية و الفارسية و أقلها اللغة التركية و اللاتينية، دون أن ننسى اللغة

الفرنسية التي كان يتقنها إتقاناً وكثيراً ما سحر بها أسماع الحاضرين أثناء إلقاء محاضراته.

مؤلفاته بالعربية:

تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب - الطبعة الأولى كانت سنة 1902 بالجزائر.
و في تقرّظ للكتاب السالف الذكر يقول شاعر الثورة والوطنية محمد العيد آل خليفة: (8)

بشرى لباعي العروض بشرى

الآن قد أدرك الأرب

قد كان علم العروض صعب

عليه مستعصي الطلب

يردد الفكر في القوافي

بغية الجهد والتعب

حتى تصد له المفدى

شيخ اللّغى ابن أبي شنب

فوضّح المشكلات فيه

بسفره "تحفة الأدب"

وله رسالة في المنطق غير مطبوعة.

وشرح نظم مثلثات قطرب سنة 1902م بالجزائر.

ومن تأليفه باللغة الفرنسية: (9)

- مجموع أمثال العوام بأرض الجزائر والمغرب في ثلاثة أجزاء طبع بباريس سنة (1907م).

- أصل كلمة شاشية طبع بالجزائر سنة (1907م)

إجازة سيدي عبد القاسي طبع بباريس 1907م.

الشاعر الإيطالي، من الأصول الإسلامية في كتابه. (Dantie) "وله بالفرنسية كتاب فيما أخذه دانتي

طبع سنة 1919⁽¹⁰⁾ (Devia comidia) " ديفيا كوميديا

- أما الكتب التي نشرها: فمنها ما كان نشرا منفردا ومنها، ما كان بالاشتراك مع غيره و نذكر منها: (11)

- البستان في علماء تلمسان لابن مريم طبع بالجزائر (1908). رحلة

الورتيلاني في طبع في الجزائر 1908، الممتع في شرح المقنع لابي سعيد ا. -
طبع في الجزائر (1908)

- تحبير الموشين للفيروزبادي طبع في الجزائر (1909م).

- تدميث التذكير في التأنيث و التذكير للجعبري طبع في ستراسبورغ (1911م)

... أصل كلمة تأس (بالفرنسية) طبع في الجزائر (1912م)

- طبقات علماء أفريقيا لأبي العرب و الخشني مع ترجمة فرنسية في جزين طبع بباريس (1915م-1920م).

. تكملة ابن الأبار (بالاشتراك مع بل) طبع بالجزائر (1921م).

. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية طبع بالجزائر (1922م).

. أبو دلامة حياته وشعره بالفرنسية طبع بالجزائر (1922م).

- . علقمة الفحل مع تقارير طبع بالجزائر (1925م).
 - . ديوان عروة بن الورد مع تقارير طبع بالجزائر (1926م).
 - . كتاب الجمل للزجاجي مع تقارير طبع بالجزائر (1927م).
- وحقق كذلك "الدراية" للغبريني في علماء بجاية، "ورحلة الورتلاني"، وله مقالات مختلفة في مختلف المجالات⁽¹²⁾

ومن المؤلفات التي قام بترجمتها :

- "رسالة لأبي حامد الغزالي في تربية الأطفال"
- الدخيرة السنة في تاريخ الدولة المرينية طبع بالجزائر (1922م) أبو دلامة حياته و شعره بالفرنسية طبع بالجزائر (1922م).
- ديوان علقمة الفحل مع تقارير طبع بالجزائر (1925م).
- ديوان عروة بن الورد مع تقارير طبع بالجزائر (1926م).
- كتاب الجمل للزجاجي مع تقارير طبع بالجزائر (1927) تلكم هي نفائس جادها وأجادها الرجل.

"ولقد خُلف محمد بن أبي شنب أزيد من خمسين كتاباً، و نشر عدة كتب من نفائس التراث العربي وحلأها بالفهارس، كما هياً للطبع كتباً أخرى بالعربية والفرنسية من تأليفه أو من نواذر المخطوطات العربية ممّا حقّقه وعلق عليه، حالت وفاته دون نشرها، وكانت له مكانة عالية عند المستشرقين".¹³ ولا نماري إذا قلنا أنّه كان موسوعة، لإتقانه عدّة لغات، وسعة اطلاعه، و إجادته في مجالات عدّة.

- وفاة محمد بن أبي شنب . .

نظرا لعظم هذه الشخصية و صيتها في الأوساط الأكاديمية الإسلامية و الغربية فقد نعاه يوم و فاته سنة 1929 الرأي العالم الجزائري و الفرنسي، و كتب عنه الجزائريون و الفرنسيون

" فقد مشى في جنازته النصارى والمسلمون على حدّ تعبير هنري ماسيه، عميد كلية الآداب الذي خلف باصيه في هذه الوظيفة"⁽¹⁴⁾. و أورد أبو القاسم سعد الله قولاً لماري تنو في خطبة تأبين محمد أبي شنب، من أنّ هذا الأخير كان "صورة للأديب المسلم الذي عرف كيف يطلع على الأساليب الأوروبية في العمل بدون أن يفقد شيئاً من صفاته و عاداته، وأنّ أستاذه باصيه هو الذي كان يتولى هدايته في العمل، وأنّ ابن شنب قد عرف لوازم النقد العلمي"⁽¹⁵⁾.

و مما جاء في مجلة المجمع العلمي بدمشق - كتعزية لابن شنب - ما يعزى الأستاذ جورج مارسه أحد أساتذة جامعة الجزائر، هذا ما شهد به رفاقه من الأجنب.

فأمّا ما جاء على لسان المتقنين والمصلحين الجزائريين، نذكر قول أستاذه الشيخ العلامة عبد الحليم بن سماية: "ما علمتُ في حياتي كلّها معلماً يرجع إلى تلميذه غيري، وإني معترف له بالفضل والنبوغ".

ويقول الشيخ عبد الرحمن الجيلالي وهو أحد تلامذته البارين: "يبكيك العلم والأدب، وتبكيك المنابر والمجالس التي كانت تزهر على غيرها بلذيد دروسكم الشيقة، ومحاضرتكم الرائقة، وما علينا في الحال إلا بالصبر والدعاء لك، والله يستجيب ويجازيك يا حضرة الأستاذ خيرا عميما، ونعيما في فراديس الجنان مقيما، ويرزق أهلك وتلامذتك ومحبيك الصبر الجميل، والأجر الجزيل"⁽¹⁶⁾.

وأما ما قاله رموز جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلى رأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس: "لما عرفناه فقدناه".

وقال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: "يا ساكن الثرى ومستبدل الغربية بالأهل، هذه الجزائر تناجيك بلسان طائفة من أبنائها البارين بك وبها، وتقول: عرفك الغرب والشرق ولم تعرفك الجزائر حق المعرفة في حياتك، فهي تبكي عليك حق البكاء بعد وفاتك، وهذه الألفاظ هي دموع المقصّر بعد العتب، والتائب بعد الذنب". (17)

ويقول الشيخ عنه محمد السعيد الزاهري: "والحق أنّ لقب "الشيخ" أولى بهذا المرحوم من لقب "دكتور" فقد كان . رحمه الله . متسماً بسمات "الشيخ" أكثر مما هو متسم بسمات "الدكاترة" فهو مسلم جزائري، وجزائري مسلم في كل شيء: في عقله وأدبه، وأخلاقه وعاداته. في لباسه و هندامه". (18)

وإنّ في تأيين رواد الإصلاح له لدليل وحجة على قيمة الرجل وعظيم شأنه.

نشاط محمد بن أبي شنب العلمي:

شارك محمد بن أبي شنب في عدة مؤتمرات استشرافية، وأثبت وجوده داخل وخارج الوطن كالذي انعقد بمدينة أكسفورد في بريطانيا تعرف خلاله على شخصيات عربية مشهورة من بينهم: طه حسين، ومحمد كرد علي وغيرهما، هذا الأخير الذي استهوته شخصية بن أبي شنب لما رآه بلباسه التقليدي، وما قدمه في محاضراته يكشف عن وسعة ثقافته، فاسترسل يصف المشهد بقوله "شهدته يخطب بالفرنسية في مؤتمر المستشرقين وهو بلباسه الوطني، عمامة صفراء ضخمة، وزنار عريض، وسراويل مسترسلّة، و معطف من صنع بلاده، فأخذت بسحر بيانه واتساعه في بحثه، وظننتني أستمع عالماً من أكبر علماء فرنسا وأدبائها في روح عربي وثقافة إسلامية، أو عالماً من علماء السلف جمع الله له بلاغة القلم وبلاغة اللسان وقر له قسطاً من العلم والبصيرة، وقد فطر

على نكاء وفضل غرام التحصيل، وقيض له أن يجمع بين ثقافتين ينبع ويفصح في كل لغة بمعانيها⁽¹⁹⁾

هذه الثقافة أهله لأن ينتخب لعضوية مجمعين علميين أحدهما عربي في دمشق سنة 1920 م

و الثاني غربي في باريس سنة 1924م. إلا أن إسهاماته في الأول كانت مقلة إذا ما قرنت بما قدمه في الثاني، وهو ما جعل محمد كرد علي نفسه يذكره بواجبه تجاهه .

و ربما سبب ذلك هو انشغاله بالتأليف والتحقيق والترجمة، والبعد المكاني، كما أن اهتماماته انصبّت أغلبها في مجلات فرنسية وأجنبية، وهذا لطبيعة انتمائه وتخصّصه شغله عن تكثيف مراسلاته المجمع العلمي العربي السوري، هو أحد أعضائه كما أشرت إلى ذلك سالفاً.

غير أن الاهتمام المتنامي بالفرنسية، والتعاون مع المستشرقين في مختلف المجالات هو ما جعل البعض يجعله ظهيرا لهم في وقت كانت الأمة الجزائرية تحتاج من ابنائها وخصوصا المتقنين منهم لتأكيد تميّزهم، وإظهار انتمائهم، وعدم موالاته الطرف الآخر لغة وفكرا.

وبخصوص تأليفه في العامية واللهجة الجزائرية يرى أبو القاسم سعد الله أنها التفاتة تبدو طيبة ، ولكنها في الوقت ذاته تخدم الاستشراق الذي كان يسعى جاهدا في إنكاء فتيل العامية واللهجات على حساب العربية . و حال المجتمع الجزائري أنذاك تستغيث لمن يدفع الهجنة واللحن عن اللسان العربي و يرفع صوت العربية عاليا.

محمد بن أبي شنب وتحقيق المخطوطات:

تحقيق المخطوطات فن صعب المسالك لما يعتره من مشاق وعناء، ومن
تحر دقيق وموضوعية ونزاهة العلمية.

والتحقيق ليس كما يظنه البعض مجرد التنقيب على المخطوطات و جمع
النسخ والمقابلة بينها، وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، و شرح
وملاء الحواشي ما أمكن بتعريف للأعلام
والمدن وتراجم الرجال، الغريب من اللفظ.

فالكاتب المحقق كما يقول عبد السلام هارون: " هو الذي صحَّ عنوانه، وأسم
مؤلفه، ونسب الكتاب إليه، وكان منته أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها
مؤلفه..."⁽²⁰⁾

و تحقيق المتن " ليس تحيينا أو تصحيحا، وإنما هو أمانة الأداء التي تفضيها
أمانة التاريخ"⁽²¹⁾

أما حظ محمد بن شنب في هذا المجال فلا يدانيه مجال ، فهو كما يقول د/
مولود عويمر: "كان الاهتمام الأكبر للدكتور محمد بن أبي شنب هو إحياء التراث
العربي المغربي، وتعريفه للغرب عن طريق التحقيق والترجمة، وشملت فروعا
مختلفة من العلوم الاجتماعية والأدب، على عرار العلماء القدماء
الموسوعيين"⁽²²⁾

مضى محمد بن أبي شنب مضي المحققين الجهابذة الذين لا يكون ولا
يملون يبحث عن المخطوطات في مضائها هنا وهناك، ينتقل داخل الوطن
وخارجه.

التحقيق عنده انقسم بين فردي و جماعي، وأقصد هنا بالفردي ما انفرد
بنفسه في التحقيق والجماعي ما اشترك فيه مع غيره .

و محمد بن أبي شنب ممن ذكر جهودهم وأثني عليهم في تحقيق التراث العربي الاستاذ عبد السلام هارون في كتابه "قطوف أدبية ودراسات نقدية في التراث العربي" عندما سرد قائمة أعمدة المحققين في مختلف الأقطار العربية والإسلامية، ومن لهم فضل السبق في هذا الفن ذكر الجزائر و ذكر معها كتاب (الجمل للزجاجي) لمحققه ابن شنب. (23).

وعن منهجه في التحقيق يقول أو القاسم سعد الله : هي مقابلة أكثر من نسخة بوضع مقدمة قصيرة في وصف طريقة التحقيق دون ترجمة المؤلف وعصره، ونحو ذلك" وعن جهوده الظاهرة يقول: "وأهمّ جهد كان أبي شنب يقوم به في التحقيق هو وضع الفهارس، فهرس الأعلام والأماكن والكتب، والموضوعات، والشعر وغير ذلك، وهنا تظهر مهارته ومساهمته. وكان ابن أبي شنب على عجل فهو لا يهتم بالتنسيق ولا بالتطوير، وإنما كان يقتصر في الأسلوب على ما قلّ ودلّ وهو أقرب إلى العلمي منه إلى الأدبي" (24)

و ما يستلزم ذكره أن اختصار الحواشي والاهتمام بفهارس الأعلام والأماكن وغيرها، وغياب المسحة الأدبية هو نفسه ما كان يطبع منهج التحقيق عند المستشرقين لاهتمامهم بالمنهج العلمي من جهة، وطبيعة مادة تخصصهم. ولا أريد هنا أن أحكم على إنتاج المستشرقين لأنّ ذلك مجال آخر يستدعي دراسة كلّ على حدة دراسة علمية موضوعية لا مجرد إسقاطات وأحكام مسبقة.

أسلوب محمد بن أبي شنب:

عرف محمد بن أبي شنب بأسلوبه العلمي، وهو الأسلوب الغلب على معظم كتاباته، وقد أكد ذلك الشيخ محمد السعيد الزاهري لما تحدّث عن علمه وأدبه حين قال: "فإنّه في الواقع عالم: أكثر ممّا هو أديب وأبحاثه وإن كانت في موضوعات أدبية، فهي أبحاث علمية على طريقة علماء المشرقيّات، لا تكاد

تري عليه مسحة أدبية كلّها أبحاث في اللغة العربية، وفي الادب العربي وتاريخه
وتاريخ رجاله... " (25)

ويرى كذلك أنّ افتقار أسلوب أبي شنب إلى الصبغة الأدبية الفنية هو ما
جعله غير مشهور بين الأدباء وأغلبهم كانوا من الناشئة. كما أنّ معظم
مساهماته كانت في أنشطة ومجلات وجمعيات غربية والفرنسية على
الخصوص.

ولعلّ كثرة مخالطة ابن أبي شنب للغربيين بما فيهم المستشرقين ومشاركتهم
أبحاثهم ومؤتمراتهم والتدريس معهم جعله يتأثر بمنهجهم، وهو المنهج الذي كان
سائداً آنذاك.

وهذا ما جعل البعض يتخذ من هذه العلاقة شبهة أوحكاماً في انتسابه
إلى المستشرقين دون دراسة آثار الرجل دراسة جادة.

خاتمة:

إنّ الحديث عن محمد بن أبي شنب في ظني يستدعي استقراء جميع
جوانب حياته، والظروف التي عاشها من مختلف جوانبها قبل الحكم عليه، وهي
ظروف صعبة للغاية.

ثمّ إنّنا نلمح تواضع بن أبي شنب في ترجمة سيرته الذاتية التي بعث بها إلى
المجمع العلمي بسوريا ومن خلال مراسلاته لمحمد كرد علي رئيس المجمع، وقد
وثق ذلك عبد الرحمان الجليلي في كتابه حول شخصية هذه الشخصية.

. لم يذكر أصوله التركية ولم يتعصب لها حتى عندما بعث بترجمته الشخصية
للمجمع المذكور سلفاً، بل كان يتعامل ضمن سياق الإسلام والعروبة، والمولد
والنشأة.

. وأن الحديث عن علاقته بالاستشراق مسألة عمل ونشاط أفرزه الواقع، دون أن ننسى أن الاستشراق كان سابقا في مجال تحقيق النصوص من خلال منهجه العلمي بغض النظر عن الكيفية التي تعامل بها مع التراث العربي .
. تميزه الدائم بلباسه العربي التقليدي، و ميراثه الأدبي الإسلامي، وإن تحدث بلغة المحتل لتخصصه، فكتاباته وتحقيقاته ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتراث العربي الإسلامي.

. كان من المبدعين القلائل الذين تفقوا عدة لغات في زمن كَبَل فيه الاحتلال الحريات.

. سبق الناطقين بلغة الضاد في مجال المقارنة بين رسالة الغفران لأبي العلاء المعري والكوميديا الإلهية لدانتي الإيطالي وإثبات تأثر الثاني بالأول، وذلك سنة 1919م وهي سنة اشتداد المناقشات الفكرية بين الرسالتين وعلاقة التأثير والتأثر، وقد حسمها محمد بن أبي شنب قبل أن يتناولها فيما بعد بالدراسة قسطاقي الحمصي ومحمد مندور ومحمود الخضيرى، على حد قول ريد زيتيانو أستاذ الأدب العربي بجامعة باليرمو سابقا.
وبالتالي أثبت أحقية وأسبقية الهوية العربية الإسلامية على الغربية في وقت كان الغرب يسعى إلى طمس معالمها دينيا وثقافيا وسياسيا.

الاحالات والهوامش:

1. محمد الأمين بلغيث: " تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق " . دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع دراسات ووثائق ط/2009 . ص 111.
2. مخلوف عامر " مراجعات في الأدب الجزائري " . دار التنوير للنشر الجزائر ، ط 1 . 2012 ص 61 .

3. محمد الامين بلغيت " تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق " . ص 137 نقلا عن محمد قنانش , المواقف السباسبية ،ص30.29.
4. مخلوف عامر "مراجعات في الأدب الجزائري" ص 62.
5. الطيب ولد العروسي "أعلام من الأدب الجزائري الحديث . دار الحكمة للنشر ، الجزائر، ط 2009،ص52.
6. عبد الرحمان بن محمد الجبالي "محمد بن أبي شنب حياته وآثاره" المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983/ص:18.
7. مجلة المجمع العلمي العربي دمشق ،ج 4 ، المجلد 10، نيسان سنة 1930،الموافق ذي القعدة 1348هـ،ص238.
8. محمد العيد آل خليفة " تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة" ،جمع وتقديم محمد بن يمينة. دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ،ط1/ 1997،ص95.
9. مجلة المجمع العلمي العربي دمشق م10ج4،ص238.239.
10. خير الدين الزركلي "الأعلام قاموس وترجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين" (محمد، محمد) مج 6 دار العلم للملايين ط 9/ 1990،ص:266.
11. مجلة المجمع العلمي العربي دمشق م10ج4،ص 239.
12. أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة "معجم مشاهير المغاربة "منشورات دحلب ب د ط ص 268.
13. خير الدين الزركلي "الأعلام قاموس وترجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين" ص: 267.
14. أبو القاسم "تاريخ الجزائر الثقافي" دار البصائر للنشر والتوزيع . الجزائر . ج 8 / 2008ص172.
15. المرجع السابق، ص172.
16. عبد الرحمان الجبالي " محمد بن أبي شنب حياته وآثاره " ص 91.
17. عبد الرحمان الجبالي " محمد بن أبي شنب حياته وآثاره " ص 91.
18. مجلة المقتطف المصرية العدد نوفمبر 1929 ص:421 .

19. مولود عويمر "أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر" دار الخلدونية للنشر والتوزيع "ط1، 2007، ص: 149 نقلا عن محمد كرد علي "المعاصرون" بيروت دار صادر ط1993 ص: 338
20. عبد السلام هارون "تحقيق النصوص ونشرها" دار النهضة العربية ط1. 2001 ص: 42
21. المرجع السابق ص. 48.
22. مولود عويمر "أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر" ص153.
23. عبد السلام قطوف أدبية ودراسات نقدية في التراث العربي، حول تحقيق التراث، مكتبة السنة، الدار السلفية لنشر العلم "ط1. 1988 ص. 61.
24. أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج 8، ص
25. المقتطف المصرية العدد نوفمبر 1929 ص: 443.

جامعة قاصدي مرباح ورقلة



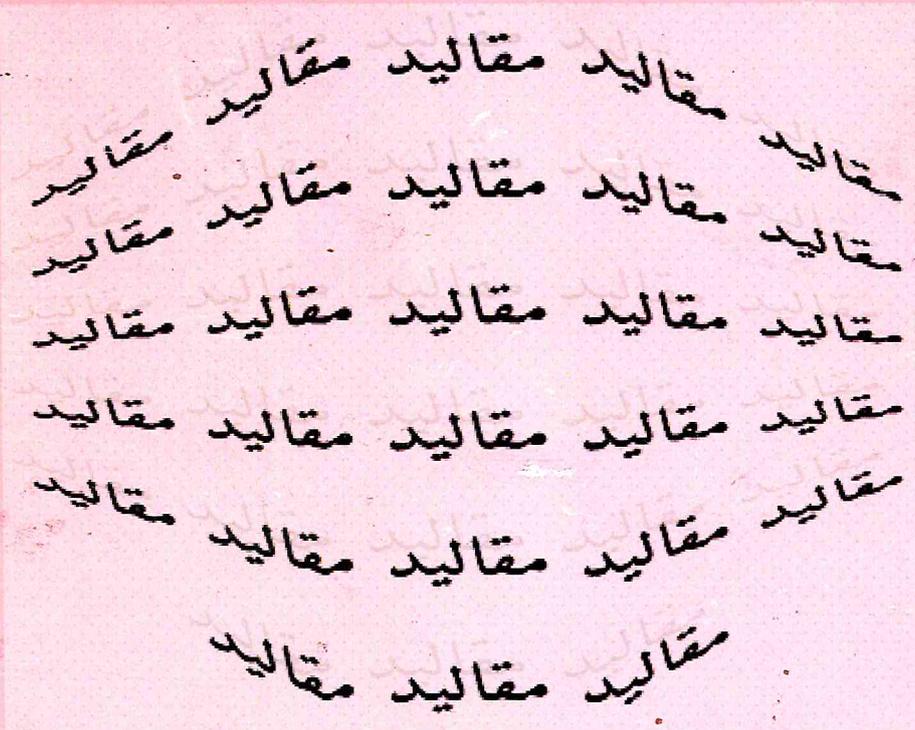
مقاليد

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالنقد و مصطلحاته

مخبر النقد و مصطلحاته

تصدر عن جامعة قاصدي مرباح ورقلة

ISSN 2253 - 0029



العدد 11 / ديسمبر 2016

مطبعة جامعة قاصدي مرباح ورقلة

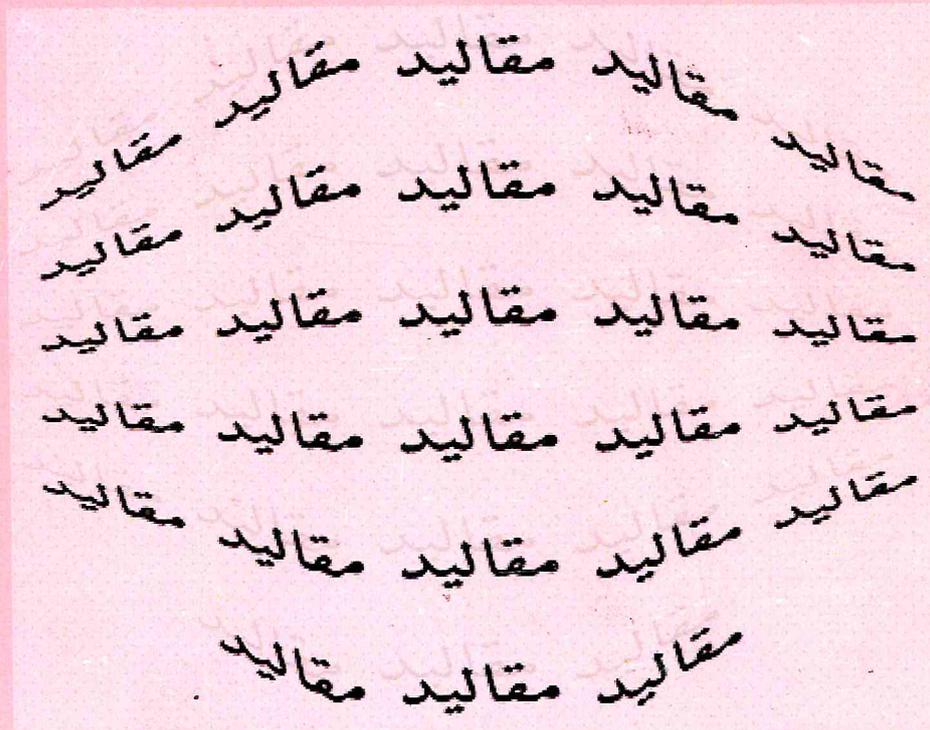


Université Kasdi Merbah Ouargla

Makalid

Revue Académique Semestrielle laboratoire de Recherche
la critique et sa Terminologie

Editée par L'Université Kasdi Merbah- Ouargla



Numéro 11 / Décembre 2016

Imprimerie Université Kasdi Merbah Ouargla

ISSN 2253 - 0029



جامعة قاصدي مرباح ورقلة

مقاليد

Makalid

مجلة جامعية محكمة في الآداب واللغات
تصدر عن جامعة قاصدي مرباح ورقلة

العدد 11 / ديسمبر 2016

ISSN : 2253 - 0029

مقاليد

Makalid

مجلة جامعية تصدر عن جامعة قاصدي مرباح ورقلة

المدير الشرفي : أ.د. محمد الطاهر حليلات : (مدير جامعة ورقلة)

مدير النشر: د. عبد القادر خليفة

مدير المخير: أ.د. العيد جلولي

رئيس التحرير: أ.د. أحمد قيطون

هيئة التحرير

. د. عمر بن طرية . د. كلثوم مدقن . د. هاجر مدقن . د. حلاسة عمار .

الهيئة العلمية الاستشارية:

- أ.د. العيد جلول، جامعة ورقلة (الجزائر)
أ.د. أحمد موساوي ، المركز الجامعي النعامة (الجزائر)
أ.د. الصادق قسومة ، جامعة تونس
أ.د. هايل محمد الطالب ، جامعة تشرين سورية
أ.د. مالكية بلقاسم ، جامعة ورقلة (الجزائر)
أ.د. وحيد بوعزيز، جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
أ.د. بوداود وذنان، جامعة الأغواط (الجزائر)
أ.د. مشري بن خليفة ، جامعة ورقلة (الجزائر)
أ.د. علي ملاحي، جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
أ.د. أحمد حمد النعيمي، جامعة البلقاء التطبيقية الأردن
أ.د. ليوخ بوجملين، جامعة ورقلة (الجزائر)
أ.د. محمد بن منوفي، جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
أ.د. أحمد زغب، جامعة الوادي (الجزائر)
أ.د. أحمد جاب الله ، جامعة باتنة (الجزائر)
أ.د. عبد الحميد هيمة جامعة ورقلة (الجزائر)

دورية علمية محكمة نصف سنوية تنشر الأبحاث و التطبيقات
المتعلقة بالأداب و اللغات

المجلة مفهسة ضمن عدد من قواعد المعطيات و البوابات الوطنية و الدولية و محركات البحث.



http://isurs.org/master_list.php?topic_id=14



<http://www.researchbib.com/?action=editLogin&url=%2F%3Faction%3DviewJournalDetails%26issn%3D21701121%26uid%3Dr4eca5>



<http://www.bing.com/search?q=Revue+des+Sciences+Socials+et+Humaines&qs=n&form=QBLH&filt=all&pq=revue+des+sciences+sociales+et+humaines&sc=0-0&sp=-1&sk=>



<http://www.journalindex.net/?qi=Revue+des+Sciences+Socials+et+Humaines>



<http://www.sherpa.ac.uk/romeo/journals.php?id=1668&fidNum=|&mode=advanced&letter=ALL&la=en>



<http://sindexs.org/?p=234/>



<http://pakacademicsearch.com/publishers>



<http://generalimpactfactor.com/searchresults.php>

الفهرس

- إشكالية مصطلح الحيز في الكتابة النقدية عند عبد الملك مرتاض. تحليل رواية زقاق المدق لنجيب محفوظ
1 د. عبد الرحمن بن زورة ، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم (الجزائر).
- إشكالية المنهج النقدي الأدبي التطبيقي - التشخيص والحلول
19 د. راضية بن عريبة. جامعة حسية بن بوعلی الشلف (الجزائر).
- الانزياح الدلالي في الخطاب الصوفي
25 آية الله عاشوري ، جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية (الجزائر).
- الدراسة والتحليل ل"آية الملك" من منظور البلاغة.
د.علي صيادني. جامعة الشهيد مني بأذربيجان إيران
33 د.علي نظري ، أ جنت تفتحي .جامعة لرستان إيران
- الشعرية و أفق التجاوزات
51 أ. حورية فغول . جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر)
- اللغة العربية بين الواقع والمأمول قراءة نقدية في المسار الحدائي
61 أ. عداد بوجمعة . المركز الجامعي صالحی أحمد النعامه (الجزائر)
- المصطلح النقدي لدى يوسف وغليسي- قراءة في الوضع والاستعمال
67 نورالدين دريم ، جامعة حسية بن بوعلی الشلف .
- الواقع الغربي في المتخيل الشرقي. قراءة في كتاب "صورة الفرنسي في الرواية المغربية" لعبد المجيد حنون".
79 د. علاوة كوسة ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة (الجزائر)
- الرمز الابتكاري في الخطاب الشعري العربي المعاصرة
85 د. بوعماره بوعيشة. جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)
- جهود العرب المحدثين في وضع المعاجم السردية - مقارنة وصفية تحليلية نقدية في المنجز -
97 د. حاج هني محمد . جامعة حسية بن بوعلی الشلف (الجزائر)
- راسل الفنون في كتابات واسيني الأعرج الروائية
111 د.دليلية زغودي. المركز الجامعي مغنية تلمسان (الجزائر)
- جمالية التكرار بين البعدين البنائي والإيقاعي في شعر أحمد مطر.
121 أ. بوقرط طيب . جامعة وهران (الجزائر)
- توظيف الضمانر في السيرة الذاتية غربة الراعي لإحسان عباس أمودجا
133 أ. دبلوي نادية . د. إبراهيم علي . جامعة أحمد بن بلة I وهران (الجزائر)

- رهانات صانع قصة الطفل
- أ.د. أحمد موساوي . المركز الجامعي النعامة (الجزائر) 139
- سيمياء الحوار في مسرحية "أويديبوس ملكا لسوفوكليس".
- أ.مسلك حفيظة . جامعة تلمسان (الجزائر)..... 147
- شعرية الخطاب وفعل التأويل المبتانص وفضاء الحكى في كتابات أبي حيان التوحيدي
- د. جويني عسال. جامعة العربي التبسي تبسة (الجزائر)..... 157
- قضايا النقد الأدبي في كتاب الكامل للمبرد
- د/ بن طرية عمر . جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)..... 167
- مصطلح البيان و أسئلة النقد المعاصر
- د. مسالتي محمد عبد البشير جامعة سطيف2 (الجزائر)..... 183
- ظاهرة الإعراب في منظور اللسانيين المحدثين
- د. إبراهيم طيبي. جامعة ورقلة (الجزائر)..... 199
- النصية في مقامات الهمذاني
- د. البار عبد القادر . جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)..... 207
- تشظي الأنا عند أبي حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة نموذجا
- د. ظافر بن مشيب الكناني . جامعة الملك خالد - أبها..... 215
- مقاييس نقد الشعراء و تصنيفهم عند ابن رشيق
- أ. محمود بن راس . باحث دكتوراه بجامعة اسطنبول - تركيا 227
- نظرية الحقول الدلالية حقل اللباس في معجم لسان العرب
- أ. يمينة صابيح. جامعة الشلف (الجزائر) 235
- الأوثثة في الخطاب العربي عبد الله الغدامي أنموذجا
- أ.د. شريف يموسى عبد القادر. جامعة تلمسان (الجزائر) 245
- أ. نور الهدى مباركية . جامعة العربي التبسي تبسة (الجزائر).....
- فلسفة هيراقليطس في الرواية الأردنية ليلة عسل عن الرجل الذي انتهت حياته قبل أن يموت أنموذجا
- د.عواد أحمد قاسم الدندن . جامعة اليرموك..... 259

اللغة العربية بين الواقع والمأمول قراءة نقدية في المسار الحدائثي

أ. عداد بوجمعة

المركز الجامعي صالحى أحمد النعام (الجزائر)

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تقديم قراءة نقدية من أجل مساءلة الوضعية الراهنة للغة العربية ، و واقع حالها في عالمنا هذا المليء بالتحويلات . وسنحاول في بحثنا هذا إيجاد حلول لبعض المعوقات التي تمنع لغتنا الجميلة من تبوء المكانة التي كانت عليها في سابق عهدها أيام كان العالم يتحدث بها.

الكلمات المفتاحية: لغة، تطور، تراث، جمود، ثراء، إحياء، آليات، حدائث، أصالة

Résumé:

Cet article prétend donner une lecture critique visant à rapprocher le statut de la langue arabe dans un monde en pleine mutations .

tout en essayant de trouver quelque remèdes pour les maux qui empêchent notre belle langue de devenir ce qu'elle l'a été auparavant quand le monde entier parlait l'arabe .

Mots clefs: Langue. evolution. patrimoine. stagnation. richesse. resurrection. mécanismes .modernité/.authenticité

مقدمة:

عندما نستقري واقع اللغة العربية و الوسائل والآليات المتنوعة المتاحة والوسائط السريعة البديلة لتمكينها اليوم. وانتشار لغات بعضها كان في عداد الموتى كالعبرية، وبعضها أشدّ تشعبا وتعقيدا كالصينية، وهي تقاوم لأجل البقاء، بل تفرض وجوده عالميا. فإننا نتساءل عن مصير العربية ومستقبلها، و ندرك أنّ القصور ليس في الوسائل والآليات، بل في موكليها أفرادا وجماعات، قادة ومؤسسات. ذلك لأنّ قضية اللغة مسؤولية الجميع وهويتهم المشتركة . وإنّ الهوية اللغوية شعار الانتماء والافتداء، وتعظيمها تبراس النماء الاهتداء. وما عز قوم إلا بعز لغاتهم وما دلوا إلا بدلها.

نحن نعيش في عصر يشهد تحولات في جميع الميادين وعلى جميع الأصعدة، حيث أصبحت الساحة اللغوية والأدبية والعلمية تعجّ بمختلف المصطلحات الحديثة، والتي لم نعد نملك في أحايين كثيرة سوى إقامتها في الدراسة — كما وردت بلغتها وفي مجالها — دون التماس لأدنى معايير العربية و خصوصياتها. و شحن النصّ بما لا يطيق من الدخيل والمعرب، والمترجم بطريقة حرفية، مما جعله يفقد انسجامه الدلالي والعلائقي والنحوي. ذلك لأنّ تضمين النصّ مفاهيم متعددة تختلف دلالاتها من لغة لأخرى، ومن مفكر وأديب وناقد ولغوي لآخر يزيد الأمر تعقيدا ويصعب من مهمة فهمه، ما لم يراعى حسن توظيفها، ولضمان سلامة العربية.

فالعربية اليوم لم تضق ذوعا من اتساع مجال اللغات الأخرى، وتعدد المصطلح، بل من عجز أبنائها وتلاشي روح الهوية اللغوية، والعصبية لها وبالتالي إيجاد الألفاظ الجديدة للوسائل الحديثة، والمصطلحات البديلة عن الأجنبية السائدة وتسخيرها لخدمة العربية.

فهل عجزت العربية عن استيعاب مستجدات العصر ؟ وهل أصيبت بالعقم كما يخلو للبعض أن ينعتها به؟ في حين وسعت أبنائها وأقواما وأجيالا ليست عربية فيما مضى ؟ أم أنّ القصور لا يعدو أن يكون في الناطقين بها

المنتسبين لها؟ ولا أقول الحاملين لواءها بحق فهو لاء - مع قلتهم لا ينفدون مع الزمن - هم الساعون لخدمتها، العاملون عليها بيباض نهارهم وسواد لياهم.

تساؤلات تواجهها العربية وهي واثقة تمام الوثوق في قدرتها على مواكبة روح العصر، و تعلم علم اليقين أن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وهي ترى انصراف من استحفظوا عليها، ولأنهم وعصبيهم لغيرها من اللغات. وكيف أن نمكن لها في ظل تقاعس وخذلان ينتاب المجتمع وكل يلقي بالأئمة على غيره؟ حتى أصبح ينعت بها إلبا أهل التخصص - وهم بالطبع غير مبرئين سلفا - وكأن إقامة حدودها لا تعني أصحاب التخصصات الأخرى، كالمطبة والهندسة والقانون ولو كان بعضها يدرّس بالعربية.

إن كان الذاء متأصل فمن الضروري معرفة مواطن هذا الذاء واقترح الدواء.

دعوى جمود العربية: الجمود نقيض النشاط و الحركة، وما كان للأول أن يصلح بحال من الأحوال في حق اللغة العربية وأن تتعت به وقد ظلت طيلة قرون صامدة رغم الأعاصير، وقد عصفت بغيرها من اللغات رياح التغيير، واضمحلت أخرى واندثرت. "أول جناية لهذا الجهود كانت على اللغة العربية و أساليبها و آدابها فإن القوم كانوا يعتنون بها لحاجة دينهم إليها - أريد حاجتهم في فهم كتابهم - إلى معرفة دقائق أساليبها، وما تشير إليه هيئة تراكيبيها. وكانوا يجدون أنهم لن يبلغوا ذلك حتى يكونوا عربا بملكاتهم يساوون من كانوا عربا بسلانفهم." (1) تلك الهمم جعلتهم لا يتوانون عن طلبها في مضانها ويتحملون شظف العيش في سبيلها، يركبون الأهوال و المكاره بغية تحصيلها.

أما ما نراه الآن يعجز عنه الوصف فقد اقتصر المتأخرون على الأخذ بأقوال المتقدمين، و الاستشهاد بها فقط أو بالجمع و التصنيف. وهذا الجمود نجم عنه جمود في فهم المسائل الدينية و الدنيوية، و تشمل مختلف العلوم الكونية و غيرها. وهو ما جعل البعض ينعت اللغة بالقصور و عدم مواكبتها روح العصر. فالجمود ناجم عن عجز في اعتماد الوسائل فهم و استنباط المسائل و مواكبة ما يعترض مجتمعا في هذا العصر المتطور، ولأن ضمان سيرورة اللغة الفصحى يتطلب ما يلي:

- تأصيل العربية الفصحى في المناهج الدراسية، لأن المناهج لا تخدم العربية بحق ما لم تنتقى و توصل بما سبق من مناهج عربية أصيلة.

- يجب تعميم اللغة العربية في جميع الميادين و التخصصات، بما فيها العلمية.

- إثراء اللغة العربية بوضع المصطلحات الحديثة وفق الوسائل الآليات التي تبناها الأولون، و استحسانها وأقرأ الآخرين من وضع وقياس، و اشتقاق، و ترجمة، و مجاز و توليد نحت و تعريب. والرجوع إلى تراثنا اللغوي و العلمي و الاستعانة به في هذا المجال.

- إحياء و تفعيل و تشجيع العمل المؤسساتي و المجامع العلمية، و العمل الجمعي ذو الطابع الثقافي الذي ينهض باللغة العربية.

تحيا الأمة بلسانها لا بلسان غيرها.

كل أمة تحيا بلسانها ولا تحيا بغيره، فهو يمثل حبلها السري، الذي يربط ماضيها بحاضرها، و "ما زال اللسان في كل أمة جلاء الأذهان، و وصل الخواطر و ديوان الأخبار و الآثار" (2) هذا حال كل أمة فكيف إذا خصت الأمة العربية؟ و"إنلسان العرب المبين من أبين الألسنة دلالة، و أوسعها معجما و أذهبها في فنون القول و البلاغة و صرف البيان و الفصاحة" (3)

ومما زاده عظمة، و علو شأن، أن القرآن الكريم جاء بلسان عربي مبين، و صير له الحق سبحانه و تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا، وهو أفصح العرب و خير من نطق بلغة الضاد. فكان قرآنا يمشي بين الناس أو كما قالت عائشة رضي الله عنها فقد كان عيه الصلاة والسلام الحجة القاطعة و البرهان الساطع على صدقية هذا اللسان بعد

القرآن الكريم، وما يؤكد قدسية في القرآن، أن الله تعالى أكد نزوله بلسان عربي. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾⁽⁴⁾ وحفظه، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽⁵⁾ فحفظ القرآن الكريم للغة العربية حفظ لسان العربي، استمراريته استمرارية لسان العربي. وما هي ذي العربية تفصح بلسانها في شعر حافظ إبراهيم رحمه الله تعالى:

وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً

وَمَا ضَيَّقَتْ عَنْ آيٍ بِهِ وَعَظَاتٍ

ولقد "مرت بهذا اللسان القرون تقارب فيها بين الصعود والهبوط، والجزارة والنزارة و أتى عليه حين من الدهر عصفت به رياح "الحدائث والتغيير"⁽⁶⁾ وأصبحت العربية لا مكان لها ضمن المنظومة اللغوية العالمية بل "أضحت عالية اقتصادية على اللغات التي لا ماضي لها ولا تاريخ، وهي لغات حديثة وهجينة تكونت في عصر السرعة، ونالت المكانة التي أهلتها لذلك بفضل الفكر العلمي والرياضي الذي سيطر على نخبها ومفكرها، وبالتطبيقات التقنية التي مسّت منظومتها الفكرية"⁽⁷⁾.

ولما أراد بعض المصريين اللعب على أوتار اللهجة المصرية على حساب اللغة العربية، انبرى الرافعي - رحمة الله عليه - للردّ عليهم حماية للغة الضاد و دفا عن العربية الموحّدة، وإسقاطا للقومية المفرقة فقال "ما ذهب إليه أوهم قوم فضلاء يريدون أن تكون هذه اللغة التي استحفظوا عليها مصرية بعد أن كانت مصرية"⁽⁸⁾ يريدونها عربية الحال إرضاء للمستشرقين وأشباههم، ويريدها الرافعي عربية التوحيد. فالتقصير إذن مرده لا للسان ولا للزمان بل لحاملي هذا اللسان.

ثراء العربية وآليات توسيع مصطلحاتها: الحديث في شأن اللغة حديث ذو شجون، "واللغة أداة التفكير، وأداة البيان، لا أحد يرتاب في أن هذا حق، واضح الوضوح، ومن أجل أنه حق نتلقاه بديهية العقل بالتسليم"⁽⁹⁾. وإذا خصت العربية فذلك أمر جليل باعتبار أنها لغة الحق سبحانه وتعالى المرتضاة لعباده بلسان القرآن الكريم، و"العربية أرقى اللغات السامية وأوسعها وأغناها بمختلف الكلم والاشتقاقات"⁽¹⁰⁾ اتسع التعبير عن الظاهر والباطن، عن الأحاسيس والوجدان، وكل يدركه الفكر من معاني لها فيه سعة التعبير.

لم يكن استحداث اللفظ والمصطلح يعجز علماء العربية قديما، لقد أوجدوا آليات توحيد اللغة و بدلوا جهودا مضنية في وضع المصطلح بعد "أن اتسعت العلوم وتنوعت الفنون و تقدمت الحياة، و أول المصطلحات العربية ما جاء في القرآن الكريم وكان لكثير منها معنى لغوي فنقلت من معناها الأول إلى معناها الجديد"⁽¹¹⁾ ومن المعلوم أيضا أنه عندما جمعت اللغة العربية ودوت، لم يعول إلّا على ألفاظ القرآن الكريم وألفاظ الشعر.... وكلام أعرق القبائل العربية، وأبعدها عن تأثير الأعاجم، كقيس وتميم وهذيل وأسد وغيرهم"⁽¹²⁾.

ولما بلغ المجتمع مرحلة من الثراء الفكري و مرحلة العطاء بعد أن استوعب تراثه وتراث الدول المتاخمة له كالهند و الفرس و الروم وغيرها من البلاد التي شهدت تطورا في مختلف الفنون. وبفضل الوسائل المتبعة في حقل اللغة والعلوم منها: الوضع، والقياس، والاشتقاق، والترجمة، والمجاز، والتوليد، والتعريب، والنحت. "ووقف العلماء من التعريب موقف الحذر وقال أكثرهم إنه لا يؤخذ به إلّا عند الضرورة القصوى خشية أن تضيق العربية في غمرة الذخيل"⁽¹³⁾ وبذلك اتسع نطاق اللسان العربي، وانتقل الفكر من الموسوعية إلى التخصص "وكان المتكلمون أول من اهتم بالمصطلحات"⁽¹⁴⁾ و قد أشار إلى ذلك الجاحظ في البيان و التبيين بقوله "وهم تختروا تلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطالحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف

و قدوة لكل تابع و لذلك قالوا: العرض و الجوهر، و أين و ليس، و فرقوا بين البطلان و التلاشي، و ذكروا الهدية و الهوية و الماهية، و أشباه ذلك.⁽¹⁾

وسار على هذا النحو النخاة و البلاغيون، و العروضيون، و وضعوا المصطلحات الدالة على ما وصلت إليه قرائحهم و ما استنبطوه من بحوثهم أو استاقوه من جهود غيرهم من الأجناس. فما وهنوا لما أصابهم وهم يخوضون غمار الحياة، و ما استكانوا وهم يقطعون الصحاري و الفلوات.

فهل بعد هذا نصف اللغة بالقصور و العقم و عدم مسابرة العصر، أو قصورها في العطاء؟

في "الواقع أن هذه التهم باطلة من أساسها لأن اللغة العربية ما كانت يوما في تاريخها الحضاري الطويل تقف عاجزة عن التعبير أمام الحقائق و الآراء"⁽¹⁵⁾

و ما توصلت إليه الأمم الأخرى.

ولله ذر حافظ حين قال:

فكيف أضيقُ اليومَ عنَ وصْفِ آلةٍ

وتنسيقِ أسماءٍ لمختَرعات

أنا البحرُ في أحشائه الدرُّ كامينٌ

فَهَلْ سألُوا العَوَاصَ عنَ صدقاتي

لكن القصور يقع حتما على أهل الضاد في إيجاد الرموز الدالة ، و الالفاظ البديلة و المعبرة على روح العصر. إن استحضار منهج السلف و الآليات التي اعتمدها في توسيع اللغة كفيل بوضع الأطر المناسبة لاستحداث العربية وفق متطلبات العصر.

مستقبل اللغة العربية، في ظل التحديات.

لا أعتقد أن نمة لغة في العالم تواجه و تلاقى من الأخطار ما تلاقىه العربية من هجمات في بنيتها و شكلها، لقد منيت لغتنا الجميلة بغريبتين : غربة خارجية حمل لواءها المستشرقون و المبشرون و دعاة التغريب ، و الغربة الخارجية، ابتلاها بها بنوها و حمايتها، و هذه أشد مضاضة و أبلغ الأثر من وقع الحسام المهند. و للذكر بعض المحاولات التي يراد بها إضعاف العربية منها:

- محاولة إسقاط البنية التحتية أو الأساسية للغة العربية و الممتثلة في النحو العربي، الحصن المنيع الذي ضلّ طيلة عهود يحمي كيانها من التفكك . و ما نراه في الكتب المدرسية من عدم ضبط أواخر الكلمات بالشكل التام إلا أحد بلايا هذا التوجّه.

- وضع لغة وسطى بين الفصحى و العامية و قد سماها "ج، بارك" العربية الوسطى.

سماها بعضهم بالوسيطه و المخففة ، و أطلق عليها البعض الآخر اللغة الثالثة. يوضح ذلك المستشرق أندري ميكال بقوله: " هي وسطى بين العصور أي هي تقيم بيننا و بين العصر الكلاسيكي جسرا، و هي وسطى بين الطبقات الاجتماعية، و قد تأهلت شيئا فشيئا بواسطة الثقافة إلى أن تفهم، إن لم نقل كذلك إلى أن تستعمل استعمالا عاديا هذه اللغة التي هي في الآن نفسه أمينة مبسطة و معصرة، و أخيرا هي وسطى بين مختلف الشعوب العربية من المغرب إلى العراق و من السودان إلى سوريا"⁽¹⁶⁾

3- أحمد مطلوب "في المصطلح النقدي، ص: 11 نقلا عن أبو عثمان الجاحظ "بيان و التبيين" ج: 1، ص 139.

وإن هذه المحاولات باءت بالفشل لأنها تحاول أن تسوي بين اللغة العربية الفصحى والعامية، أو بالأحرى الجمع بينهما وأحيانا تدعوا إلى الجمع بين اللغة الفصحى والأجنبية، وكل ذلك للوصول إلى لغة سهلة في متناول الجميع تسابير روح العصر، ولو على حساب التوثيق.

كما فعل احمد معتوق في كتابه "نظرية اللغة الثالثة- دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى"

- إغراق النص العربي بحروف ومصطلحات أجنبية. كاستبدال الحرف العربي بالحرف الاجنبي في رياضيات المرحلة الابتدائية، تم وضع:

بدلا من الحروف الهجائية أ، ب ، ج ، د... "A.B.C.D..."

- الولاء للغات الاجنبية على حساب اللغة العربية، مما جعل التخصص في اللغة والأدب اللغة العربي أدنى المراتب. وصاحبه يمشي في استحياء، والحق أنه صاحب الشرف والمقام الأول.

- انعدام العربية تماما في بعض التخصصات خصوصا العلمية، لأن مناهجها سلبية مناهج أجنبية فكأن اللغة العربية لا تصلح البتة في هذه المجالات.

إن من واجبتنا تجاه العربية اليوم، و من أولويات المرحلة الراهنة، نذكر هنا حديث الشيخ محمد الغزالي لشباب الأمة حاثا إياهم على ثلاثة أشياء محددة لإحياء لغة القرآن الكريم والحفاظ على مكانتها منها:

- الجد كل الجد في محاربة اللهجات العامية داخل الوطن العربي وتضييق الخناق عليها .

- منع البرامج التي تقدم الأحاديث باللغة العامية.

- منع الأرجال و الموواويل و الأرجال والشعر الفوضوي المبتدع أخيرا والذي يسمونه الشعر المرسل .

وكلها معوقات أريد بها إنهاك مسيرة العربية، وتقويض انتشارها، وبالتالي الحط من شأنها.

فأما عن العامية فيرى بعض الباحثين أن اللغة العامية التي يتحدث بها العامة فيالوطن العربي تضعف العربية ، وكذلك ما يطغى الآن على الساحة من لغة في وسائل الإعلام من سينما ومذياع وصحافة (17)

وأما دعوات الحداثة من تحطيم لأنماط تقليدية من (بحور وقوافي...) ، و بنى أساسية من (نحو وصرف ..)

و حول ما يشنه دعاة الحداثة على النحو والصرف واللغة وما يراد به من قطع الصلة بالماضي. يرى الدكتور

عبد الله الطيب أن من زاغ عن اللغة العربية فقد زاغ عن منهج الحضارة الإسلامية، وأن دعوة الحداثة بدأت بعد أن

جهل الناس اللغة العربية، ومن جهل شيئا عاداه، ثم وجدوا من ينطق بلسان هذه العداوة (18)

و لننأمل هذه من قصائد المعاصرة لشاعر عذا لنقاد من رواد الحداثة، أو الحداثة الثانية ، وهو محمد الماغوط

يقول في قصيدته ، مصافحة في أيار:

- هل وجدت عملا ؟

- لا

- هل كتبت شيئا ؟

- لا

- هل أحببت أحدا ؟

- لا

ما معنى أن يقول أحد النقاد: " فهذا المنولوج الشعري إلى جانب ما فيه من سيولة نثرية ، يمتلك أهم خصائص

الموسيقى كلغة شعرية وهي الشحنة الانفعالية المتوترة "،¹⁹ هذه القصيدة سمية بقصيدة النثر في نظر النقاد لأنها جمعت

بين الشعر والنثر.

فكيف نبتغي العزّة والرفعة والسموّ فيما لا يخدم الثوابت، لا يؤصل قواعد، وأيّ بساطة وسهولة هذه التي تتحوّ بالشعر منحى النثر إلى درجة الإسفاف.

وهي في اعتقادىحملة ظاهرها تيسير و تبسيط ، وباطنها تعسير وتعقيد لامعنى لها،فالتيسير مطلوب إذا ما ارتبط بالتراث ووفق شروط محددة تبقى في النهاية محلّ اجتهاد ، ونظر لأهل الاختصاص، و لا مجال حديث كل ناعق وعابث.

خاتمة: فإذا كانت حاجتنا شديدة إلى اللغات العالمية للمعرفة المستجدات وللتزوّد بالمكتسبات فحاجتناالغتنا العربية أشدّ، لغة القرآن الكريم خصوصاً لمعرفة نظم الفصحى، وطريقة نطق حروفها، وبلاغة التأثير.فإحياء الفصحى أمر لا بدّ منه إن على مستوى الأفراد والجماعات، أو على مستوى الهيئات المؤسسات ، من مدارس ومعاهد وجامعات، ومجامع العلمية واللغوية، ولا بد من إصلاح نظام التعليم والمنهج التربوية،فإنّ داء العربية اليوم هو نظام التعليم السائد في بلادنا، كما يرى الباحثون.

ولا يتأتى ذلك إلا باعتماد سياسة رشيدة لتطوير العربية يتولّاها رجال أكفاء، يأخذون من الأصالة والمعاصرة بطرف.فإنّ ذلك من شأنه أن يحفظ للأمة ماء الوجه ، ويقوي الجانب النفسي للفرد بحيث يجعله يقبل على لغته ويتفانى في خدمتها، وتفتح له آفاق التنمية،وتقيالنسيج الاجتماعي من التفكك والتلاشي. هذا إلى جانب تأصيل عامل الوحدة والنماء المعرفي والفكري والاقتصادي، وغيرها من الجوانب التي تقوم اللغة بإرسائها في الأمة.

- 1- محمد عبده "الإسلام والنصرانية - بين العلم والمدنية" - مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية - وحدة الرعاية الجزائر، ط/1990، ص: 102¹
- 2- عبد الرحمان بودرع "غربة العربية" كتاب الأمة ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر - العدد 101 جمادى الأول 1425 السنة الرابعة و العشرون جوبلية (يونيو) 2004 م ص 27.
- المرجع السابق ص 27.³
- سورة الشعراء، الآية: 192-195.⁴
- سورة الحجر، الآية: 9.⁵
- عبد الرحمان بودراع "غربة العربية".⁶
- 7- صالح بلعيد"مقاربات منهجية" دار همة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ط/4، ص: 3⁷
- 8- مصطفى صادق الرافعي "تحت راية القرآن دار الجوزي، مصر القاهرة، ط/2010، ص: 41⁸
- محمود محمد شاكر "أباطيل وأسمار"، مكتبة غانجي القاهرة ، د ط، د ت، ص: 406.⁹
- 10- الامير مصطفى الشهابي - مصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان - ط3 / 1995 ، ص: 9.
- 11- أحمد مطلوب : في المصطلح النقدي - عربي عربي دراسة ومعجم مكتبة - ناشرون بيروت لبنان ط/ 2012 ص 11.
- مصطفى الشهابي - مصطلحات العلمية ص: 10.¹²
- 13- أحمد مطلوب "في المصطلح النقدي، عربي - عربي، دراسة ومعجم"، مكتبة لبنان ناشرون ط/2012، ص: 17.
- المرجع نفسه ص 11.¹⁴
- 4- يوسف موروة" اللغة العربية و المصطلحات العلمية"، مجلة المعرفة ووزارة الأوقاف بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، السنة الأولى العدد11-12 ماي، جوان 1964، ص 28.
- 17- أندري ميكال" الأدب العربي" تعريب رفيق بن وناس، صالح حيزم، الطيب العشاش، الدار التونسية لفنون الرسم. - دون (ت ط)، ص: 107.
- 17- عبد الله الطيب كتاب العربي 83 " حوارات العربي" ص: 49. حوارات العربي" حوار بين د/ عبد الله الطيب ومحمد اليعقوبي "عندما تفتحت العاميّة اضمحلّ أمر البلاغة" وزارة الإعلام الكويت ، ط/15، 1/01/2011.
- 19- المرجع نفسه ، ص" 83 "
- 20- سعيد الورقي " لغة الشعر العربي الحديث " دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، لبنان ، ص: 213.

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

إذن بالطبع

عبد الحفيظ بورديم

أنا الممضى أسفله السيد: عبد الحفيظ بورديم

أشهد أنّ الطالب: عداد بوجمعة

قد أنهى أطروحته الموسومة بـ: " منهج البحث الأدبي عند المستشرقين - قراءة
في كتابات شارل بيلا - "

ولذلك فقد أذنت له بطبعها و تقديمها لمن يهمة الأمر.

تلمسان في: 2018/05/19

المشرف

عبد الحفيظ بورديم